أسس وقواعد

الدراما

من القرآن الكريم

تأليف

فتحي حسان محمد

الكوميديا النبيلة | الكوميديا السوداء | التراجيديا العظمية | التراجيديا الإلهية | التراجيديا السوداء



أسس وقواعد

الدراما

من القرآن الكريم

تأليف

فتحي حسان محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إليك يا من بيقين فى القلب تسكنين ، وفى الفؤاد ضياؤك هاد أمين ، وفى العقل جوهرة المنشدين ، وفى الناس ملكة تأمرين فتطاعين ، وفى الزهور عطر فواح للعالمين . بقبس منك يستنير الضالون ، وعلى صدرك يتوب المذنبون ، وقبلة من ثناياك يؤمن الكافرون ، ومن ضيائك يهتدي العاصون . وبين يديك يتعلم الجاهلون ، لأنك عشق العاشقين ، وفخر الرياحين ، وملهمة الطامحين ، ونداء الشوق الأمين ، ورسول الوحى المبين ، يا دواء القلوب وطب النفوس وحلم العقول ، وفرح المتأمل السارح المغمور ، من غيرك لا أمل يتحقق ، ولا شمس تشرق ، ولا حب يروى ، ولا عشق يشفى ، ولا طريق يمهد ، ولا غد يشرق ؛ لأنك إلهام المحظوظين ، وجذوة نار الحالمين ، وأمل آمال المشتاقين ، وعمد عماد المتأملين . أنت أنشودتى ونشيدي ولحني السابح فى السماء والأرضين ، أنت واهبتي وموهبتي ومداد كلمات قلبي الهائم فى ابتسامتك الندية ، وطلتك البهية ، سر الكيان ونور الجنان وفخر الخيال ، فالحمد لله الواهب الرحمن .

فتحى حسان محمد



fathy_5@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي منحنا وأفاء على عبد من عباده بقبس من نوره ليكون سببا لمن يهدى إلى صراط الله الذي له ما فى السماوات وما فى الأرض ويهتدي إلى الذى تصير الأمور إليه عاجلها وآجلها . فأطاع وتدبر، وفكر وأمهر، وفهم وأعمل، واستوعظ ووعظ ، وأنعِمَ عليه فتنعّم ، وتضرعَ واصطبر، فنعم المُلهِم وسعد المُلهَم . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبع هداه إلى يوم الدين ، اللهم إنا نشهد أنه أتم الرسالة بكمال علمه ، وأدى الأمانة بكمال خلقه ، ونصح الأمة بتمام إخلاصه ، وكشف الله به الغمة فنعم الكاشف والمكتشف، وعظُم القائد وحسُن المقتدى ، عليه الصلاة إلى يوم الدين ، وأتم التسليم إلى يوم أن نلقاه شفيعا عند عرش الرحمن الرحيم . الذي منّ علينا ورأيناه فى المنام العظيم ، فى يوم من أيام الأشهر الحرم ، ذي الحجة والحجيج يفيضون عند المقام ، فاللهم صل وسلم وبارك عليه صلاة إلى يوم أن نلقاه فى الميقات المحدد المعلوم.

إن القرآن العظيم معجزة الله لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وللناس والعرب خاصة لأنه من كلامهم وبكلامهم ، والقرآن هو كنز ثمين مليء بالجواهر، فمن يمن الله عليه ويرضى عنه يفتح عليه بفتح من عنده ويشرح له صدره وينير له بصيرته ، ويفتح له قلبه ليلقى فيه جوهرة مكنونة من القرآن العظيم الذي فيه من كل مثل وهو صالح لكل زمان ومكان ، وفيه مالا يخطر على البال، ومالا تدركه القلوب والعقول والأبصار، إلا من أذن له الرحمن ، وألهمه بنور من عنده ليعرف جوهرته من ذلك الكنز ويأخذها ، وإنني بفضل الله عثرت على منحته وهبته لي ، وعرفت طريق جوهرتي ، وأمسكت بتلابيبها وأخرجتها– بإذن من الله – للناس فى هذا الكتاب الذى سبقه أول بعنوان أسس وقواعد الأدب والرواية من القرآن الكريم ، حجر

الزاوية القوى والبنية الأساسية لهذا الكتاب علم القصة الفعلية الدرامية المشاهدة المكمل لعلم نوع القصة الأول علم القصة القولية الروائية فى كتابى السابق ، ولا غنًى عنه للفهم والتعرف على الأدلة التى بنيت عليها البراهين التى أوردتها هنا ، ولم أذكر الأدلة لسابق ذكرها ، الكتابان اللذان أعدهما درة من درر كنز الرحمن القرآن المجيد ، وأتمنى من الله كما هداني وأنار بصيرتي وجعلني أستطيع أن أصوغ هذه الجوهرة من **تعريف لأنواع القصص ، والفرق بينهما ، وأصولها ، ومكوناتهما ، وقواعدها ، وأسسها ، وقوانينها ، ومعاييرها ، وشروطها ، وأهدافها ، والوصول بالقصة إلى درجة من درجات الكمال ، وتصبح بها علما كاملا** يستفيد منها أصحاب الشأن من المؤلفين بكل أنواعهم الذين اختلط عليهم الأمر وذهبت عنهم الفطرة السليمة التى كانت تحضهم على الإبداع السليم ، ولكن لاحتراف الكتابة والشهرة وبعض الأغراض الخبيثة لبعض النفوس المريضة الضعيفة صار الإبداع يخالف الفطرة السليمة ويخالف أوامر الله ونواهيه ، ويتجاوز وعده ووعيده إلى وعد الناس وجنتهم ومطالبهم لا إلى جنة الله ورضوانه ؛ بادعاء باطل أن الجمهور هو ما يحدد اتجاه الإبداع وكيفيته ، وهو ما منّ الله به علينا نريد تصويبه ليكون إبداعا يوافق شرع الله باليقين للقلب، وعقيدة ونموذج إجابة لعقل القلب ، والفهم والربط لعقل المخ وإجباره لحكم عقل القلب،

كم كنت قلقا بشأن هذا الكتاب ، ولكن الله منّ عليّ وطمأنني ، فمن يرى الرسول محمدا – صلى الله عليه وسلم – فقد رأى الحق ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم يقول : " **من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوننى** " عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :" **إذ اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب** ، [رواه البخاري ومسلم] ولذلك بعون الله وحمده اطمأن قلبي ، وسيطمئن لرأى شيوخنا وعلمائنا

وأساتذتنا المستنيرين من أنهم سيرون في هذا الكتاب الحق لما يمكن أن يسير ويكتب على هديه المؤلف وأيضا الناقد الذي سيجد فيه علما تاما كاملا للقصة لما يجب أن تكون ويستطيع أن يكون لديه منهج علمي يتخذه مطية للنقد الصحيح الحسن الذي لا يستطيع أن يعارضه أو يرده أو يعلق على نقده أحد ٠

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ [ص] إنه القرآن الكريم كتاب أنزله الله مباركا على قلب سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – لنفكر نحن جميع المسلمين في آياته ، ونعمل بهداياته ودلالاته ، وليتذكر أصحاب القلوب السليمة التي لا يزال بها عقل القلب يحكم ويعرف الحلال من الحرام ولا تزال عقول أمخاخهم مطيعة مستجيبة لحكم عقول قلوبهم ما كلفهم الله به ، لم يخص الله أحدا من خلقه دون الآخر بهذا التدبر والفهم لآياته ، ولم يجعلها حكرا على أحد من عباده لفئة معينة منا، بل الجميع له نفس الحق في التدبر والفهم حسب ما يمن الله على كل واحد ما يستطيع فهمه ، حتى يجعل القرآن متجددة معانيه إلى أن تقوم الساعة ، لا مقصورة معانيه وهديه على ما جاء به كبار المفسرين والعلماء ، وإلا ما صار في القرآن إعجاز وهو الذي تحدى به العالمين إنسهم وجنهم ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء] ولذلك تكون حكمته من أنه لم يقصر الدعوة والفهم له حكرا على أحد من خلقه ، إذن الدعوة عامة لنا كل العالمين ونحن المسلمين أولى ٠ وعرفنا من علمائنا وشيوخنا وخطبائنا وما درسناه وما درجنا عليه من أن القرآن كتاب جامع مانع فيه أخبار ما قبلنا وما بعدنا ، وفيه القصص العظام والعبر النافذة لأولي الأبصار والقلوب والعقول السليمة ، ولذلك عندما قرأت كتاب (فن الشعر) لأرسطو وما قرأته لشراحه ومن تناولوه ومنهم الدكتور

إبراهيم حمادة ، وغيره من القدماء والمحدثين حيث أجمعوا على تفـرده فـي علـم الدراما ، وقالوا : ما من كاتب ولا مفكر ولا مبدع منذ أرسطو إلى الآن ما استطاعوا أن يغيروا أو يضيفوا أى إضافات للأسس التى أوردها ، وحتى من ابتدعوا وجـددوا مثل أبسن كما قال الدكتور فوزي فهمى لم يخرج فى إبداعه وقواعده الجديـدة عـن قواعد وأسس أرسطو واستقى منها الكثير ، حتى وإن اختلف معه فى بعض الأحيـان إن ما أبدعه أرسطو عد كلماته الشراح والدارسون بالكلمة والحرف ، وهو ما بعث فى نفسي الغيرة وأشعل فى قلبي الحمية ، وفى عقلي تحدى هذا الرجل الذي لم يستطع أحد أن يأتى بمثل ما أتى ، ولذلك قلت فى نفسي إذا كـان معشـر المفكـرين والفلاسـفة والكتاب والدارسين والشراح وغيرهم لم يستطيعوا أن يأتوا أو حتى يضيفوا أو يعدلوا أو يغيروا ، فإن التحدي يكون بما هو أكبر من أرسطو ؛ أستطيع مواجهته – ونحـن جميعا – نمتلك كتابا جامعا مانعا معجزا هو كتاب الله القرآن الكريم ، وأخذت اسـأل نفسي هل أورد الله أسس الدراما فى القرآن الكريم ؟! سؤال بـدا غريبـا ، وليسـت الغرابة منى ولكن الغرابة من كل ما عرف مني بما يدور في خلدي ، حتى إني وجدت نفسي معارضا معارضة شديدة وقوية ، واتهمت بالجنون لمجرد الربط ولـيس حتـى المقارنة بما جاء فى كتاب أرسطو وما جاء فى القرآن الكريم ، وعندما وجدت هـذه المعارضة التى لم تعطني فرصة لأبوح بما جاء ودار بفكري ووقـر بقلبـي مـن أن إيماني بأن القرآن لا يستطيع أن يأتى بمثله أحد وأن به كل شـيء ، حتـى إن بـدت الصورة من الوهلة الأولى أنه لا يوجد فى القرآن شيء من أسس الدراما ، أخذت أفكر وأفكر وأراجع نفسي فترة تجاوزت خمس سنوات ، وأمسكت عما أنا فيه عن النـاس الذين يعرفونني ، حتى كان شهر رمضان فوجدتني مدفوعا بقوة هائلة تـدفعني لعقـد المقارنة والولوج إلى متن القضية دون اعتبار لأحد ، وبدأت الأبواب تتفتح أمامي بابا وراء باب ، ولم أجد للدراما بابا يفتح بعد ، وكانت البداية أن ذهبت إلى غير ما أريـد

لأجد أرضية مشتركة أنطلق منها ، فكانت قصص القرآن التي حتمت علىّ أن أدرس وأستخرج كل ما يتصل بالقصة ثم بعد ذلك يفعل الله ما يريد ، وكانت البداية بالقصة النموذج الفريد الكامل التام قصة سيدنا يوسف في سورة يوسف ، ومنها توصلت إلى نوعين من القصة حيث القول شيء والفعل شيء آخر ، **ومن هنا اتضح نوعا القصة ، حيث الأولى قصة قولية أداتها القص وهى تخبر عن الماضى ، والماضي لا يعود إلا قولا ، وقصة فعلية لا تتحقق إلا في الحاضر تشبيها أو تمثيلا حال تحققه** ، فبدأت أكتب ولكن الخوف يكبلني بكل ما تعني الكلمة ، فدعوت الله كثيرا أن يمنّ علىّ بعلامة أو إشارة أو أى شيء أستطيع منه إدراك أنني على صواب ، وتمنيت أن تكون العلامة أو الإشارة رؤية سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد انتظرت رؤيته ثلاث ليال حتى منّ الله علىّ برؤيته صلى الله عليه وسلم في الليلة الخامسة في حوالي الساعة الثالثة والنصف فجرا ، بعد أن انتهيت من الكتابة وجلست ممددا أفكر فيما تفجر أمامي من أمور صعبة ثم بعدها أدخل إلى حجرة نومي ، فأخذتني سنة من النوم وكانت الرؤيا الجميلة التي كانت بردا وسلاما على قلبي ومنها انطلقت ليل نهار في هذا الكتاب حتى أتمه ، وأتممته والحمد لله على أني لم أضمنه كل ما رزقني الله به من فكر وفهم ونور لا يكفيه كتاب من ألف صفحة ، إذ قصة سيدنا يوسف لا يكفيها ألف صفحة ، وقصة سيدنا موسى ألفان ، لشرح وتوضيح كيف تم بناء القصة حرفا حرفا وكلمة كلمة ، وآية آية ، وكيفية الربط بين الحدث والآخر – قولية – وبين المشهد واللقطة – فعلية – ببناء محكم معجز ، وللإفادة التي أتعجلها للناس عمدت إلى الاختصار وليكون الكتاب في المتن متضمنا علما كاملا وتاما لأنواع القصة القولية الروائية ، وأنواع القصة الفعلية الفنية الدرامية ، ومما لن تصدقوه بسهولة لأنه يفوق تخيل أدباء العالم أجمع متحدين ، من أن القصة القولية أربعة انواع : قصيرة ، روائية ملحمية ، قومية ، وينقسمون إلى ثلاثة أصناف : مأسلهاة ، مأساة ، ملهاة ، وإلى

ثلاثة عشر وصفا : الأخلاق ، السلوك ، المعاناة ، الشخصية ، القومية ، القيم ٠ والشخصية السوداء ، والعظيمة ، والإلهية ٠ والقومية السوداء ، والعظيمة / والإلهية ، والملهاة ٠ والقصة الفعلية الدرامية تتنوع إلى ثلاثة انواع رئيسية ، ويصنفون إلى ثلاثة عشر وصفا ، سنعرفهم بالشرح والتفصيل فى هذا الكتاب ٠ كل ذلك تتضمنه سورة يوسف التى تروى قصته ، إنه إعجاز الله القرآن الذي لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بآية من مثله ، إن مكمن الإعجاز ليس فقط في التعبير اللغوي البليغ فحسب إذ من الممكن أن نأتي بجملة بليغة تشبهه ، ولكن ذروة الإعجاز فى القدرة الكامنة فى الكلمة فيه لها حياة وقوة من التنفيذ والإحداث والوقوع الفعلي يتحقق على أرض الواقع وتشهده بنفسك وفى نفسك وتراه رؤى العين وسمع الأذن وإدراك القلب وإفهام عقل المخ ؛ لأن مصدرها هو العالم بكل شيء والقادر عليه وأمره بين الكاف والنون ، بينما يظل كلام البلغاء منا كلاما فقط يفتقد قوة التنفيذ والإحداث والتغيير والإجبار لا فينا ولا فى غيرنا ولن تدب فيه الحياة على الإطلاق آجله أو عاجله سوى أن يكون تمثيلا لا حقيقة ، وتأثيرة وتغييره وإحداثه يكون نشفاء الروح فقط بدون تفعيل متحقق للجسد سوى معافاته ٠

ونحن نريد لأدبنا الدرامي الذى صار بحكم الواقع هو ديوان العرب الحديث فعلا، لا زمن الرواية المقروءة كما قال الدكتور جابر عصفور ، بل نحن فى زمن الرواية المشاهدة لأن لها الغلبة والحظوة والسطوة ؛ ولأن العرب لا يحبون القراءة بصفة العموم والكثير منهم أمي ، وقد فطروا وجبلوا على حب الحكي المسموع أكثر من المقروء ، وعندما صار الحكي مشاهدا أخذ ألبابهم وسحر قلوبهم حيث وجدوا ضالتهم بما يشتاقون إليه من اليسر والسهولة والتسلي والتفريج والتسرية ، ونحن نريد له أن يتسيد سواء كان روائيا أو دراميا على أن يكون مغايرا لما سبق من أدب الأقدمين الذين كتبوا وأبدعوا حسب الفطرة السليمة لبعضهم ، ولحقهم آخرون تغيرت فطرتهم بتحرر مفرط

تجاوز حدود وأهداف الأدب النبيل المثبت للقلب على الطاعة ، ولم يكن لديهم علم تـــام كامل للقصة يكتبون على هديه ومعايير يسيرون عليها وأصول يهتدون بها ، وقـــوانين يتحاكمون إليها ، ومكونات يستندون عليها ، وأسس تعينهم علـــى الصـــواب والحســن والتعمق ، نريد للدراما أن تكون أدبا جديدا مبنيا على علم دقيق شـــامل يحتويـــه هـــذا الكتاب الذى بين أيديكم وجاء فيه فصل الخطاب الذى يختلف العالم كله فيه ولم يحســمه الحسم التام منذ أرسطو حتى الآن ؛ نتيجة فقدان الدليل الحازم الذى لم ينتبه ولم يتأمـــل ولم يهتد إليه فلاسفة المسلمين على وجه الخصوص ، بمثل ما هداني الله إليه وهو بـــين أيدينا نتلوه آناء الليل وأطراف النهار ونزين به الأمكنة ونتشرف بـــه ، أدب لا يختلـــف حول قواعده وأسسه وقوانينه وأصوله وأهدافه أحد ، ولا يحتار فى مقاصده الكليـــة ولا نهاياته المطلوبة النفعية أحد ، مستندين على علم من كلام رب العالمين منزله وقاصـــه على أفضل رسله ، الذى خلق الإنسان وفضله وميزه عمن خلق ، وهو جـــل اهتمامنـــا ومناط عنايتنا ومقصد عملنا وقبلة اجتهادنا ، لما نريده من صلاح وهدى كامل لمن يكتب وعلاج نافع شاف للروح لمن يكتب لهم ، مثبت للقلوب على التقـــوى والطاعـــة لله ، ملزمة هادية منيرة راشدة دالة محرضة مقننة للعقل من حريته الكاملة التى يتمتـــع بهـــا التى إن تركت على حالها وعنفوانها توردة مورد المساءلة والحساب العســـير مـــن الله خالقه ومحاسبه ، ومده بعقل المخ مناط الحساب والاختيار ، وعقل فى القلب حكم لكنـــه يتغير وينسى ويتقلب ولذا يحتاج إلى الثبات والتذكر والعبرة ، ليظل على ثباتـــه علـــى الطاعة والهداية والتقوى وليكون بحق حكم على إفراز عقل المخ ملزم وهادٍ وحاكم له ، وهى من موجبات القص المتكرر المتجدد التى تعين العقل على التذكر والاتعاظ والنصح والالتزام ، وتعين القلب على القوامة والتثبيت على الصواب والإيمان والصلاح للحكم .

إن الأدب الدرامي الذى نبتغيه تسمعه الأذن وتراه العين ويعيه القلب ويدركه العقـــل فهو أقوى تأثيرا ومدا ، وأشد حسما وصدقا ، وأوسع انتشارا وفعلا ، وأحســـن ســـطوة

وجذبا ، واجل هدفا وعظما ، وأكثر دويا ونفعا ، لامتلاكه أدوات التأثير القوى التى تسيطر على الآذان والأفئدة والأبصار مراكز الإدراك ، وهى أدوات الوعي أيضا لأنها تقدم ما أدركته لعقل المخ ليفعل هذه المدركات ويخرج بالعبرة المرجوة والهدف المطلوب والعظة المامولة ، محركات مشاعره وأحاسيسه وعواطفه أجهزة الاستقبال الخارجية وأدوات الأجهزة الفاعلة الداخلية التى تتحكم فى الروح ، وتكون مكمن قوته وعلاجه وقوامه وصحته وتقدمه ورقيه وابتكاره وطاعته من تثبيت القلب ، وهداية للعقل فلابد من التوظيف السليم ، والنهج الحسن المليح ، والقوامة الراشدة الدالة الهادية المنيرة حتى تؤتى أكلها الطيب وثمارها النافعة التى تعيد الوعى وتنير البصيرة وتستنفر الطاقة وتحقق التعلم الذى ينفر منه الجميع ، وينشر المعرفة لتعين الجميع على اكتشاف دروب الحياة الصعبة لتيسرها علي غير القادرين على إدراكها لجهلهم وأميتهم وكسلهم وتواكلهم وتعالج ما فسد وما استجد من قضايا ، وتؤرخ بموجبات طباعها لزمن وقوعها غير ملتزمة بتاريخ متتابع منظم تخبر بكل ما يحدث حسب ما يقع ، فهذا ليس من شأنها بل تحمله فوق أكتافها عبئا زائدا عن حاجتها ومقتضيات وظيفتها المعالجة للنفس من أدرانها وأمراضها ومثبتة للقلب ومسرية للروح ، وبجميعهم تكون سبيلا من سبل النهضة والتقدم والوعي تعين المؤسسات الأخرى لنرتقي ونتقدم . ولكن الأدب الدرامي يعيبه عدم استدامة وخلود منتجه وضعف لغته ، وهى نقيصته التى نريد لها درجة كبيرة من الكمال ، أن نستعيضها ونكملها بثراء المنتج وتحكمه إلى نهج عقيدتنا الوسطية السمحة ، والتجويد والتحسين للغته بشرف التمسك ببعض الفصحى التى تتخلل العامي ، بقرآن كريم ، وحديث شريف ، وقول مأثور ، وشعر موزون ، وقول حكيم ، وعبارة فيلسوف وكثرة العرض الجديد المتغير بعوض الاستدامة والخلود .

والله الموفق لما فيه الخير والصلاح

فتحى حسان محمد

الفصل الأول

التمهيد والافتتاح

وضع القصة فى القرآن ومكانتها ومنزلتها وفائدتها

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

[يوسف] الله تبارك وتعالى يقول نحن نخبرك ونروى لك ونعرفك - يا محمد يا رسولي ومصطفاى وأحب خلقى - أحسن وافضل وأجل واقيم وأجمل القصص بما أوحينا إليك بإرسالنا جبريل يتلو عليك ويسمعك ويحفظك هذا القرآن الذى هو نور منا لك وللعالمين ، لنعرفك ما لم تكن تعرفه عن أخبار السابقين من الرسل والنبيين إخوتك وغيرهم الذين لم تعرفهم وتعايشهم من الأمم السابقة التى ليس لك بها علم أنت ولا أحد من أمتك ، لكى نثبت فؤادك ونطمئنك ونبهجك ونسري عنك ونعظك ونعلمك ، ونثبت قلبك على الإيمان • هذا هو المعنى الأول ، وهنا القص والإخبار والتعريف خاص بسيدنا محمد أولا لأنه المعنى من الله بالدرجة الأولى لأنه نبيه ومصطفاه وأحسن خلقه إليه تبارك وتعالى • وبما أن القرآن بنى على التشابه والمثانى مما يحمل للكلمة أو الآية معنيين وقد عرفنا الأول ويبقى الثانى حيث ينصرف المعنى على العموم لمن يقرأ هذا القصص فى القرآن يصبح هو المعنى بنداء ومخاطبة الله له أنا وأنت وغيرنا ، ويصبح المعنى من الله الذى يقول نحن نخبرك ونعلمك ونعرفك أنت يا من تقرأ القرآن المتضمن لهذا القصص نعرفك بما لم تكن تعرفه عما سبقك من أخبار المرسلين السابقين من الرسل والأنبياء والصاحين وغيرهم من الطغاة الفاسدين والكفرة الملاحيد لكى تتعظ وتتعلم وتتعرف قدرة الله وأحكامه وثوابه وعقابه ووعده ووعيده لمن يخالف أوامره ونواهيه ويكفر أو يؤمن برسله ، وكيف ينال من آمن واستحق ثوابه ، ومن

كفر كيف استحق عقابه وناله فى الدنيا والأخرة ، وذلك من أجل أن نطمـئن ونسـعد ونفرح ونقوى من إيمان من يؤمن بالله ، ونخيف ونرعب ونرهب من يكفـر ، كمـا تكون تسرية وتسلية وإمتاعا واتعاظا لمن يريد أن يفرج عن نفسه من كرب يلاقيه ، أو من حزن يرفل فيه أو من يأس يعانيه فيقرأ هذه القصص ويتذكرها ويفهمها ويعيهـا حتى تكون له السلوى والعلاج النفسى الذى يعالجه من كل ما علـق بـه مـن أدران ومخاوف وأحزان وغيرها ، فتكون سببا لتجديد الأمل والاصطبار علـى صـعوبات الحياة وتكون الزاد لمواصلتها والإحساس بجمالها وحلاوتها والتمسك بطاعتي ومحبتي وشكواه واللجوء إلىَّ فى كل شيء ، فأنا المعين وأنا مفرج الكـروب وقابـل التوبـة وباعث السرور ومبدل السيئات بالحسنات وأنا الذى أجزى وأنا الذى أعاقب وأمـرى بين الكاف والنون ، وإنى قادر على كل شيء بالحق والعدل والإحسان ، وأنا أقرب لك حين تناديني من جوارحك نفسها لأنى أراك وأعرفك ولا تخفى على خافية لأنى لا أنام وأنا الرحمن الرحيم اللطيف بك .

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف] تلك القرى وهى : قرية بابل التى كان فيها سيدنا نوح . وقرية الأحقاف كانت مساكن عـاد فـي جنوب شبه الجزيرة العربية ، وهى القرية التى كان فيها نبى الله هود الـذى أرسـل فيهم. وقرية ثمود التى كان فيها قوم سيدنا صالح عليه السلام الذى أرسل فيهم وكانوا عرباً من العاربة يسكنون بين الحجاز وتبوك ،وقرية سدوم على شاطئ البحر الميت، فيما يعرف اليوم بالأردن التى أرسل فيها سيدنا لوطا . وقرية مدين التى كـان فيهـا سيدنا شعيب هذه القرى نقصُّ عليك – يا محمد – من أخبارها التى أرسلنا إليها رسلنا بالبينات والمعجزات والحجج الواضحة الجلية على صدقهم ، فلم يؤمن أهل هذه القرى

بما جاءتهم به الرسل التى أرسلناها لهم ؛ بسبب طغيانهم وتكذيبهم بـالحق فاسـتحقوا العذاب الذى أنزلناه عليهم · ما يحصل به عبـرة للمعتبـرين وازدجـار للظـالمين، والعبرة والعظة لمثلهم من أمتك من مثل هؤلاء الكافرين المذكورين من أهل القـرى السابقة ، يختم الله على قلوب الكافرين بك وبرسالتك وسيكون لهم الخزى فـى الـدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة·

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود] ونقصُّ عليك يا محمد – صلى الله عليه وسلم – مـن أخبـار الرسل الذين كانوا قبلك ، كل ما تحتاج إليه مما يقوّي قلبك ويشد من أزرك ويزيد من صبرك ليعينك على القيام بأعباء رسالة الإسلام التى هى للناس كافة ، وقد جاءك فـي هذه السورة التى تشمل القصص المتنوعة وما اشتملت عليه مـن أخبـار وتعريـف وتسرية وتعليم لبيان وتوضيح الحق الذي أنت عليه ، وجاءك فيها موعظة تزيد مـن إيمان المؤمنين وردع يرتدع به الكافرون ، وذكرى يتذكر بهـا المؤمنـون وإيقـاظ لضمائر العاصين والخارجين عن طاعتك وطاعتي·

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾[الكهف]

نعرفك يا محمد أخبار بعض الصالحين الذين لم يكونوا من الرسل ولا الأنبياء آمنوا بى وتمسكوا بإيمانهم رغم ما قابلوه من أذى واضطهاد – نقص عليك خبرهم بالصـدق ، إنهم شُبَّان صدقوا فى إيمانهم وامتثلوا لأمرى فزدناهم هدى وثباتًا على الحق ·

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [طه] نعرفك يا محمد أخبار ما قد سبقك من إخوتك من الرسل والأنبياء الذين سبقوك وآتينا كل واحد كتابـه

وقد أتيناك من عندنا هذا القرآن العربي معجزة لك وتشريفا لأمتك من العرب وذكرى لمن يتذكر .

ما سبق هو خلاصة الفائدة والهدف الأعظم من القصص ، حيث فيها العظة والعبرة والنصيحة والتعليم والذكرى والتسرية والتسلية والاقتداء والعلاج النفسي بالخلاص من الأحزان ، والتسرية عن الفؤاد والسرور والبهجة للقلوب ، والتطهير للضمائر من الأدران والشرور والآثام ، والعلاج للنفوس من الأحقاد والكره والعداء وتخليص العقول من اليأس والقنوط والشرور ، وزرع الآمال في النفوس .

ما الفعل الحقيقي الحق ؟

القصص فى القرآن نزلت من أجل سيدنا محمد قبل أى واحد منا لتكون له عبرة وعظة وتثبت فؤاده وتعظه وتسليه وتسرى عنه وتبهجه ، هذه القصص بالنسبة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولنا نحن المؤمنين به هى فى حقيقتها كانت لفعل حقيقى حدث فى الماضى ، وكما قلنا إن الماضى لا يعود إلا قولا نخبر به نحن لنعرفه ونستقى منه العبرة والنصيحة والموعظة وغيره ؛ لأن القصص كانت لأنبياء ورسل وصالحين أرسلهم الله فى الأمم السابقة، وكل واحد منهم كان يحمل رسالة من الله وكتابا مقدسا منه مثل سيدنا موسى نبي بنى إسرائيل أى نبي اليهود وقد أرسله الله برسالة منها تخص فرعون مصر الطاغية ؛ لكى يحرر بنى إسرائيل من استعباده ليكونوا أحرارا يعبدون من يستحق العبادة الذى عرفهم موسى وهو الإله الواحد والذي لا تصلح ولا تكون العبادة إلا له ، وأعطاه الله التوراة التى إلى يومنا هذا هم يسيرون على هديها ويؤمنون بموسى ومن جاء بعده من رسلهم التى كانوا منهم ، وهم يعيشون على حدودنا وتربطنا معهم معاهدة سلام . ثم سيدنا عيسى نبى المسيحيين الذى جاء بالإنجيل ذلك الكتاب المقدس الذى أرسل به ليعبدوا الله على هداه وهم إلى الآن يعملون

بهديه ويؤمنون برسوله عيسى وهم يعيشون إخوة لنا ، ولم يقل اليهود ولا المسيحيون ويتدارسون فيما بينهم أن نبيهم موسى ، وما جاء به سوى قصة كما هى عندنا نحن المسلمين قصها الله علينا فى القرآن الكريم ونؤمن أنه رسول حق ورسالته حق أرسله الله بها ، وكذلك سيدنا عيسى وأخبر بهم سيدنا محمد عن طريق الإخبار أى القصص ولكن لأخبار حقيقية حدثت فعلا ، وكما أكدنا أنها حقيقية فعلا أن اليهود والمسيحيين لا يحملونها على أنها قصص بل فعل حقيقى لرسل من قومهم من بنى إسرائيل مركز تفاخرهم على الأمم من أنهم أولاد وأحفاد أنبياء الله. وأعود فأقول إن تلك الأفعال الحقيقية التى مضت عادت إلى سيدنا محمد بالقص القولى فى القرآن . ولكن ماذا نسمى ما قام به سيدنا محمد ؟ إنه قام بفعل حقيقي وكان مشاهدا من أهل مكة والمدينة وغيرهم من الأقطار ، والفعل الحقيقى الذى قام به كلفه الله فيه برسالة الإسلام للناس كافة وهو إلى الآن بالنسبة لنا لا يزال فعلا حقيقيا ليس قصة ولا أسطورة ولا شيئا من هذا القبيل مع أن سيدنا محمداً مات ، ولكن سيرته عطرة بيننا إلي أن تقوم الساعة ، ولا يستطيع مشكك كائنا من كان أن يطعن فى هذا الفعل الجلل العظيم مهما بلغ من غلو وكفر وإلحاد وكراهية وعداء ، ولذلك عندما نريد أن نتكلم عن الفعل الحقيقى المشاهد فلا نستطيع أن نتجاوز حدودنا إلى فعل آخر ليكون هو الملهم والدليل والبرهان لنا فى إثبات الفعل المشاهد الذى نريد له أن يكون قصة فعلية تشاهد وتأتى أكلها الطيب وثمارها الوارفة وعظتها الطاهرة ونصحها الراشد وتعليمها العظيم وتسليتها النبيلة ومثالها الرائع ، ومنه نصل إلى أصل الفعل المشاهد.

أصل الفعل الحقيقى

عندما نتعرض أو نتكلم أو نكتب عن فعل سواء كان حقيقيا أو خياليا أو غير ذلك لأي غرض من الأغراض أو هدف من الأهداف ، فلن أجد ولن يجد واحد فى العالم

ولا فى الدنيا بأسرها منذ أن خلقها الله إلى أن تقوم الساعة إنسان قام **بأحسن وأفضل وأجل وأروع وأنبل وأعظم فعل حقيقى ليس له نظير ولا شبيه ولن يكونُ** ، إنه **خير فعل يقوم به بشر ويؤديه على أكمل وجه ، هو محمد رسول الله خير ولد آدم ، هذا النبي العربي الأمي خاتم النبيين وأشرف المرسلين وأنبل العالمين** ، وأحب خلق الله إلى الله فهو مصطفاه وحبيبه ، ليس بأسطورة ولا هو ملك مخلد ولا هو بإله يعبد بل عبد الله وأخلص له العبادة فخصه الله برسالة الإسلام ليخلص الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، وليعلم العالم كيف يعبد الله حق العبادة ، وكيف يعيش الحياة منعما مرغدا فيها ، ويكسب الآخرة لينعم ويرغد فيها أيضا ، أى يكسب الإنسان السعادتين فى الدارين الدنيا والآخرة ، فأخلص فى دعوته وجاهد فيها حق الجهاد وبذل فيها تمام البذل على الوجه الذى يرضى الله ، حتى أتمها على أكمل وجه وشهد له رب العزة، ونشهد له نحن بذلك • ولذا لا أجرؤ عن التحدث أو الاقتراب من كلمة فعل تحقق أو ما يزال يتحقق إلى أن تقوم الساعة ولا أذكر سيد الأفعال والأقوال من علم الإنسان العمل الحق ، ولا يكون دليلنا ومرشدنا وهادينا وواعظنا ومعلمنا وشرفنا وتاج رءوسنا وحبيب قلوبنا رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب سيد أحسن قبيلة فى قريش، من خير منبت وأشرف نسب ، وهنا أنا أتكلم عن فعل حقيقى ليس قصة مؤلفة، ولا أسطورة خيالية مبدعه ، ولا إبداعا ولا تخيلا ولا تأليفا من عندي حتى يكون له القبول أو الرفض أو الجدال أو المساومة حتى أضعك أنت أيها المؤلف الكريم أمام مسئولياتك من تريد أن تسطر لتصنع فعلا تشبيهيا يشاهد من الجماهير ويكون له أثره المدوي ويأتي أكله الطيب بإذن الله ، فأنظر كيف يكون وضعك ، وكيف تكون رسالتك وكيف تكون مسئوليتك ، إن رسالتك عظيمة ومسئوليتك جسيمة وحسابك عسير وخطبك جليل ، فلا تزل ولا تذل ولا تصغر ولا تقهر واجعل فكرك مشبعا بكتاب الله وسنة نبيه– صلى الله عليه وسلم– حتى لا تضل ، واجعل رسالتك المتعددة المتغيرة

لكل قصة تكتبها مبعثها رسالة رسول الله رسالة الإسلام التامة الكاملة التى لم تترك رسالة صغيرة ولا كبيرة إلا وفندتها وبحثتها ووضعت لها الأطر السليمة والحلول الصحيحة والطرق القويمة ، ولذلك لابد أن يكون فكرك ثابتا غير متغير، وفكرتك متغيرة دوما، وأقصد بالفكر العقيدة والمعتقد أى الثبات على المبدأ والمبدأ لا يتجزأ ٠ أنت أيها المؤلف الكريم مستخلف من الله فى حدود قصتك التى تكتب ، ولا تنس أن الله هو الذى فضلك عن غيرك من الناس بهذه الهبة ، وهى الموهبة التى بها تستطيع أن تبدع وتكتب مآلا يستطيع غيرك أن يفعله لأنه يفتقد الإمكانية التى هى هبة ونور من الله وخصك بها أيها المؤلف دون غيرك ، فأنت مفضل من الله عن باقى الناس ، فلا تجعل هذا التفضيل وبالا عليك ، وتمسك به نعمة كبرى لا تضاهيها نعمة فأنت تكتب بنور الله وقبس منه فأنت صاحب رسالة عظيمة بكل ما تعنى الكلمة ، والرسالة هذه إلهام من الله وتكليف وتشريف غير مباشر منه لك ، وما يؤكد ذلك بأن الله أوحى لبعض خلقه ولم يكونوا من الأنبياء ولا من الرسل للقيام بأعباء معينة ، فقد أوحى وألهم أبا طالب جد الرسول محمد أن يسميه محمدا مع أن هذا الاسم لم يكن معروفا فى قريش كلها ولا فى العرب آن ذاك ، وكذلك أوحى لأم موسى حتى تتفادى ذبحه وتفرح به وينجو من المصير المحتوم الذى فرضه فرعون مصر على بنى قومها من الإسرائيليين ٠ والأمثلة كثيرة كثيرة ، وقال العلماء أن الرؤيا هى إحدى مصادر المعرفة والعلم٠

ونعود إلى متن الحديث ونسأل: ماذا نسمي ما حدث للرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – من فعل حقيقي كان يقوم به ويشاهده الجميع من أهل مكة ثم من أهل المدينة وغيرهما ؟ يوحى إليه به ولم يكن يعرفه وحتى بعد أن قام الرسول بالفعل ، من فعل أمر﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق] اقرأ باسم ربك الذي أوجد الخلائق

وعرف أنه منوط به القيام بالفعل ، ومختار من الله ليقوم بتبليغ الرسالة ، التى لم يكلف بها إلا في سن الأربعين [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أنزل علىُ رسول الله وهو ابن أربعين ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم] ليقوم بالفعل وهو لم يكن يعرف ما سيحدث والدليل على ذلك أنه كان يسأل جبريل عما يلاقيه من صعاب ومشاكل ، أو أسئلة ليس له بها علم . وما جاءه من أخبار لأفعال وحوادث ستقع وجاءت فى صورة المضارع ، وأول فعل يحدث للرسول فعل مروع مفزع ومخوف إذ يأتيه الملك أمين الوحى جبريل ويقول له ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت : ما أقرأ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قال قلت: ما أقرأ ؟ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، فقال اقرأ قال قلت: ماذا أقرأ ؟ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، فقال اقرأ قال فقلت: ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ، فقال ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق] فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا . قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. قال فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي

حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عنى) ويرجع الرسول إلى زوجته يرجف فؤاده، زملوني زملوني فزملوه فقال: (لقد خشيت على نفسي، فتقول له خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) وهنا لم يكن الرسول يعلم ما طلب منه من فعل وهو القراءة.

النبي كان يفعل فعلا حقيقيا مشاهدا من قومه لم يكن يعرف عنه شيئا ، ويخبره جبريل خبرا بخبر لينفذه الرسول ، من عجب العجاب ومن إعجاز القرآن أن سيرة الرسول وحياته كلها مثل حياة الأنبياء السابقين الذين جاء ذكرهم في قصص القرآن ، وأسماها المفسرون قصص الأنبياء ، ما جرى حياة كاملة عاشها الأنبياء من قبل وقصها الله تنطبق تماما على حياة الرسول محمد – صل الله عليه سلم – وكأنها صورة طبق الأصل من حياتهم وكأن خط حياة الأنبياء جميعا واحد ، ولا غرابة في ذلك على الإطلاق؛ لأن الخالق واحد أحد ، والواجد واحد أحد ، وباعث الرسل واحد أحد . ولذلك سنأخذ العبرة والتطبيق الصحيح للفعل من سيرة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – التى تعتبر نبراسا ودستورا ونورا لمن يريد أن يهتدي ، ويهدى لمن أراد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، أى يفهمه من معاني كلام القرآن ما يفيد به نفسه، ووجب عليه إفهامه للناس ؛ لأن من بلغ أى أفهم بإلهام ونور من الله من القرآن الكريم صار بليغا أى رسولا ، وحق عليه البلاغ أى إخبار الناس بما أدرك وفهم ووعى.

من سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي تعتبر ماسسملهاة القيم ، الماسملهاة الجامعة لكل من : الأخلاق ، السلوك ، المعاناة ، الشخصية ، القومية ، والقيم ، والتي تعتبر عالمية لكل البشر– وسبحان الله عما يصفون – كما بعث

الرسول محمدا للناس كافة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [سبأ] وسنعرفها بالشرح والتفصيل فيما بعد في موضعها إن شاء الله ومن أمثلة حية لهم ، وجئنا ببناء القصة لسيرة سيدنا محمد بناء على النموذج الفريد المعجز الذي جعله الله لنا – لمن يعي ويفهم ويتفقه ويتدبر – حتى تكون نموذجا لما يجب أن تبنى عليه أى قصة وهى قصة سيدنا يوسف عليه السلام فى سورة تامة كاملة لم يتدخل فى صياغتها ولا ترتيبها ولا جمعها العلماء والمفسرون وحتى الرسول الكريم ولا الصحابة التابعون ، فهي تنزيل الله الكامل الذي لا يستطيع كائن من كان أن يغير أو يبدل أو يدخل تعديلا عليه ، وقد طبقت هذا النموذج على الكثير من قصص القرآن فلم يخرج بناء القصص عن نفس الأصول والمكونات والأسس والقواعد والقوانين والشروط والأهداف ، مع أن بعض القصص جاءت غير مبسوطة كل البسط فمنها ما بدأ من الوحدة الثالثة وهى العقدة مثل قصة سيدنا زكريا ، وما بقى من اختلافات فى القصص بين كل نبي أو رسول إلا ليضيف شيئا جديدا يضاف إلى اسم ومضمون وموضوع القصة ، لا فى متنها من ثوابت البناء والأسس والمكونات ، وهذا الاختلاف هو ما أوصلني ودلني على أنواع القصة الروائية وأنواعها ، والقصة الفعلية الفنية الدرامية وأنواعها . ولذلك أبني من سيرة الرسول الكريم قصة بناء على النموذج المعجز فى سورة يوسف وليس من عندياتى لأدلل على أن القصة الفعلية فعل يشاهد ويعمل ويتحقق . وللعلم الفرق بين القصة والسيرة ، أن السيرة مثل القصة الملحمية تماما أشمل وأعم من القصة القصيرة والقصة الروائية ، وتقل عن القصة القومية ، ولكن السيرة لا تعتبر فنا قصصيا على الإطلاق ؛ لأنها تشتمل على كل ما يحدث للشخصية فى حياتها كلها ولا يتحقق فيها البناء الصحيح للقصة ، وتفتقد الحبكة الرابطة والمعللة لكل ما يحدث ، إذ ليس كل ما يحدث للشخصية من أحداث وحوادث يشتمل عليه متن القصة ، رغم توفر حسن الصياغة ودقة الوصف ، وتوافر الشخصية وجوهر القضية والبداية والابتلاء والزلة والعقدة والانفراجة والتعرف والنهاية . فليس كل ما

يحدث فى حياة الإنسان من غير رابط يكون قصة أو أدبا . ولذا لو بدأنا القصة من بداية الفعل الحقيقي منذ أن نزل الوحي جبريل - عليه السلام - على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بتكليفه من الله بالرسالة نسمي تلك قصة روائية ، بينما لو صغناها من قبل أن يولد وحال المجتمع الجاهلي وحال العالم قبل مولده - صلى الله عليه وسلم - ثم مولده إلى وفاته تكون قصة ملحمية ، كما فى قصة سيدنا موسى ، وبالطبع معروف للكافة منا سيرته صلى الله عليه وسلم من قبل أن يولد ، إذ يكفى أن نعرف أن أبا طالب جد محمد بوحي غير مباشر من الله ألهمه أن يسميه محمدا ، وأنا هنا لا أستطيع أن آتى بأكثر مما جاء به علماؤنا وشيوخنا وأساتذتنا ومفسرونا ، ولذا أنا أدلل على متن القصة لا شرحها ، ولا نستكثر على القرآن عظمته وأن به كل جديد ما شاء الله إلى يوم القيامة ، ولا تفنيدها من عندي بل من علمهم وشرحهم ، جزاهم الله عنا خيرا وعن كل المسلمين اللهم آمين، وسأبدأ الاستدلال منذ وقوع الفعل الحقيقي ، كما نص القرآن الكريم ، أى منذ ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق] أقرا باسم ربك الذي أوجد الخلائق ، إلى قوله :﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة :٣] هذا هو الفعل التام الكامل ، مطبقا بالقياس على القصة النموذج سورة يوسف ، وسيرة الرسول محمد درس ونبراس ونور وعظة نسير على هداها ونستلهم منها ما يمنُّ الله به علينا من فتح ؛ لأنه الرسول الخاتم للعلم الذي يريد الله للناس أن يتعلموه ، ومنها أنى أستدل على القصة التى بعون الله جعلتها علما ، والعلم معروف بالدقة والقوانين وغيرها ، هذا هو دليل من عبد من عباد الله يدلل به على عظم وإعجاز القرآن الكريم ، وقد سبق فى مقدمة الكتاب الأسباب التى دفعتني للتفكير والتمحيص والتدبر ومحاولة الفهم لعلم القصة فيه ، وبسببها خرجت بهذا الكتاب الثانى الذي سيكون بإذن الله للعالمين ، لا للعرب ولا للمسلمين فقط ؛ لأن فن القصة

بنوعيها روائية ودرامية يصنعها العالم أجمع على اختلاف مشاربه وإبداعه وصناعته ، ولذلك نريد للجميع العلم الحق الصحيح ؛ لأنه من رب العالمين ، وليس اجتهاد بشر ، ولا من مشاهدات وإبداعات بشر ، لكنه من عظم القرآن ، ومن عظم رسول المسلمين آخر الأنبياء والمرسلين وإمامهم .

إذن الفعل شيء والقول شيء آخر ، والدليل على ذلك أن الله تعالى لن يحاسب إلا ما سيقوم به الناس من فعل وقول يقع وينفذ ويشاهد لهم وللأرض التي ستشهد بذلك يوم القيامة بما شاهدته عليها ، وتحقيق الفعل والقول وتنفيذه يأتي من تجسيده وإحداثه على أرض الواقع . والله يخبر سيدنا محمدا بما سيقع من فعل سيحدث في المستقبل لا ريب ولا شك فيه ، القريب أو البعيد مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ [الأنعام]

للدليل على المثال أو ما نسميه نحن التشبيه أو التشخيص أو التمثيل ، لقصة نكتبها لتجرى أحداثها أمام الناس وتشاهد رؤى العين لا عيب فيها ؛ لأن الله تعالى ضرب الأمثال حتى يقرب لنا المعاني وما يريد تعالى بسطه وإفهامه لنا﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [البقرة] يقول ابن كثير في شرح الآية: إن الله تعالى لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئا ما ، قلّ أو كثر، كبر أو صغر ، ولو كان تمثيلا

بأصغر شيء، كالبعوضة والذباب ونحو ذلك ، مما ضربه الله مثلا لِعَجْز كل ما يُعْبَد من دون الله ، فأما المؤمنون فيعلمون حكمة الله في التمثيل بالصغير والكبير من خلقه، وأما الكفار فَيَسْخرون ويقولون: ما مراد الله من ضَرْب المثل بهذه الحشرات الحقيرة؟ ويجيبهم الله بأن المراد هو الاختبار وتمييز المؤمن من الكافر؛ لذلك يصرف الله بهذا المثل ناسًا كثيرين عن الحق لسخريتهم منه ، ويوفق به غيرهم إلى مزيد من الإيمان والهداية. والله تعالى لا يظلم أحدًا، لأنه لا يَصْرِف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته.

إن غاية مرادنا نحن البشر من نكتب القصة التى تمثل أن نعظ بها الناس ونعلمهم ، ونخبرهم بمثال تمثيلي لنماذج من قضايا البشر الفاسدة لنفندها ونعريها ونطرح لها الحلول ، من نموذج لبطل واحد أفضل منا لما يجب أن يكون ، لا إلى ما هو كائن ، كما ساق الله فى قصص القرآن ، حتى نعظم من الفائدة والجدوى، ونبنى القصة كما علمنا الله أن نكتبها كما أوردها تعالى فى القرآن ، ومنَّ الله علينا أن نفهمها ونستخرج منها مكنونها فى كيفية الصياغة والكتابة وحسن الصنعة والترتيب وغيرها ، وما مرادنا من هذا الكتاب إلا الإصلاح والصلاح للجميع ، أولهم لمن يكتب ، وثانيا لمن يكتب له وهم نحن ؛ لكى يكون التشبيه والتمثيل مثالا صحيحا.

أدوات تحقيق الفعل الحقيقى

١- الشخصية ذات واعية (إنسان)

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح: ٢٩] فاضل ونبيل ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] منَّ الله عليه فيكون رفيقًا بمن حوله وبنا وبالعالمين جميعا ، ولو

كنت سيئ الخلق قاسي القلب لانصرف أصحابك من حولك ، ولذا يتجسد فيه النبل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم] ليؤدى رسالة سامية حقة ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩ ﴾ [النمل:] تامة ، كاملة ، عظيمة.

٢- الفكر مشبع بعقيدة سماوية ، ومعتقد فكر بشرى .

وهى التى يؤمن بها وتكون مصدر تصرفاته وأفعاله وسلوكه وحكمته ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم] أى دين الإسلام العظيم الذي جاء به ، دين الفطرة ، دين الوسط ، دين الفلاح والنجاة ، سهل ميسّر، عام شامل ، كامل تام ، دين جاء ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، ومن شقاء الكفر إلى سعادة الإيمان ، صالح لكل زمان ومكان الذي جاء بالعلم النافع والعمل الصالح.

بهذا الفكر يستطيع التفريق بين الحق والباطل ، الفساد من الصلاح ، وهو أداته ليقرر رأيا ، أو ينصح نصحا ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الاخلاص]

ومعتقد فكر بشرى صالح حسن اتفق على صلاحه وصار عرفا ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ [الأعراف] أى اقبلْ الفضل من أخلاق الناس وأعمالهم ولا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا ، وأمر بكل قول حسن وفعل جميل ، وأعرض عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء.

٣- الفكرة قضية : من حال الناس الذين نريد تناولهم ؟

حال المجتمع ؟ حال الدنيا ؟ حال العالم ؟ من الأفعال المثيرة المفزعة الفاسدة التي تحدث من الناس وبهم وتكون سببا لفكرة القصة﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة] ٠من ظلمات الفساد والكفر والعصيان إلى نور الصلاح والإيمان والطاعة٠

كما نجمله في حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضي الله عنه للنجاشي وقوله : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ٠ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

٤- اللغة المعبرة للحوار: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف] التي ينطق ويتحدث ويتعارف ويتفاهم ويتفاعل بها الشخصيات ؟ إنها اللغة العربية الفصحى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

[طه]

٥- المكان : ما هذا الذي تدور فيه المشاهد ؟

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران] إنه في مكة المكرمة ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب: ١٣] وفي المدينة المنورة ، وتشملهم الجزيرة العربية كلها.

٦- الزمان : ما الزمان الذي تدور فيه الأفعال ؟

عام الفيل أي حوالي سنة خمسمائة وتسعة وخمسين من ميلاد المسيح عليه السلام .

٧- الطول المستغرق للفعل:

لابد للفعل المتدفق المتطور من طول معين يتحقق فيه أشياء كثيرة وحتمية للقائم بـه ؛ لأن ذلك من طبيعته ، فليس هنالك فعل بدون فاعل وليس به حركة وإلا ما صار فعلا وما صار القائم به ذات واعية أو حتى غير ذلك وهذا الطول تحدده سبع وحدات ، سبعة أطوار لابد أن يمر بها الفعل حتى يكون تاما وكاملا ، ويحقق ثماره المطلوبة من تغيير حتمي للقائم به تمكنه من تغيير حظ حياته من الشقاء إلى السعادة ، مما يحقق لنا إمتاعا وتعلما وعظة . والأطوار السبعة تؤثر فيه تأثيرا كبيرا ، تغير من طبيعته ومن طبيعة القائم به ، إذ لا بد أن يتسم النصف الأول من الفعل بالصعوبة البالغة والتي تجهد البطل الفاعل إجهادا كبيرا ، مما تجعل حياته في شقاء وعناء وأحزان وألام ، ثم النصف الثاني من الفعل والذي يتسم باليسر ويبدأ بالانفراجة حيث يحدث فيه التغلب على الصعاب والأزمات والموانع والمعارضات التي حتما تقابله وتوضع في طريقه ، ويتغلب فيه القائم بالفعل على مصارعيه ويتفوق عليهم ويحالفه الحظ من خلال بذلـه وجهاده غير العاديين ، مما يحيل حظ حياته إلى السعادة المتصاعدة ، حتى يصل في

النهاية ويتمكن من الحصول على حاجته ويحقق هدفه ، وينتهي بسعادة ويسر ونجاح ، عكس البداية التى تكون غالبا محزنة وصعبة وبها شيء من الفشل٠

النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – استغرق منه الفعل الذى قام به وأداه على أكمل وجه ، وهو رسالة الإسلام العظيمة حوالي ثلاثة وعشرين سنة٠

٨- الأهداف :

الأهداف كثيرة يكفى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، والقدوة الحسنة ، والسعادة والصلاح في الدنيا والآخرة الخ٠

أصل تعريف الفعل الحقيقى

البداية

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق] فعل عظيم لمشهد مثير ومدهش ومفزع وجذاب ومقنع وممتع وغامض ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [النبأ] فهو النبأ العظيم ، والحدث الهائل ، والخبر العجيب ، والشأن الفخم والأمر الضخم ، فمبعثه حقيقة هو أروع الأنباء وأعظم الأخبار ، فقصة إرساله عليه الصلاة والسلام لا يلفها الظلام ولا تغطيها الريح ولا يحجبها الغمام ، فإنما هي قصة عبرت البحار واجتازت القفار، ونزلت على العالم نزول الغيث ، وأشرقت إشراق الشمس، فهو باختصار نور، وهل يخفى النور؟. ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

ٱلرُّسُلُۚ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران] لشخصية عظيمة نبيلة وهو بشر مثلنا ، فهو عليه الصلاة والسلام بعث ليعبد الله وحده لا شريك له ، بعث ليوحد الله ، بعث ليقال في الأرض لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بعث ليحقّ الحق ويبطل الباطل ، بعث بالمحجة البيضاء والملة الغرّاء والشريعة السمحاء ، بعث بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، بعث بالخير والسلام والبرّ والمحبة والسعادة والصلاح ، والأمن والإيمان ٠

حاجات يريد أن يحصل عليها :﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة] بإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر ويتمثل في ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [المائدة] المسكرات والقمار والأصنام وقداح الاستقسام ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ [التكوير] قتل البنات من غير ذنب ولا جريرة ٠ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[الإسراء] قتل الأولاد مخافة الفقر والعوز والحاجة ٠ يخرجهم من كل ذلك إلى نور الحق والعدل والإيمان والمساواة والصراط المستقيم الذي فيه الخير كله في الدنيا والأخرة ٠

أهداف يريد أن يحققها :

﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء]

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران]

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة]

وهذه الحاجات وتلك الأهداف تتعارض مع حاجات وأهداف شخوص آخرين ؛ فتنشأ المشاحنة والمجابهة والصراع....

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر]

﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص]

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت]

فيقومون بفعل مفزع للوقوع به يهددون حياته – فنخاف عليه – (عن ابن عباس رضي الله عنهما : " إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ونائلة وأساف ، لو قد رأينا محمدا لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على

رسول الله فقالت : هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك فقال : يا بنية أريني وضوءا فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : ها هو ذا ، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم و عقروا في مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه بصرا ، ولم يقم إليه رجل ، فأقبل رسول الله حتى قام على رءوسهم فأخذ قبضة من التراب ، فقال : شاهت الوجوه ثم حصبهم بها ، فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا، ويزداد الصراع على أشده ، فيعذبون النبي ويؤذونه أشد إيذاء كما يوقعون بأصحابه أشد تنكيل وعذاب ، ثم يتآمرون عليه للوقيعة وإبعاده عنهم فيتغلبون عليه في مكان معلوم ، فتجتمع قريش على أن يتعاقدوا على أن يقاطعوا النبي وأهله جميعا بني هاشم وبني عبد المطلب و بني عبد مناف – ألا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة ٠ وحبس رسول الله ومن معه في شعب أبي طالب محبوسين ومحصورين ، ومضيقا عليهم إلى أبعد الحدود ، مقطوعا عنهم الميرة والمادة ، نحو ثلاث سنين ، حتى بلغهم الجهد ، وسمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب ، فيضعون له العقبة في طريقه فيصبح في أزمة وتزداد المقاطعة إلى أشدها حتى إن الرسول وأهله ومن آمن به أضناهم الحرمان وألجأهم أن يطعموا مالا مساغ له ، وهو يحاول التغلب عليها ويلتمس الأسباب والسبل الممكنة المحتملة أمامه وفي حدود مقدرته العقلية والجسدية ، ويحاول أن يجتاز هذه العقبة بكل السبل ويلجأ إلى الله فيقيض له أقواما من قريش تسعى لنقض تلك الصحيفة ، وأخبر رسول الله قومه أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة الأرضة ، فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله –عز وجل – فكانت كذلك ، فتم الصلح ٠ فيجتازها ، فيضعون أمامه عقبة أخرى في مكان اخر بدهاء ومكر وحيلة ، ويحاول التغلب عليها ، فيستغرق منه وقتا ليعد عدته ويجهز

أدواته جيدا ، ويقطع فيه زمنا يتعلم فيه ويتدرب ويحسب حساباته جيدا لينجح ويواصل طريقه نحو مسعاه ، فيمتحن في أخلاقه ورباطة جأشه ، وقيمه الثابتة ، وقوة صبره وعقيدته ومدى تحمله فيبتلى بالأحزان ، قال ابن إسحاق: إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت المصائب بهلك خديجة ، وكانت وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ، وبهلك عمه أبو طالب وكان له عضدا وحرزا في أمره ومنعة وناصرا على قومه ، ومن بعده نالت قريش من رسول الله وتجرأت عليه وعلى أصحابه ونالت منهم ما لم تنله في حياة عمه) فينزع إلى الصواب والصبر ليحقق حاجته بدون ضرر وبالقدوة الحسنة (فقد أصاب قريش بما فعلوه بالرسول وبما تقدم أيديهم – قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الدخان] والعناء والجوع ويحتاجون ويلجأون إليه فلا يصدهم (قال ابن مسعود رضي الله عنه قال : فأتى رسول الله فقيل : يا رسول الله استسق الله لمضر ، فإنها قد هلكت ، قال : "لمضر ؟ إنك لجريء " فاستسقى فسقوا ، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ٠ ويشددون عليه وعلى أصحابه بالتكبر والجبروت والإيذاء الشديد ، فيكون تواقا لأي مناصرين أشراف أقوياء ، فيذهب إلى مكان آخر حتى يجد مناصرين ويفعل فيهم دعوته عساه يحصل على بعض حاجته وبعض هدفه فيذهب إلى الطائف ، وفى الطائف يوقعون به الآلام والعذاب ، فيقاسى فيلجأ إلى الله بالدعاء شاكيا همومه و معاناته ومتلمسا النصر ، مجددا العزم على المضي قدما في تحمل

مسئوليته وتحقيق هدفه مستهينا بكل الصعاب مادام الله راضيا عنه (ويقول: اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، إلى من تكلني إلى عدو يتجهمنى ، أم إلى قريب ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا قوة إلا بالله) ويستجيب الله لدعائه ويعلمه أنه راض عنه ، وسيكافئه ويسرى عنه ويفرحه ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء] الله يسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم زمنًا من الليل بجسده وروحه، يقظة لا منامًا، من مكة إلى فلسطين ثم يعرج به إلى السماء ؛ ليشاهد عجائب قدرة الله وأدلة وحدانيته. إن الله سبحانه وتعالى هو السميع لجميع الأصوات ، البصير بكل مُبْصَر، فيعطي كُلا ما يستحقه في الدنيا والآخرة ، ويعود إلى قومه الذين آمن بعضهم ولكن المصارعين يضعونه في أزمة أخرى ويحاول التغلب عليها والخروج منها منتصرا ،فينازعهم وينازلهم ويحاول دفع الأذى عن نفسه ، ويتخطى تلك العقبة ، فيعقد بيعتى العقبة الأولى والثانية ، وبهما كسب مؤمنين ومناصرين له ، ولكنه ما إن يجتزها يجد أمامه عقبة أشد وأقوى...

الابتلاء

... تغير مجرى طريقه نحو هدفه ، وتنسجه فى اتجاه آخر مجبر عليه ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

[الأنفال] يبعده كل البعد عن حاجته وهدفه ، فيهاجر إلى المدينة المنورة مجبرا مكرها لا يطيقها إلا مؤمن صابر محتسب قوى الإيمان ، ومتمسك بهدفه الذي يريد أن يحققه لأن هجرة الأوطان بالإجبار ليس أمرًا هينًا ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء] وفى طريقه يجد الأهوال حيث يواصلون صراعهم معه ، ومحاولتهم القضاء عليه وقتله ، فيحاول التغلب عليهم بكل الطرق الممكنة ، والاعتماد على الله ، والأخذ بالأسباب بسلكه طرقا غير معهودة لمصارعيه حتى لا يمكنهم منه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة] ويصل إلى المدينة المنورة سليما معافى مستقبلا بالورود والرياحين من أنصاره السابقين الذين عقد معهم بيعة العقبة من قبل وصدقوا فى بيعتهم وعهدهم له ، ويفعل دعوته ويحاول أن يحقق أهدافه والحصول

على بعض حاجاته المتمثلة فى نشر القيم من العدل والتسامح والمساواة ، والدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لا تجوز ولا تصلح العبادات إلا له . ولكن المصارعين له يتآمرون عليه ويتبعون خطواته ، ويحاولون أن يحكموا عليه الحصار ويسدوا أمامه كل الطرق ، فلا ينتظر ليمكنهم من الانقضاض عليه ، بل يسارع فيخرج مبادرا إلى مصارعيه قبل أن يصلوا إليه ، ويصارعهم ويكاد يتفوق عليهم ، فيلتبس الأمر على بعض أصحابه وأتباعه ، ويغيم الطريق أمامهم من نشوة النصر ويتسرعون ، لابتغائهم مغانم الدنيا عن طاعة الله وطاعته فيخطئون ويأتون...

الزلة

... عن غير قصد ولا سوء نية ، ولا بترديهم في الخطيئة والشرور، فيناله المعاناة والآلام والأحزان ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران] في غزوة أحد عندما خالف الرماة أوامره وتعليماته حيث قال لهم ، عن البراء وعبد الله بن جبير قال : (جعل رسول الله على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا ووضعهم موضعا وقال : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، إن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) هذه المعاناة وتلك الآلام هي في حقيقة الأمر لا يستحقها على الإطلاق فقد أعد لكل شيء عدته - فنشفق عليه ونتعاطف معه- فتتعقد أمامه كل الحلول ، ويصبح في معاناة كبرى مستحكمة ، ويستعمل كل أدواته وما يملك من علم

وخبرة وحيلة ، ويحاول التغلب على هذه الأزمة وتلك المعاناة المستحكمة ، فيبحث عن مخرج ليخرج من هذه العقبة ويرفع عن نفسه المعاناة والآلام ، ويحاول تلمس طريقه مرة أخرى ، فيمتحن فى قوته وإيمانه وتمسكه بعقيدته ، ويسدون أمامه كل الطرق وتكون ...

العقدة

... يحاربونه بكل الأدوات التي تفتت الصخور وتدك الجبال وتعصف بالقلوب وتذهب العقول ، فيتهم في نفسه وفى عرضه وهو القائم على صيانة حرمات الناس، وأعراض البشر، وهو الذي جاء ليرسى ويثبت وينشر القيم الفاضلة ، التى تسمو بسلوك البشر وتجعلهم يعيشون آمنين على أعراضهم وشرفهم وكرامتهم وحياتهم بتحقيق الأمن والسلام النفسي والاجتماعي ، ومع ذلك يحاربونه فى قيمه و كرامته وأحب الناس إليه زوجته أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق ، ويتهمونها فى أعز شيء تملكه المرأة – اتهمت فى عرضها وشرفها – حادثة الإفك – وهى التي نبتت فى حقل الإسلام ، وابنة ثاني اثنين إذ هما فى الغار خل خليل الله وحبيبه . وبصبر وعزيمة وإيمان واحتمال، يصطبر، لا يتسرع ، ويكون حليما حكيما لا ظالما ، ويحاول دحر الابتلاء وفك بعض خيوط تلك العقدة المستحكمة ، وينقطع عنه الوحي شهرا كاملا مما يزيد من أوار العقدة ، ولا يوحى إليه لتتم التى قدرها وقضاها وتظهر على أكمل الوجوه ، ليزداد المؤمنون به إيمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده ، ويعرف المنافقون والكاذبون إفكا ونفاقا وكذبا ويظهر للرسول وللمؤمنين سرائرهم ونواياهم وحقيقتهم ليعرف من معه ومن عليه . ويجعلها فى قمة التعقيد والإحكام ، فلا يستطيع أن يفك هذه العقدة ، فيلجأ إلى الله حتى يعينه و يكشفه عنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ

خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور] إن الذين جاءوا بأشنع الكذب وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة ، جماعة منتسبين إليكم معشر المسلمين- لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم ، بل هو خير لكم ، لما تضمن ذلك من تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها ، ورفع الدرجات ، وتكفير السيئات ، وتمحيص المؤمنين ، لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب ، والذي تحمّل معظمه، وهو عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول كبير المنافقين- لعنه الله- له عذاب عظيم في الآخرة ، الخلود في الدرك الأسفل من النار . ويواصل طريقه بقوة نحو مسعاه ، فيقفون له بالمرصاد - فنشاركه حيرته و ندعو له - فتحدث الانفراجة فيقع حادث بعيد عنه ، ولكنه يكون سببا في أول بارقة أمل تجول أمامه، فيستغلها ويجتهد بعمله وتفانيه وإخلاصه وصدقه ، ويفعل كل أدواته حتى يكسب بها ، قريش في مكة تنقض عهد الحديبية وتهاجم خزاعة - وهى مع المسلمين فى حلف - وتقاتلهم وتقتل منهم واحدا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم

مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾

[الممتحنة] فاستعد النبي لفتح مكة والعودة إليها وهى قبلته ومحرابه وعنوان دعوته وبها بيت الله الحرام وبها شرط من اكتمال شروط الإسلام وهو حجها من استطاع إلى ذلك سبيلا ، هذا غير أنها بلده وموطنه الأصلي ، والتي أخرج منها مجبرا مرغما ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) ﴾ [الفتح] ويفتح ويدخل مكة المكرمة ؛ ليتلمس طريقه الصحيح مرة أخرى نحو باقى حاجته التي يريد أن يحصل عليها وباقي أهدافه التى يريد أن يحققها ، ويحدث...

التعرف

...التعرف على حقيقته وحقيقة حاجاته وأهدافه التى هى للناس كافة لا تخصه هو ذاته ، ولذلك تأتيه الوفود من كل جانب وفج ، وتدين له مكة كلها بسماحته وعفوه، وتأتيه قبائل العرب تدخل في الإسلام بعد أن تيقنوا نتيجة الصراع بينه وبين قريش . ويتغير حظ حياته من الشقاء إلى السعادة ؛ ليكمل خط سيره ليحصل على حاجاته بعمله وعلمه وبشهادة الأخرين وبسعي وطلب واجتهاد منه ، فيعمل من أجله دون كلل ولا هوادة ولا كسل ولا تراخ بل بعمل وجهد وصبر ويدفع الغالي والنفيس ليحقق هدفه ، فيحارب ويجابه ويتفوق (إرساله صلى الله عليه وسلم رسائل إلى الملوك والأمراء والقياصرة وغيرهم في سائر البلاد ، النجاشي فى الحبشة ، وكسرى في

فارس ، وقيصر ملك الروم ، و المقوقس ملك مصر ، و الحارس الغساني صاحب دمشق ، وهوذة بن على صاحب اليمامة ، والمنذر بن ساوى حاكم البحرين ، وجيفر وأخيه ملك عمان ، من استجاب وأسلم فسلم ومن لم يستجب حاربه رسول الله ، وتدين له الجزيرة العربية وغيرها ...) ويحصل على حاجاته ويحقق أهدافه وتكون ...

النهاية

... يذهب صلى الله عليه وسلم ليحج حجة الوداع الأخيرة ويخطب فى الناس ، وقد حقق هدفه ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة]

ويقرر رأيا عاما :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ

ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف] من يخالفه أى سيكفر سيناله العقاب الشديد و الشقاء المبين ٠

ويقرر حقيقة عامة :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة] وتكون تلك نهايتهم غيـــر مأسوف عليهم سواء قتلوا أو ماتوا ٠ ومن سيعمل به سيناله الجزاء الحسن والســعادة الجميلة في الدنيا والآخرة ٠

العظة :

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الفتح] فنتعظ منه ، ويحقق أهدافه بالحق والعدل فنقتدي بـــه ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام] فينال السعادة والهناء والرفاهية ، وتكون النهاية كذلك سعيدة فتفرحنا ونشعر بالطمأنينـــة والراحـــة النفسية التى تطهرنا وتعالجنا من مخاوفنا ٠

الفصل الثانى

أصل الفعل الدرامى المشاهد

قلنا فى الكتاب الأول وأثبتنا أن القصة نوعان ، قصة قولية روائية حدثت وما حدث لا يعود إلا قولا يحكى بالأخبار والتعريف ، لما حدث عن طريق السمع أى الحكى المسموع ، أو بالقص المكتوب ، وهنا نصل إلى النوع الثانى من القص وهو القصة الفعلية ، والفعل من طبيعته أن يكون مشاهدا من قبل مجموعة من الناس ، لأن القائم بالفعل لا يعيش بمفرده بل فى وسط أناس آخرين على الأقل المقربين منه يشاهدونه ويعرفون عنه الكثير ، والفعل من طبيعته أنه لا يحدث إلا فى الحاضر وأداة تحقيقه العمل ، والفعل فى أبسط معانيه وتعريفه هو كل ما يقوم به الشخص من عمل ومن طبيعة الإنسان أنه لا يعيش بمفرده لأنه كائن اجتماعي بطبعه ، ومن طبيعة الإنسان أن يعمل فى وسط آخرين فيصبح عمله مشاهدا من قبلهم ، أما فيما ينصرف على بعض العبادات والتى يختلى فيها المرء بربه بعيدا عن الأعين ابتغاء مرضاة الله وعبادته وحده دون رياء ولا إفصاح فإن الله تبارك وتعالى يراه ، إذن حتى العبادة الخالصة لله بعيدا عن أعين الناس فإنها مشاهدة ومرئية من الله ، ومن قبل الملائكة الذين يكتبون ويسجلون هذه الأفعال التى سيعاد عرضها على الشخص نفسه يوم القيامة ساعة الحساب من الله حتى تكون الحجة والدليل عليه الذى لا يستطيع المغالطة فيه ولا الكذب ولا النكران.

ما الفعل المشاهد الذى يصلح لأن يكون فعلا قصصيا دراميا يشاهد ؟!

القصة لها خصوصيتها وعالمها وعلمها الذى لا يتحقق إلا من خلال ، أسس ، وقواعد ، وأصول ومكونات ، وقوانين ، وشروط ، وأهداف ، وعندما يخضع الفعل

المشاهد للشروط والقوانين والأسس – التى سنوضحها ونشرحها ونفندها فى موضعها بإذن الله حينها يصبح الفعل الواحد مجرد مشهد واحد أو حتى مجموعة من المشاهد للقصة الدرامية.

فهل يصلح الفعل الواحد المكون من مجموعة معدودة من المشاهد يحكمها ويحددها هذا الفعل الواحد تصلح لأن تكون قصة فعلية درامية تصنع ويحولها مخرج إلى قصة فنية تشاهد ؟ بالطبع .. لا . ولو قصدنا بكلمة فعل وحملناه على أنه جمع أى جملة ما يقوم به الشخص منذ مولده ، عندما يصرخ الصرخة الأولى إبان خروجه من بطن أمه إلى براح الدنيا المشاهدة حتى مماته ، يكون فعلا تاما كاملا يصلح لأن يكون قصة فعلية درامية بالطبع لا أيضا ؛ لأن القصة الفعلية الدرامية لها خصوصيتها وطبيعتها والفعل فيها لا يتحقق إلا عندما تكون الشخصية ذات واعية تملك الاختيار والتفضيل، ولها حاجة تريد الحصول عليها ، ولها هدف تريد تحقيقه وتحدده من البداية ، حينها يكون ذلك بداية الفعل الدرامي ، وآية ذلك ما يستحق أن يكون فعلا حقيقيا من نقطة بداية ينطلق منها البطل على تحقيق ما يريده وما يهدف إليه ثم يسير فى طريق يقطع فيه سبع محطات لابد أن يقطعها حتى يصل إلى تحقيق ما كان يصبو إليه من حاجة وهدف وتكون تلك النهاية .

طبيعة الفعل المشاهد الدرامى أن يكون قضية أو إشكالية أو تأزما من شأنه أن يشدنا بمجموعة الروابط التى سبق تناولها ، والتى تعتمد على العواطف والمشاعر والأحاسيس والغرائز وغيرها ، التى تربطنا بما نشاهده ويؤثر فينا تأثيرا كبيرا ، والعنوان الظاهر بوضوح وجلاء لما نهدف إليه من تعريف الفعل الواحد المشاهد والذي لا يكفى ملء مساحة القصة المفروض لها طول معين معقول ، يحقق الإمتاع والتسلية والتسرية على النفس ويعالج الضمائر ويطهر القلوب ويكون عبرة وعظة

للعقول ، آية ذلك هذا المشهد من الأمر الرباني من الله ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور] هذا هو الفعل الدرامي الواحد – سواء كان مشهدا واحدا أو مجموعة من المشاهد – المطلوب لبناء القصة الفعلية المشاهدة ، هذا مشهد كامل تام وله بداية وعقدة وحل ، ولكنه لا يكفي أن يكون قصة لها طول تحقق الإمتاع منه ، ولو وضعناه في مشاهد القصة سيكون مشهدا من أهم مشاهدها، وهذا الفعل تنفذه دولة مثل السعودية وربما غيرها . ولو أردنا الوقوف على حقيقة هذا المشهد ووضعناه في سياق قصة درامية فعلية لا يكون إلا مشهد النهاية لقصة مأساة سوداء بطلها من أصحاب النفس الأمارة بالسوء ارتكبا الزلة وهما قاصدان وعامدان ومتعمدان ، فلذلك حق عليهما العقاب ، كما قطعا بداخلنا نحن المشاهدين أى عطف أو شفقة أو خوف أو رحمة أو رأفة أو تضرع لله من أجليهما ؛ لأنهما ارتكبا الزلة بإرادتهما الحرة فاستحقا العقاب ، وهى نهاية مأساة مؤلمة محزنة مفجعة لهما ، مفرحة سارة لنا نحن المشاهدين ؛ لأن الظالمين والمعتدين والمستبدين والخارجين عن طاعة الله والفاسدين للمجتمع وللناس ، قد تحقق فيهما عدل الله ، وأخذا عقابهما الذى يستحقون . ويكون عبرة وعظة لنا نحن المشاهدين بإثارة الخوف والترهيب لنا حتى نتجنب الوقوع فى مثل هذا الفعل المشين ، وتشنيعًا وزجرًا وإهانة وعظة واعتبارًا للذين ارتكبوا الفعل نفسه . وثبت فى السنة المطهرة بحكم آخر مضاف وهو التغريب لمدة عام عن المكان الذى كانا يعيشان فيه . هذا المشهد يعتبر لبنة من لبنات بناء القصة ومشهدا من مشاهدها .

قد بينا مقصدنا من الفعل سواء حملناه على محمل الجمع أى أن القصة تتكون من أفعال ومن مشاهد تشاهد ، أو حملناه ووضحناه على محمل الفعل المفرد الواحد حتى نبين أن الفعل الواحد مشهد واحد ولو تعداه إلى أكثر من تقطيعه فتكون البداية مشهدا ، ثم الانتقال إلى مكان آخر بمشهد آخر لا يخص هذا الفعل ولكنه من مشاهد القصة ، ثم العودة لمشهد العقدة من ذلك المشهد ، ثم القطع إلى غيره ، والعودة إلي مشهد الحل فإنهم فى النهاية يسمون مشهدا واحدا تاما كاملا سواء كان متواصلا أو متقطعا.

وما سنتبعه ونسير عليه حتى نتجنب الغلطة فسنقصد بالفعل الجمع لا المفرد ويصبح تعريف القصة الدرامية أنها فعل مشاهد ، تام ، وكامل وعظيم ، وواقعي ، ومتحقق.

الفعل التام :

ما يتوجب عليه قطع وتخطى سبعة أطوار بعمل جاد للقائم به تمكنه من الحصول على حاجته وتحقيق هدفه الحتمى ، سر وجود ونشوء الفعل نفسه الذى يضفى عليه النبل والعظم والاحترام والتقدير والتوقير وهى : بداية ، وابتلاء ، وزلة ، وعقدة ، وانفراجة ، وتعرف ، ونهاية.

الفعل التام المكون من البداية التي لا يسبقها شيء ولكن يتبعها شيء آخر يبنى عليها أو تكون مسببة له بالضرورة ، و الابتلاء ما يسبقه شيء يكون هو نتيجة له ويعقبه شيء آخر ينتج عنه بالضرورة لا رفاهية ، والزلة تنشئ تأزما و تتولد من شيء يسبقها ، وتعقد شيئا يلحقها ، و العقدة تكون نتيجة لأحداث تسبقها بالحتمية ، ويتبعها شيء آخر بالضرورة ، وتكون الانفراجة لشيء قبلها يكسره وتسهله لما بعدها حتمى الحدوث ، ويكون التعرف ويبنى على شيء قبله مأزوم أشد تأزم ومجهول إلى شيء ميسر معلوم وعادة يكون بين الشخوص ، والنهاية التى تكون لأشياء قبلها ولا

يتبعها شيء بالضرورة الحتمية ، فقد ولى زمن النهايات المفتوحة ، فإن لم يكن المؤلف بارعا فى وضع النهايات وحل ما يطرحه من مشكلات ، فمن الذي سيحل أو له القدرة على الحل ؟! إذا كان المؤلف لا يعرف حل ما عقده ، فنحن لسنا بصدد فزورة ولا يجب أن تكون كذلك على الإطلاق ، وكيف يبدأ القصة إذا كان لا يعرف النهاية ، إن النهاية تكتب فى ورق منفصل ، قبل أن يبدأ فى كتابة القصة نفسها ، إذ كيف تستقل قطارا وأنت لا تعرف إلى أى الأماكن أو المدن تذهب ، هل نعرف نحن؟

الفعل الكامل :

ما يستوفى قوانينه الملزمة بسبعة أطوار تسمح بتغير حال القائم به من حال إلى حال ، من الضعف إلى القوة ، من العسر إلى اليسر ، من الحزن إلى الفرح ، وانقلاب من حالة إلى عكسها ، من الجهل إلى العلم ، ومن الكراهية إلى الحب ، ومن الفشل إلى النجاح ، ومن الزلة إلى التوبة ، ومن الامتحان إلى النتيجة [وهم من خصائص الفعل المأسلهاة]

الفعل الممتع :

ما له طول يستغرق عمله وقتا طويلا متغيرا مشمولا بغموض وإثارة وتشويق وإبهار ، ومجمل بمجموعة من الجماليات للشخوص القائمة به ، والأمكنة التى يجرى فيها ، من خلال مشاهد متتالية تفصح وتكشف عن مضمون القصة جزءا جزءا مما يحقق الغاية منه بإحداث الإمتاع ، الذى يراوح فيه القائم بالفعل الصعب الشاق الذى يريد أن يحصل على حاجته ويحقق هدفه ، من البداية التى تكون نية ومقصدا القائم بالفعل ومن أجله يفعل ويعمل ، إلى الحد الذى يحول فيه هذه النية إلى حقيقة بحصوله على حاجته وتحقيق هدفه وتكون النهاية ، وما بين النية والتحقيق يقطع البطل رحلة شاقة وطريقا صعبا غير ممهد على الإطلاق ، يراوح فيه ويتقلب ما بين الحزن

والفرح ، ومن العسر إلى اليسر ، ومن الغموض إلى الوضوح ، ومن المستحيل إلى الممكن ، ومن غير المتوقع إلى المتوقع ، ومن التمهيد إلى المواجهة ، ومن اللين إلى الشدة ، ومن العجز إلى المقدرة ، ومن الشقاء إلى السعادة ٠ فى فترات زمنية تسمح بكل هذه المراوحة بين الأفعال ونتيجتها الحتمية أوالمحتملة ، وهو مبعث الإقناع والإمتاع والتصديق والتعليم ، مع المحافظة على عدم الإسراف فى الطول غير العادى حتى يستطيع العقل إدراكه وفهمه واستيعابه ، ليعينه على التعلم بما جاء به من فكر وفلسفة ونصح تغلفه الأفعال المتواصلة ، ويحقق أكبر قدر من التسلية والتسرية والتعلم والعظة ٠

الفعل العظيم :

هو القضية الكبرى التى يتناولها المؤلف ويريد طرحها ليفندها ويعريها ويكشف خللها ، ويصوغ حلولها من خلال عقيدته ومعتقده ، هو الرسالة التى يجب على البطل أن يحققها ، من خلال الحاجة المطلوبة له والتى يسعى لتحقيقها ويحصل عليها فى نهاية القصة ، وكذلك يحقق الهدف الذى من أجله يفعل منذ البداية ، والذي يحققه هو البطل لأنه حاجته هو وهدفه هو ، ورسالة المؤلف وفلسفته ومعتقده الذى يصوغه ويدشنه لنا فى نهاية المطاف – أى القصة لنأخذ به – إن كان حسنا ، أو ينهانا عن قبيح ويرهبنا لتركه ؛ **لأن الخوف هو العامل المؤثر القوى الذى يردع عقل المخ المتحرر، الذى لا تحده حدود ، ولا تردعه قوى ، غير الضغط عليه من قبل المشاعر والأحاسيس المتولدة من القلب من جراء الخوف والتهديد ، المرسلة بقوة من عقل القلب الذى ليس له سيطرة تامة كاملة على عقل المخ ، إلا من خلال الترهيب والتخويف والتهديد التى تجبر عقل المخ على الاستجابة اتقاء العقاب المتخيل بالقياس ، فيحدث وينتج ويحقق الأمن الذى يشفى الفؤاد ٠**

الفعل الواقعي :

يتحقق فى مكان وزمان ما بشخوص يعملون على سطح الأرض بما تشملها ، أو فى الفضاء ، شرط الإقناع والمعقولية ، بفعل حقيقى تماما يقوم به ممثلون مهرة يجيدونـــه تمام الإجادة ، وهو مناط الواقعية التامة ، لأن الفاعلين أناس حقيقيون ، ومـــا دامـــوا يستطيعون فعله فهذه هى الواقعية المرجوة التامة العظيمة ، وحتى فى مشاهد الإبهـــار الذى لا غنى لأى قصة عنه ، والمبنى على المستحيل الذى سيكون ممكنا لمقدرة البطل على تحققه ببذل مجهود غير عادى ، وإلا لماذا نتوجه بطلا؟!! ، وتنفيذه من مخـــرج لديه الإمكانية والخيال الخصب لتنفيذ المستحيل إلى ممكن ، ولا يعدو أن يكون ذلـــك فكرا يضاف إلى فكر المؤلف ، لأن الفكر لا يكون إلا للمؤلف فقط ، وليس من حـــق المخرج ولا المنتج ولا الممثل أن يتدخل في فكر المؤلف ماداموا قبلوا واختاروا قصته التى هى فكرته الخالصة ، وهبوا يصنعونها بحرفية ويحولون المستحيل إلـــى ممكـــن مقنع . ومشهد الإبهار لابد منه لأنه فرض على المؤلف ليحملنا نحن علـــى الصـــلاة على الأنبياء ، وهذا ليس رفاهية من المؤلف أو المخرج أو أى واحد آخر بل هو شرط من شروط القصة ؛ لأنه يجعلنا نؤدي نوعا من العبادة نثاب عليها ونحن نشاهد عملهم مما يشعرنا بنوع من الراحة المخلصة من تأنيب الضمير أننا نضيع وقتنا وننصـــرف عن العبادة .

الفعل المتحقق :

يأتي من خلال المخرج والمنتج والممثلين والفنيين الذين يقومون بالفعـــل بتنفيـــذ عملى لمشاهد القصة ، سواء كان بعرض مباشر مثل المسرح ، أو عرض غير مباشر مثل السينما والتليفزيون ، شرط المشاهدة من قبل مجموعة منا نحن المشاهدين .

أصل الفعل الفنى الدرامى

استنتجنا وعرفنا أصل القصة من القرآن الكريم كتاب الله المحكم الذى نزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد أنفق المفسرون والعلماء والباحثون إنفاقا كثيرا ووقتا طويلا فى شرح وترتيب وجمع قصص القرآن ، وأنفقوا الكثير فى شرح قصة يوسف التى قال الله عنها إنها من أحسن القصص ، ولكنهم لم يصلوا إلى ما وصلت إليه ، **لماذا هى أحسن القصص ؟! أحسنها لأنها جاءت متضمنة علم القصة بكل ما تعنى كلمة العلم من دقة ، وقد كتبت ذلك فى كتابى الأول وأسميته اسس وقواعد الأدب والرواية من القرآن الكريم ، مع أنه من المفروض أن يكون أسس وقواعد القصة من القرآن الكريم ولكنى فضلت المعروف للأدباء هذا أولا ، وثانيا حتى أكون مختلفا عن جمهور العلماء والمفسرين الذين يتناولون القصص فى القرآن الكريم .**

ما أريد الوصول إليه والتأكيد عليه كما أثبته بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن علم القصة وضعنا أساسه الأول من قصة سيدنا يوسف التى هى أحسن القصص بكل ما تحمل من معنى وتفسير وشرح جاء به كل المفسرين والعلماء وغيرهم . وجئنا بعلم القصة القولية الروائية ، وهنا سنضع علم القصة الفعلية الفنية الدرامية منها أيضا . **ولكن من الذى صنع القصة الفعلية الفنية الدرامية وتوصل إليها وابتكرها ؟! واقصد من الذى حول القصة من سيرتها الأولى كقصة تكتب لتقرأ إلى قصة تشاهد ؟!!** إنه ذلك المخلوق المميز من قبل الله عن جميع خلائقه ، والذى خلقه الله تبارك وتعالى بيده التى لا تماثلها يد ، ونفخ فيه من روحه العلية التى لا تماثلها نفخة ولا روح ، إنه الإنسان ذلك المخلوق الذى فضله الله على جميع ما خلق ، وهذا التميز يجعله مخلوقا مبتكرا ومتطورا ومتغيرا ، ينشد الكمال والجمال ، لأنه المخلوق الوحيد الذى يتميز

بالعقل والذى به ملك زمام نفسه وصار مخيرا لا مسيرا يفعل ما يحلو له ، ويتحمل نتيجة اختياراته وأفعاله وأقواله وصار مسئولا عنها ، ويتحمل وحده تبعات اختياراته وأقواله وأفعاله فى ضوء ما علمه الله وبين له الطريقين أيهما يسلك ويختار . هذا **الإنسان المميز هو الذى حول القصة من حالتها الطبيعية المكتوبة المقروءة إلى قصة فعلية تشاهد من قبل جمع كبير من البشر** . وأول من توصل إلى هذا الصنيع هم الإغريق وصنعوا المسرح الذى تمثل فيه أحداث القصة من خلال شخوص ممثلين من لحم ودم مثلنا يقومون بتمثيل أحداث القصة أمام المشاهدين فى مكان محدود العدد ثم فى الزمن الحديث توصل المخترعون إلى آلة عرض تعرض الصور ، ومن ثم صنعوا وحولوا القصة من مكتوبة قولية إلى فعلية يقوم بها أشخاص يمثلون أحداثها بفعل حقيقى ثم تصور وتعرض على الجمهور فى صالة عرض وسميت سينما ، ثم بعد ذلك اخترعوا التليفزيون وصار هو الآخر يعرض القصة لكى تشاهد من المشاهدين ، وصنفوا منها الكثير وقسموها إلى الفيلم ، والمسلسل ، والسهرة الدرامية وغيرها .

إذن إبداع القصة فى الأصل واحد ، فمنهم من يكتفى بها مكتوبة على الورق لتقرأ ومنهم من يكتبها لتشاهد ، ومن المعروف أن القول غير الفعل ، ولذلك فاسم القصة المكتوبة قولية روائية ، والمشاهدة قصة فعلية فنية درامية كما اصطلح وتعارف عليه ، ولفظ الفنى يأتي من الفنانين والفنيين الذين يحولون القول إلى فعل والفعل من سماته المشاهدة ، فلا أحد يفعل فعلا محترما قيما فاضلا بديعا جميلا حسنا طيبا ويكون ذلك فى الخفاء ، حتى العبادة التى هى لله وحده عندما يقوم بها الفرد بعيدا عن الأعين فهى مشاهدة من قبل الله تبارك وتعالى ومن ملائكته الذين يكتبون أعمال العباد ، كما أمرهم الله وخصهم بهذه الخاصية والتى هى عمل متواصل لا يتركون كبيرة ولا صغيرة إلا كتبوها فى كتاب سيكون شاهدا على صاحبها عند الحساب يوم القيامة .

تعريف القصة الفعلية الدرامية المشاهدة

هو عمل فعلي جاد عظيم تام مشاهد من مجموعة من الناس ، لفعل حقيقي يرى رؤيا العين وسمع الأذن بأدوات من مشاعر وأحاسيس وعواطف وغرائز وفطرة تربط بين القائم بالفعل والمشاهد له ، سواء كانت المشاهدة مباشرة (مسرحا) أو غير مباشرة (سينما وتليفزيون) والفعل يقوم به شخص عظيم ونبيل ، يعمل عملا بديعا طيبا مؤثرا مشوقا مثيرا مقنعا ، أو مرعبا مفزعا مخيفا ، له حاجة جليلة عظيمة يريد الحصول عليها ، وهدف سام كبير يريد تحقيقه ، ويحدده من البداية ، بفكر من عقيدة سماوية رفيعة، وبلغة بديعة ، ويكشف عن فكرة رائعة من فساد وضلال وانحراف فى أحوال الناس ودنياهم ؛ ليعالجها ويحذر منها ويوضحها ، ويرغب إلى خير وإيمان وصلاح ، ليغير حال الناس من الشقاء إلى السعادة ، ومن الفساد إلى الصلاح . وبما أن الشيطان للإنسان عدو مبين ؛ فإنه لابد أن يواجهه نوع من الصراع ، إن لم يكن من الشيطان فإنه من أعوانه من الإنس ، ومن آخرين لهم حاجاتهم وأهدافهم ورسالتهم الوضيعة من فكر مضلل فاسد ، من الممكن أن يوقع به أو يعطله عن طريقه ويضع أمامه العراقيل والعقد التى تصعب عليه عمله، فيكذبونه ويضطهدونه ويتصادمون معه ، و يقفون له بالمرصاد ويحاربونه بكل أنواع الحيل ، ويصمم على توصيل رسالته والحصول على حاجته ، وتحقيق هدفه ، فيلجأ إلى التحذير والتنبيه بترهيب وترغيب ، ولكنه يلقى المواجهة والمصارعة القوية ، وهو يواجههم بقوة وبسالة . ويحاول تلمس طريقه الذى لا يحيد عنه ، ويمتحن فى قوته وإيمانه وتمسكه بفكرته وهدفه فيختبر ويكون الابتلاء عظيما ، فيوقعون به فعلا و يجبرونه على تغيير مسار خط سيره الصحيح الذي حدده من البداية إلى اتجاه آخر مرغم عليه، وبصبره وعزيمته وإيمانه واحتماله يحاول أن ينجح فى دحر الابتلاء، ويواصل طريقه بقوة

فيقفون له بالمرصاد ويهددون حياته بالقتل ، فنخاف عليه ويسدون أمامه كل الطــرق ويحاربونه بكل الأدوات والوسائل في نفسه وشخصه ، أو فــي عرضــه وشــرفه ، وأقرب الناس إليه – فنشفق عليه – ليمنعوه حاجته ويقضون علــى هدفــه ، وتتــأزم أمامه الحلول ، ويصعب أمامه الطرق إلى أعقد وأصعب درجة ، تجعله لا يعرف لها مخرجا ولا حلا ويغيم الطريق أمامه ، أو يتسرع ولا يحسب حساباته جيدا ، أو يأخذ برأي بطانته أو معارفه أو أصدقائه ، فيأتي بزلة غير مقصودة منه ، أو تكــون مــن واحد من المقربين له ، لا بنية سيئة ولا بمعصية سواء منه أو مــن المقــربين ، بــل لحرصه على حاجته وتحقيق هدفه ، فتحيق به معاناة شديدة وآلام عظيمة يرزح تحت وطأتها فترة من الزمن – فنعطف عليه ونأسى له – وهو يحاول أن يتجاوز هذه الزلة ويتوب إلى الله ويستغفره ، ولكنهم يشددون عليه الحصار ويسدون أمامه كل الطرق. ويوقعون به ويضعونه في أزمة أخرى أشد وأقوى ، ويحاول التغلب عليها والخــروج منها منتصرا فينازعهم وينازلهم ويحاول دفع الأذى عن نفسه ولكن بدون فائــدة ولا جدوى ، ويُحكمون عليه الحصار ويسدون أمامه كل الطرق ، فتتعقد أمامه كل الحلول وتكون العقدة فيجد أمامه عقبة كبرى مستحكمة ما لها من قــرار ولا حــل ، يحــاول التغلب عليها والخروج منها ، فيستعمل كل أدواته وما يملك من علم وخبــرة وحيلــة ودهاء ومكر، يحاول التغلب عليها ، ويرفع عن نفسه الآلام والمعاناة ، ويسبر أغــوار تلك العقدة فلا يستطيع سبر أغوارها بمفرده ، فيلجأ إلى الله ويتضــرع ويتــذلل لــه ويرجع الفضل إليه الذي بيده كل شيء – فنشاركه حيرته ونتضرع لله لــه ، ويــذكر الأنبياء – فنصلي عليهم – فيستجيب الله له وتحدث الانفراجة يفرج عنه ويهيئ لــه الأسباب ، التي تسوق له قبسا من انفراجة ، بفعل مبهر يقع فجأة بعيدا عنه يكون لــه دخل و أمل فيه – فنستبشر خيرا– فيستغله ؛ لأن حله يتوقف على مشــاركته ، فــلا يتقاعس ويبذل كل ما في وسعه وينجح ، ويذكر الأنبياء – فنصلي عليهم – ويكــون

سببا يعود به إلى تلمس خط سيره الصحيح ، فيبدأ يجابه ويحاول التغلب على الصعاب ويفك خيوط العقدة ، ويسبر الكثير من أغوارها ويحصل على حاجته ، وييسر الله لــه بتعرف على شخص أو شخوص يعاونونه جل المعاونة ، فيحقق هدفه ، ويقــر رأيــا صالحا عاما فنتعظ منه ، ويبين حقيقة عامة ، وتكون النهاية كذلك سعيدة فتفرحنا .

أنواع القصة فى القرآن الكريم

١- محزن مفرح (مأسملهاة) ..(التراجيكمدى)
مأسملهاة الأخلاق - السلوك - المعاناة - الشخصية - القومية - القيم
٢- محزن (مأساة) ..(التراجيديا)
المأساة السوداء - العظيمة - الإلهية
٣- مضحك (ملهاة) ..(الكوميديا)

القصة الدرامية المأسملهاة

جميع قصص الأنبياء جاءت مأسملهاة محزنة مفرحة لهم ولنا . ولا يكون بطلها إلا من أصحاب النفس المطمئنة أو اللوامة الذى نجح فى الابتلاء نجاحا كبيرا غيــر أنه زل زلة وهو غير قاصد ولا عامد ، بل ارتكبها بغير قصد ولا سوء نية ، ولــذلك فهى تسبب له آلاما ومعاناة يرفل فيها ، وتتعقد أمامه كل الحلول ، ولا يجد من مفر ولا مخرج سوى اللجوء إلى الله ويتضرع ويتذلل له ، حتى يمن عليه بانفراجة مــن عنده وبحل لم يكن يتوقعه ويبهره ، وبالتالي يسعده ويفرحه وييسر له طريقه نحــو حاجته وهدفه ، ويتغير حظ حياته من الشقاء إلى السعادة ، وتنتهى القصة بــالفرح والسعادة له ولنا نحن الجمهور .

مفهوم المأسملهاة (المحزنة المفرحة)

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النجم] الله سبحانه وتعالى أضحك مَن شاء في الدنيا بأن سرَّه ، وأبكى من شاء بأن غمَّه وأحزنه

أولا : من المتسبب فى الحزن ؟!! ومن المتسبب فى الفرح ؟؟!!

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾

[النجم] والمعنى أنه لا تؤخذ نفس بإثم غيرها ، ووزرها لا يحمله عنها أحد ، وأنه لا يحصل للإنسان من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه بسعيه، وأن المستكمل سعيه سوف يُرى ، فيميِّز الله حَسَنه من سيئه ؛ تشريفًا للمحسن وتوبيخًا للمسيء . ممـا يُجـزى الإنسان على سعيه الجزاء لجميع عمله ، وأنَّ إلى ربك -أيها الرسول- انتهاء جميـع خلقه يوم القيامة. وأنه سبحانه وتعالى أضحك مَن شاء في الدنيا بأن سرَّه ، وأبكى من شاء بأن غمَّه نتيجة عمله .

وهنا الحزن المتسبب فيه هو الإنسان نفسه من جراء عمله فى معصـية الله ، أو مخالفة القوانين الوضعية التى تفرض عليه العقاب ، نتيجة سوء عمله وارتكابـه خطأ ما أو جريمة ما ، فإن من دواعي الحكم هذا يجلب له الحزن والضيق والألم .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات] وهى تخص سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل عندما قال له: إنى رأيت فى منامى رؤيا أن أذبحك – ورؤيا الأنبياء صدق وتكليف من الله بوحى غير مباشر – فما كان من الابن البار بوالده والذي يعرف أنه أمر الله واجب التنفيذ وقال لأبيه افعل ما تؤمر ستجدني محتسبا ومتحملا وصابرا حتى تنفذ أمر ربك.

وهنا المتسبب فى الحزن الابتلاء والذى فرض و قدر وأمر من الله تعالى ، ولكنه لم يتم لاستيفاء مراد الله ، وليس من حقنا أو حق أى مخلوق أن يسأل عن العلة من أمر الذبح ؛ لأن ذلك من الغيبيات التى اختص الله بها نفسه ولم يطلع أحدا من خلقه ورسله ، حتى سيدنا محمد حبيبه ومصطفاه.

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس] أقسم الله بالشمس ونهارها وإشراقها ، وبالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول ، وبالنهار إذا جلّى الظلمة وكشفها ، وبالليل عندما يغطي الأرض بظلامه ، وبالسماء وبنائها المحكم ، وبالأرض وبَسْطها ، وبكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها – أنه تعالى بيَّن لها طريق الشر وطريق الخير ، قد فاز مَن طَهَّر نفسه ونمَّاها بالخير ، وخسر مَن أخفى نفسه في المعاصي.

مما سبق لكي أستدل منه هنا في موضع قضيتنا أن الله هو الذي يضحك الإنسان بأن يسره وأن يبكيه فيحزنه ، فهل هذا قضاء وقدر من الله على الناس ؟! أم تقدير وإلزام وفرض لا فكاك منه ؟! هذه هي الإشكالية الكبرى القضاء والقدر الذي هو من شعب الإيمان الستة ، قضية شائكة ، ولقد أسهب فيها العلماء والشراح والوعاظ وغيرهم وذهبوا إلى معان كثيرة شتتت الناس وحيرتهم ، ما بين أن الله يكتب كل شيء على الإنسان ، السعادة والشقاء ، والفرح والحزن والرزق والعمر ، الكفر والإيمان وغيره بما لا حصر له ولا دخل للإنسان فيه، حتى شك الناس أن أفعالهم ليسوا مسئولين عنها لأنها قدر أي فرض من الله عليهم حتى من يرتكب المعاصي يتعلل بذلك ، وهذا ليس صحيحا كل الصحة ، ثم التخويف الشديد لمن يقول نحن نمتلك حرية أنفسنا فنحن مخيرون ولسنا مسيرين نفعل ما نشاء ، ولذا نحن مسئولون عن أعمالنا وأفعالنا ، وهذا قول فيه الكثير من الصحة والصواب أيضا ، أو من يزاوج بينهما وهذا فيه بعض الصواب أيضا .

المعنى الأول للقضاء والقدر:

القضاء هو الفصل في القضايا والحكم فيها ، والقدر هو منطوق الحكم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء] أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك ، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك ، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا ، مما انتهى إليه حكمك ، وينقادوا مع ذلك انقيادًا تامًا ، فالحكم بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة

في كل شأن من شئون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم • القضـــاء هــو ساحة الحكم ساحة العدالة ، الذي يفصل فيه فى القضايا وهذا هو المعنـــى الأعــم ، والقاضي هو الذي يقضى بين الناس بالعدل أو يحكم بين المتخاصمين وهذا هو المعنى الأخص ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ص] وعبر الله بالأعم ونستدل منه نحن بالأخص إذ لا يمكـــن أن تكون هنالك ساحة قضاء أى محكمة ولا يكون فيها القاضي الذي يحكم بما جـــاء بـــه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة في كل شأن من شئون الحيـــاة!! ، وهذا المعنى مشاع ومعروف للعامة قبل الخاصة ولا خلاف ولا جدال فيه ، إن القضاء يتم فيه الفصل فى القضايا بالحكم فيها ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨]

القــدر: هو منطوق الحكم لهذه القضـــايا ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص] وهو محل عدم الفهم من الـــبعض وجـــاء منـــه الالتباس ، ولذا جاء القدر ملازما للقضاء ولا ينفصلان أبدا، أى منطوق الحكم لا بد أن يكون تابعا ويلي الحكم ، وهذا يقودنا إلى حتمية الإيمان بالقضاء والقدر أى الإيمـــان

بالحكم ومنطوق الحكم ؛ إذ بالقضاء يتحقق العدل بين النـــاس ، بـــين المتخاصـــمين الفاصل بينهما كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فما بالك وأن الحاكم والفاصل والقاضي فى القضايا بين الخلق هو القاضي الأعظم الله الذي هو العدل نفسه وهو المشرع الذى سن القوانين وحده ، ولا ينبغي لأحد أن يضاد تشريعه٠٠لذا صار القضاء والقدر المحققين من الله من شعب الإيمان الست ؛ لأن الله تعالى هـــو الحكَـــمُ وهو القاضي ، هو من يفصل فى القضايا وهو واجد القضاء ، وهـــو مـــن يصـــدر منطوق الحكم ، وهو مالا يجوز الشك فى حكمه لأنه عادل وعدله مطلق، لأنه عـــالم وعلمه مطلق ، وهو العدل وهو العادل ولذا حكمه أى قدره كذلك ، مما يستوجب على المحكوم عليه أن يرضى بهذا الحكم ولا يشك فيه قيد أنملة أن بـــه شيئا من الهوى أو قدرا ضئيلا من الظلم ؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد وعملهم لا يزيد فى ملكه شيئا ، ولا ينقص من ملكه شيئا ، ولا هو تعالى يريد شيئا من العبد فلماذا لا يكون عادلا ؟! ومن أى باب يدخل الشك ؟! وهذا ما يستوجب الإيمان التام بحكمه أى القضاء وبمنطوق حكمه أى القدر ، ولذلك جعل الرضا بحكم الله من الإيمان ، وعليه ينصرف الإيمان فى جميع ما يحكم الله من قضايا وفى الأمور كلها عاجلها وآجلها ، لأن لديه علمه الكامل والإنسان لا يزال فى بطن أمه ، وكل شيء مكتوب فى اللوح المحفوظ الذى لم يطلع عليه أحدا من خلقه ، ولذا عندما يحكم الله فى قضية لا يحتاج إلى شهود ، ومع ذلك يطلب الشهود - يوم القيامة يوم الحساب الأعظم - من أعضاء جسم الإنسان نفسه لا من غيره ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور] لتكون البينة والشهود أمام من يحاكم من نفسه التى لا يستطيع هو نفسه أن يكذبها ، ولذا لابد من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وذلك بأن الله سبحانه لا شيء مثله لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته ٠ وأن يحرص على بذل الجهد وعدم الكسل

والتواني في العمل على ما ينفعه بمرضاة الله لأنه لن يتم إلا بمعونته وتوفيقه وتسديده سبحانه وتعالى دون أن يركن إلى العجز والتواكل. فإن الإيمان بالقضاء والقدر يمنحان المؤمن القوة والعزة والمنعة والرضا والاطمئنان، فالمؤمن عزيز بإيمانه بالله وقدره فلا يذل لأحد إلا له سبحانه ، لأنه علم وتيقن أن النافع والضار هو الله ، وأن الذي بيده ملكوت كل شيء هو الله وأنه لا شيء يحدث إلا بأمر الله ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] فالخلق خلقه وحده لا شريك له ، والأمر أمره فهو الواحد الأحد فهل يبقي لأحد شيء بعد ذلك فى نفسه أو فى غيره ؟ وهذا يحتم الصبر والتماسك وعدم الانهيار للمصيبة أو الحدث الجلل الذى يحل بالإنسان وهو الابتلاء حتمى الوقوع﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن]

قال ابن عباس : "يهدي قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه " ولكن على الإنسان أن يوقن تمام اليقين بأن العاقبة للمتقين ، وهذا ما يجزم به قلب المؤمن بالله وقدره وأن الفرج من الصبر وأن مع العسر يسرا، وأن دوام الحال من المحال، وأن المصائب لا تعدو إلا أن تكون سحابة صيف لابد أن تنقشع وأن ليل الحزن لابد أن ينقشع بالفرح ، وهذا يستلزم من الإنسان عدم اليأس والقنوط المسبب للانهيار النفسى والبدنى والعقلى ، وقد نهى الله عن ذلك ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف] لأن الإنسان لا يعلم الغيب ولا يعرف ما هو مكتوب له ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطلاق]

المعنى الثانى للقضاء والقدر :

هو الفرض أو الأمر أو الإلزام واجب التحقيق والتنفيذ ، وله وجهان :

الوجه الأول : فرض من الله على نفسه تجاه خلقه وجعله حقا من عباده عليه تعالى. وهو نوع لا قدرة لأى مخلوق على دفعه أو رده أو منعه أو تغييره أو تحسينه أو تأجيله أو تأخيره أو التدخل فيه بأي صورة من الصور ، ويدخل في ذلك نواميس الكون وقوانين الوجود، وما يتعلق بالرزق والأجل والعمر، والصورة التي خلق عليها الإنسان وغيره ، أى ما أوجبه الله على نفسه تجاه جميع الخلائق الإنسان منها والحيوان وحتى الجماد ، ومنها كفل الرزق والحياة والعمر والموت وغيره مما يجعل الإنسان لديه الحدود التى يستطيع أن يعيش بها ويؤدى الفرائض ويُمتَحَن فيها ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان] الله الواحد الأحد الذي خلق كل شيء – جميع الخلائق – فسوّاه على ما يناسبه من الخلق وَفق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل ، وهذا فرض على الله للمخلوق ومن ثم فهذا النوع من الأقدار لا يحاسب عليه العبد لأنه خارج عن إرادته وقدرته في دفعه أو رده .﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس] آية وعلامة وبيان أمام أعيننا الشمس تجري فى مجراها ، فى طريقها المرسوم لها ، تقدير الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه ولا تغيره ولا تعدله ؛ لأن ذلك فرض العزيز الذي لا يغالب ، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء .﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦] الله وحده المتحكم فى الرزق يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده ، ويضيّق

على مَن يشاء منهم وليس لنا أن نسأل لماذا • ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحل] الله فضّل بعضنا على بعض فيما أعطانا في الدنيا من الرزق، فمنا غني ومنا فقير ذلك تقدير الله علينا ، والكل لابد أن يرضى بما قسمه الله له وتقدير الله له على ما أعطاه لحكمة منه لا يجوز أن نتجاوز حدودنا ونسأل لماذا • ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران] فرض على العمر له نهاية ، والتحقيق كل نفس لا بدَّ أن تذوق الموت •

الوجه الثاني : **الله أوجب أو قدر أو فرض أو سن على الإنسان الابتلاء وهو حق الله على عباده** ، وهو ما يصيب الإنسان بالبلوى أو المصيبة العظيمة كل على قدر إيمانه ، وما من أحد بوسعه الفكاك من هذا القدر أي الفرض أبدا ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة] من اجل أن يعرف الله المحسن من المسيء ، المؤمن من الكافر ، والصابر الطائع من المتسرع العاصي ، وهو علام الغيوب ولكي يقيم الحجة علينا • ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد] وليجزى المؤمن بإيمانه في الدنيا بأن يسره منطوق الحكم من أنه نجح في الابتلاء فله السعادة في الدنيا والأخرة بالجنة • ويعاقب

الكافر بكفره فى الدنيا بأن يغمه منطوق الحكم هذا ويجعله يحزن لخسارته وسقوطه فى الامتحان وفى آلأخرة النـــار ٠ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك] الذي خلق الموت والحياة ؛ ليختبركم – أيها الناس– أيكم خيـــرٌ عمـــلا وأخلصه؟ وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء ، الغفور لمن تاب من عباده٠ وفي الأيـــة ترغيب في فعل الطاعات والنجاح فى الابتلاء ، وزجر عن اقتراف المعاصي والسقوط في الابتلاء ، لأن الابتلاء سنة مؤكدة مفروضة من الله على جميع خلقه من البشـــر ؛ لأن الإنسان وحده هو الذي قبل حمل الأمانة ، وكما وضحناها فى كتابنا أسس وقواعد الأدب والرواية وأثبتنا أنه عقل المخ المميز به الإنسان عن سائر المخلوقات ، كما بينا أن جميع المخلوقات تشترك فى عقل القلب ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة] اختبر الله سيدنا إبراهيم بمجموعة من الاختبارات أو الامتحانـــات أو الـبلاء أو الابـــتلاءات ، كمـــا سنوضحها واحدة تلو الأخرى عند تناول المأسلهاة الشخصية ، فأدَّاها وقام بها خير قيام ، وحكم الله له أنه نجح فى الامتحانات بجدارة منقطعة النظير ، ومنطوق الحكـــم هذا من الله سر إبراهيم ، وسرور وفرح الله منه للدرجة التى قال له: إنـــي جاعلـــك قدوة للناس٠ قال إبراهيم : ربِّ اجعل بعض نسلي أئمة تفضـــلا منـــك ، فأجابـــه الله سبحانه أنه لا تحصل للظالمين الإمامةُ في الدين ولكن ستكون الإمامة من الصـــالحين من ذريتك ، وكما نعلم أن الأنبياء جميعا – بعد إبراهيم – جاءوا مـــن نســـل ســـيدنا إبراهيم ، أنبياء العجم اليهود – من ابنه إسحاق ، والنبي الخاتم من العرب محمد – صلى الله عليه وسلم – من ولده إسماعيل٠

وعد من الله أوجبه على نفسه نظرا لما فرضه وقرره وألزم به خلقه من امتحان شاق وصعب أنه من يزل منهم أثناء الامتحان ، أى يخطئ غير عامد ولا قاصد أن يغفر له هذه الزلة وتكون القصة مأسملهاة ، وسنشرحها فى أسس القصة . أما إذا زل وهو قاصد ومتعمد فتصبح خطيئة كبرى لا تغتفر وسيحاسبه الله وسينزل به العقاب لا محالة فى الدنيا والآخرة وتكون القصة مأساة سوداء ، وهذا حتمى يعرفه كل الناس المؤمنين منهم والعاصين وحتى الكافرين .

وعليه فأن الإنسان فى حالة ارتكابه الجرم أو الخطيئة عامدا متعمدا أوجب على نفسه العقاب من الله ﴿ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر] ، لأن كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها وفعلها وقولها ، ولا يفك رهنها وأسرها حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات. أما إذا ما ارتكب الخطيئة غير عامد ولا قاصد منحه الله فرصة أخرى بأن فتح له بابا للتوبة ، فله أن يتوب لأن الله تواب رحيم﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى]

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة] تاب الله على الثلاثة الذين خُلّفوا من الأنصار -وهم كعب بن مالك وهلال بن أميَّة ومُرَارة بن الربيع- تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحزنوا حزنًا شديدًا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بسَعَتها غمًّا وندمًا بسبب تخلفهم ، وضاقت عليهم أنفسهم لِمَا أصابهم من الهم ، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وفّقهم الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة والرجوع

إلى ما يرضيه سبحانه إن الله هو التواب على عباده الرحيم بهم ، والابتلاء عادة يهدد الإنسان فى أسباب سعادته أو أدوات قوته ، مما يحزن الإنسان ، وإليكم الأدلة:

فى يوسف الحب كان سبب بلائه وأحزانه ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٨ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝٩ [يوسف]

فى أيوب حيث ابتلى فى سبب سعادته وهى صحته وقوته﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٨٣ ﴾ [الأنبياء]

القضاء والقدر الذى هو الفرض والتقدير والإلزام والتحقيق الحتمي من الله ، والذي ليس لأى إنسان

فى موسى حيث ابتلى فى سبب سعادته وهو قوته الجسدية ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥ ﴾ [القصص] .

فى سليمان ابتلى فى قوته الرجولية وتعدد زوجاته وما كان يمتلكه من قوة فى كل شيء إلا أنه لم يستطع أن ينجب غير نصف إنسان ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ ﴾ [ص] كما قال كبار المفسرين منهم ا بن كثير ٠

في محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث ابتلى في أحب الناس إلى قلبه زوجته الطاهرة العفيفة أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر، عندما اتهموها بما ليس فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ [النور]

ثانيا : نستلهم ونستدل بالدليل القاطع أن الحزن من الإنسان نفسه من قوله وفعله وإيمانه أو كفره ، طاعته أو معصيته . أن الله يسر الإنسان في الدنيا عندما ينجح في الابتلاء الذي أحزنه ، ومع ذلك سلك فيه الطريق القويم الصالح مؤمنا بالله وسنة نبيه غير مخالف ولا عاص لهما ، صابرا محتسبا شاكرا لله على ما ابتلاه به ، مقاوما للشيطان ولم يطعه ، فيثيبه الله الجزاء بأن يحكم له أنه نجح في الابتلاء ، ولذا منطوق الحكم هذا يسر ويسعد ويفرح المبتلى الناجح فيه . بينما من سقط في الابتلاء الذي لم يتحمله ولم يصطبر وأجهد وتسرع وسلك الطريق المعوج الفاسد عاص لله ولرسوله غير قابض على دينه ، حكم الله عليه أنه سقط في الامتحان ، مما يستلزم العقاب ومنطوق الحكم هذا يحزن ويغم ويؤلم المبتلى الذي سقط فيه .

إذن الإنسان يعرف ويعلم تماما أن الله قدر أى فرض عليه الابتلاء حتى يعرف حقيقة إيمانه ومنه يستطيع حساب نتاج عمله وفعله وقوله وطرقه التي يسلك ، فإن نجح في الابتلاء فسينعم ويسر ويفرح بحكم الله وسيكون سعيدا ، يحقق السعادة ـ ويعينه الله فيها ـ بنفسه ولنفسه ولله الذي أسعده وأفرحه إيمان عبده به وبحبيبه محمد صلى الله عليه

وسلم • بينما لو سقط أوجب على نفسه العقاب – وسيشدد الله عليه - وأقله الحزن والغم والآلام والمعاناة فى الدنيا ظاهرة له فى نفسه بالأمراض مثلا ، وفى ماله بفقده وخسرانه، أو ولده بأن يكون عاقا له أو غيره ، المهم أنه سيعرف أن الله غاضب عليه ، وأن الله يزيده فى الحزن إن لم يرتدع ويتوب ويستغفر الله •

وتكون تلك القاعدة الحاكمة الفيصل التى لا تقبل الشك ولا التأويل ، أن الإنسان مخير ويمتلك قرار نفسه ، ويعمل بإرادته الحرة ، ومفروض عليه الامتحان تقدير وأمر وفرض وسنة من الله أنه سيحزنه ويغمه فى سبب سعادته ، والإنسان لا يستطيع رد ذلك مهما فعل ومهما استعد وغاية ما يأمله أن يخفف الله عنه آثار الابتلاء ، حتى نحن جميعا جبلنا على الدعاء الذى نقول فيه : اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه ، وهو حزن واقع بنا لا يستطيع أحد الفكاك منه إلا ويدخل غماره وهو غير مسلوب الإرادة و لا غير عارف وعالم بما يجب أن يفعله وما يتركه ويتجنبه لينجح فى الاختبار ؛ وقد منحه الله الحرية والاختيار والتصريف والتفضيل بين الأشياء ، ويبين له الطريقين أيهما يسلك وأيهما يترك •

ها أنت أيها المؤلف قد عرفت وتيقنت أن الإنسان فى الواقع وبطل قصتك كذلك - يعرف ويعلم تمام العلم ، كما تعرف أنت – يجب أن تعرف - أنك تسير فى الدنيا وتعمل وأنت حر ولكن تتهدد حياتك وسعادتك فاجعة أو مصيبة أو بلية فى صحتك أو ولدك أو مالك أو أى شىء آخر ، الله أعلم به ، فأنا مثلك تماما أعرف ما يتهدد سعادتي بما ذكره الله فى القرآن الكريم وصار معلوما لنا بالضرورة وأشياء أخرى من الابتلاء غير منصوص عليها فيها غيبية لا نعرفها ، لذا نحن نعيش فى الدنيا ولا نعرف للبلوى موعدا ولا زمانا ولا مكانا ولا إشارة ولكن لها علامة تعرف أنت – وأنا - سبب سعادتك ، وهى مبعث خوفنا وقلقنا وانتظارنا متى يحدث هذا التهديد الذي هو واقع بنا لا محالة ، أما مبعث بعض الطمأنينة للمؤمنين منا الماسكين على دينهم المتبعين لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم والمحافظين عليها ، مستعدين قانعين منتظرين ملتحفين بالصبر متدثرين

بالإيمان متيقنين أن البلوى ترفع عنهم ذنوبهم مداومين على الذكر والدعاء والاستغفار ليكون ذلك زادنا للتحمل والصبر والنجاح إن شاء الله ؛ لأن الله تعالى حال الذكر والتضرع له يخفف عن المحتسب الذي يقول عند وقوع المصيبة حسبنا الله ونعم الوكيل ، فنحن نوكل الله فى قضاء الله ، ولذا يخفف الله من وقع البلية على المحتسب بأن ينعم عليه بالصبر إذن سلوانا نحن المحتسبين الظانين بالله ظن الخير أن يساعدنا فى تحمل الصبر وتحمل الصبر الذي يعيننا الله عليه هو نوع من رفع البلية وتيسيرها ؛ لأن فى الصبر مشقة ولا يقدر عليه إلا أولو العزم من الرسل لا منا ، فما بالك بنا ؟!! إنه حقا ابتلاء عظيم !! كلُ على قدر إيمانه ، امتحان صعب وشاق لأن نتيجته بيدنا وهذا ما يصعبه علينا أكثر وأكثر ؛ لأننا حال السقوط فيه لا قدر الله لا نستطيع أن نلوم أحدا أو نلقى بفشلنا على أحد ، فالواحد منا هو المسئول الأول والأخير عن النجاح أو الرسوب فى مدى تحمل البلوى، ففي النجاح يعوضنا الله ويبدلنا من بعد حزننا سعادة وسرورا ويعوضنا الله بأسباب سعادة أخرى أو ربما تكون هى نفس السبب السابق ، وفي السقوط نرفل فى الأحزان والآلام والمعاناة ، هذا هو حالى وحالك وحال جميع الناس أننا نصارع ونجابه قدرا من الله يهدد سعادتنا وواقع بنا لا محالة ، هذا غير الحزن الذى تجنيه من فعلك بمخالفتك القوانين الوضعية ولا يحتاج إلى تعليق ،

نطرح السؤال بصورة ليس بها أى مواربة أو تورية :

هل سعادة الإنسان مهددة ؟ نعم،

التهديد الأول : من الله الذى فرضه على جميع البشر،

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت] وهو الابتلاء ذلك القوة المهولة الجبارة

التى لا قبل لأى إنسان على ردها ، أومجابهتها والانتصار عليها مهما أوتى من قوة ؛ لأنها من القوة العليا أى الله رب العالمين القادر على كل شيء ، والذي لا يغالبه غالب ، ولا يرد حكمه أحد ، والجميع يجابه هذه المجابهة ، المؤمن والكافر على السواء ، ولكن المؤمن بهذه القوة العليا التى هى الله يعلم المؤمن أنها قوة كبرى عظيمة لا قبل له على ردها أو الوقوف أمامها ، ولذلك فالمؤمن لا يقف مصارعا مع ربه الذى هو القوة العليا بل ذروة الإيمان هو الاعتراف بهذه القوة وبمدى مقدرتها على فعل الشيء ، وفى الوقت الذى تحدده ، حيث أمرها بين الكاف والنون بمعنى كن فيكون ، أما العاصى أو الكافر فيؤمن تماما بأنه بمعصيته هذه يخالف القوة الكبرى ، ويعلن الدخول معها فى صراع يحمله سكره وسفهه وغروره وشيطانه أنه بمقدوره مجابهة القوة العليا ، وهو الذى بإرادته الحرة يدخل غمار هذا التحدي وذلك الصراع الذى يعلم فى قرارة نفسه أنه لا قبل له به ، لأنه يثق تماما فى قدرة الله التى لا يستطيع التفوق عليها ، ومع ذلك التأكيد تجده يدخل غمار التحدى بجهل وكفر ، والنتيجة المؤكدة أن لن ينتصر ولن يتفوق ؛ لأنه لن يستطيع الصمود بقوته الضعيفة أمام إرادة الله القوية ، وبذلك تنتهي حياته بفاجعة بل مأساة وفى هذه الحالة لن نحزن عليه بل سيكون الحزن له هو وليس لنا ؛ لأنه هو الذى دخل فى صراع يواجه فيه قوى كبرى ، ومع ذلك يعاند ويكابر ويدخل المواجهة ، وهو ليس أهلا لها لا هو ولا أحد من الخلائق بوسعه مقاومة هذه القوة العليا التى هى الله رب العالمين الذى خلق كل شيء وخلق الموت والحياة ، وخلق ذلك المخلوق الضعيف الذى هو الإنسان الذى شب ويريد أن يقف أمامه ويصارعه من أجل حاجة ما سواء عظيمة أو وضيعة وهى فى الغالب وضيعة ، ولكن الإنسان المؤمن لا يدخل غمار الصراع مع القوة العليا ، لأنه يعلم أنه لا قبل له بذلك ويعتبر كافرا بها ، وهو الذى يريد أن يكون فى طاعة الله ولا يخالف أوامره فكيف يدخل معه فى صراع ، وهو الله الذى يأمر فيطاع وذلك من شعب الإيمان ، هذا غير أنه يعرف أن له الغلبة ، فعندما ينزل الله ابتلاءه على المبتلى فهو حتما مقهور محزون لأنه لا يستطيع مقاومة أو رد هذا البلاء ، بل إن المبتلى

يذهب متضرعا شاكرا أملا فقط أن يخفف الله من قوة الابتلاء التى تعصف به وأتت على أسباب سعادته ومكانته ، يستجير بالقوة العليا فى أمر القوة العليا ، يوكل الله فى قضاء الله ، أى يضع القوة العليا أمام القوة العليا نفسها٠

التهديد الثانى : من الشيطان الذى يريد أن يضله عن الطريق المستقيم،

وهو عدو مبين ظاهرة عداوته لبنى آدم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة] والمعنى واضح ولا لبس فيه ؛ لأن عدوك لا يمكن أن يتمنى الخير لك على الإطلاق ، وما دام لا يريد لك الخير إنما يريد بك الشر ، والشر كفيل أن يحزنك لأنك ستخطئ خطأ متعمدا وبكامل النية ، وفى هذه الحالة وحتى إن تبت لله فإن الله لن يقبل توبتك ٠ من يتبعه يخسر السعادة فى الدنيا والآخرة ، أما إذا تفوق عليه فسينعم بالسعادة ورضى الله ، وبالتالى يكون قد انتصر على الطرف الثانى الذى يهدد سعادته والانتصار عليه أمر سهل ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ [النساء] إن تمسك بطاعة الله ورضاه ، والتمسك بالقيم والأخلاق والصبر على المكاره ، إنما هى أدوات تستطيع بها التغلب على الشيطان والانتصار عليه الذى لا يريد الخير لك ، ويريد أن يوقعك فى المعاصي التى تستوجب العقاب من الله ، وكذلك تستوجب العقاب من القوانين الوضعية والدستورية التى تنظم حياة الإنسان فى الدنيا ، مثل من يقتل عامدا متعمدا ويثبت عليه ذلك ، فيضع نفسه تحت طائلة القانون الوضعى، الذى يحكم عليه بالإعدام أو السجن مدى الحياة ، ومنطوق الحكم هذا كفيل بأن يحزن الفاعل ، هذا غير العقاب من الله فى الآخرة فهو كفيل بأن يحزنه ويغمه ٠

التهديد الثالث : من الإنسان نفسه ٠

من خلال الضعف والاستكانة ، واليأس والتواكل ، وعدم الإيمان ، وعدم المجابهة القوية والعزيمة الفولاذية ، ومن المخاوف وعدم الإقدام ، ومن العصيان لله ، ومن عدم احترام القوانين الوضعية ومخالفتها ، ومن الاستسهال واتباع الطرق المعوجة ، والغاية تبرر الوسيلة وما شابه الكثير ٠

الإشكالية الكبرى من ينجح فى الابتلاء نجاحا عظيما ويشهد الله له بـذلك ومـع ذلك تنتهى حياته بفاجعة مثل القتل أو الحرق أو الغرق ، مثل هابيل الذى انتهت حياته بفاجعة على يد أقرب الناس له أخيه قابيل ، إنه قدر من الله عليه ، والقدر من الله من أسراره ومن الغيبيات التى ليس لنا الحق فى الجدال ولا حتى السؤال فيها ، وذروة الإيمان فيها ألا تسأل ولكن ما يحق لنا سؤاله : هل كان هابيل لديه ميل نحو أن تنتهى حياته بفاجعة ؟؟ نعم ، والدليل أنه لم يقاوم التهديد ، ولم يدافع عن نفسه مع أن ذلك مشروع ومباح من الله لكن انظر كيف تصرف هابيل ، أفرط فى المسالمة والتسامح وعدم الممانعة بقناعة وتقوى غير عاديين إلى أبعد حد فى أشد المواقف نذيرا بتهديد صريح وجدى لحياته ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة] .

كذلك المجاهد فى سبيل الله لا تجد بداخله ميلا ، بل إصرار وعزيمة ونية صادقة وأن غاية ما يتمناه أن يستشهد فى سبيل الله ، أو سبيل الوطن ، أو فى سبيل قيمة ، أو هدف ما ، شرط طاعة الله ، وهو من أصحاب النفس المطمئنة ، أو اللوامة الذى يتقدم

إلى الله بهذا الجهد الكبير، وهو ما يصلح فعلا أن يكون بطل مأساة عظيمة ، تنتهى القصة بحزن جميل ، حزن من نوع يمتزج فيه الحزن مع الفرح ، ولا تستطيع أن تفصل بينهما ، فإذا ما حزنت أنه قتل ، سرعان ما تتذكر أنه من أهل الجنة فتفرح له ، حزن لنا لا له ، إنه حتما سيكون سعيدا لأن ذلك ما كان يصبو إليه وما يهدف إليه ويأمله ، وقد تحقق له ما يريد ، ويرجع الحزن لنا من نوع خاص وإنه حزن جميل ، لأنه يشعرنا بشرف انتسابنا للإنسان الذى كرمه الله وفضله على جميع الخلائق ، وأننا ندرك ونعرف أن هذا الشهيد سيدخل الجنة وينعم ويخلد فيها ، وأنه سيكون مع الأنبياء والصديقين فى الجنة وقد حكم له الله حكما لا يتبدل ولا يتغير ومستوفى منه تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [آل عمران]

لكن هناك آخرين وهم كثر ليس لديهم هذا الميل على الإطلاق ، ومع ذلك تنتهى حياتهم بفاجعة من القتل أو الحرق أو الغرق ، إن ذلك قدر الله عليهم ولا نسأل لماذا ، ولكننا نحزن عليهم مثل الحزن السابق ؛ لأنهم من الشهداء ، من أهل الجنة والنعيم المقيم .

الثالث : المكروه إنسانيا ومحرم عقائديا من الله تعالى وهو الذى لديه نية أكيدة وعزيمة قوية ينهى حياته بفاجعة من إرادته نفسه وأقصد المنتحر فحكمه عند الله أنه من الكافرين ،

وهو من أصحاب النفس الأمارة بالسوء ، قتل نفسه وهو لا يحق له قتلها مع أنها نفسه هو ولكن ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء]

إلا أن المأساة تعنى الحزن ، والملهاة تعنى الفرح ، المأسملهاة تعنى الإلهاء عن الحزن بالفرح ، أى الحزن يطهره الفرح ، عندما يولد المولود يولد وهو يصرخ ، بينما من حوله سعداء فرحون محبورون مسروررون ، إنها المفارقة أليس كذلك ؟!! وعندما يموت من المفترض الحتمى أن يموت وهو سعيد بما عمل من خير وطاعة لله ، وحوله الناس يبكون ويحزنون ٠

الأحزان تأتى من :

١- الأسف على الشيء ٠ والمتسبب فيه هو الإنسان نفسه٠

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ [يوسف] ابتعد وأعرض عنهم وقال يا حزني على يوسف ، وسبب الحزن البعاد والفراق والغيرة والحسد والظلم والمؤامرة على أحب أولاده إلى قلبه ، المسبب للمعاناة والآلام والعذاب والبؤس حتى تسبب الحزن الشديد فى ذهاب بصره ، وكان سيدنا يعقوب هو المسبب للحزن لنفسه بسبب التفرقة فى الحب بين أولاده الاثنى عشر ، فخص بالحب اثنين دون الباقين ، مما خلق بداخلهم الحسد والغيرة والغيظ والمؤامرة تجاه أبيهم وأخيهم ٠

٢- من المآسي ٠ والمتسبب فيها حكم الله ٠

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [المائدة] لا تحزن على ما سينالهم من عقاب شديد يعانون منه ويؤاسون فيه بسبب عدم طاعتهم وامتثال أمر ربهم ومخالفة أمر رسوله موسى ، ولقد حكم الله عليهم

بالحزن والمعاناة في الدنيا وظلوا أربعين سنة تائهين لا يعرفون أين هم ، ولا واحد من غيرهم يعرف لهم مكانا . حتى أتموا حكم الله فترة العقوبة فى الدنيا .وهذا يؤكد أن الله هو الذى يحزن ، ولكن سبب الحزن من الشخص نفسه جراء المعصية.

٣- ومن المعاناة والآلام . والمتسبب فيها قضاء الله وقدره الذى هو الابتلاء.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة] وهو يخص سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم – عندما اشتد به أذى قريش إلى الحد الذى تعاقدوا فيه على قتله بواسطة شبابهم باختيار من كل قبيلة حتى لا تستطيع بنو هاشم قبيلة النبي ردهم ، وعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وكان يعد للهجرة إلى المدينة ، ولكنه كان ينتظر أمر الله له بالهجرة والخروج من مكة بلده وموطنه الأصلى وأحب بقاع الأرض إليه ، ولكنه أجبر على الخروج منها فارا بدينه إلى أرض أخرى ، وهو من هو حبيب الرحمن ومع ذلك لم يسلم من الابتلاء ، وأيضا ابتلى مرة أخرى فى أحب الناس إلى قلبه زوجته الطاهرة السيدة عائشة إبان حادثة الإفك وكان ابتلاء عظيما لا يحمله إلا رجل من أولى العزم .

٤- من الخوف . والمتسبب فيه فعل الإنسان نفسه ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [العنكبوت] لما جاءت الملائكة سيدنا لوط ، وهو لم يكن يعرف أنهم ملائكة ساءه ذلك وخاف عليهم ؛ لأنه ظنهم ضيوفًا من البشر وكانوا على هيئة رجال لهم من الجمال ما لهم وحزن بسبب وجودهم ؛ لعلمه خبث فعل قومه الذين كانوا يحبون أن يواقعوا الرجال دون النساء فهم قوم شواذ مثليون ، ولما شعرت الملائكة بخوف سيدنا

لوط عليهم وجدية رجال قومه الذين سارعوا إليهم ، وسيدنا لوط يحاول معهم إثناءهم عن غيهم للدرجة التى عرض عليهم بناته ليتزوجوا منهن فذلك أطهر لهم وأحسن ، ولكنهم لم يتراجعوا ورفضوا عرضه طامعين فى الرجال الحسان ، حتى قال له الملائكة : لا تَخَفْ علينا لن يصل إلينا قومك ، ولا تحزن مما أخبرناك مِن أنا مهلكوهم ، إنَّا منجُوك من العذاب النازل بقومك ومنجُو أهلك معك إلا امرأتك فإنها هالكة فيمن يهلك مِن قومها لأنها لم تحفظ سر زوجها ، وخرجت تحكى لرجال القرى عن الرجال الذين يضيفهم زوجها وعلى درجة كبيرة من الحسن ، وأنها لم تر مثلهم من قبل ، مما جعلت رجال القرية الشواذ يهرعون إلى دار زوجها .

الفرج يأتى من :

١- من وعد الله لأصحاب النفس المطمئنة و اللوامة من يتوبون.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور] وعد الله أن يبدل حال الذين يؤمنون به من الخوف إلى الأمن ، إذا عبدوا الله وحده ، وتضرعوا إليه وتذللوا واستقاموا على طاعته ، ولم يشركوا به شيئًا ، وعد من الله أن يرفع عنهم ما هم فيه من حزن وغم ومعاناة إلى الأمن والسعادة .

٢- من الخبر السار غير المتوقع الذى يضحك من جراء المفارقة ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود] وهى امرأة سيدنا إبراهيم –

سارة – كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الملائكة ، فضحكت تعجبًا مما سمعت فبشرها الله على ألسنة الملائكة بأنها ستلد من زوجها إبراهيم ولدًا يسمى إسحاق ، وسيعيش ولدها وسيكون لها بعد إسحاق حفيد منه وهو يعقوب ، وكانت سارة وقتئذ عاقرا عقيما لا تلد وصارت عجوزا وزوجها كذلك ،

٣- **من التضاد الهائل** ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل]

إنه سيدنا سليمان الذي سخر الله له كل شيء من الجن والإنس والطير والجبال والرياح ، جيوش مُجَيّشة ذات قوة مهولة ، تحاول نملة ضعيفة نصح أقرانها ليتجنبوا خطر جيوشه ،

٤- **من السخرية المفرطة** ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص] نمكن لبنى إسرائيل في الأرض ، ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعفة ما كانوا يخافونه من هلاكهم وذهاب ملكهم ، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل وهو موسى عليه السلام، وقد رباه فرعون فى قصره ،

٤- **من المفارقة** ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المطففين:]

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر]

ما سبق على سبيل الأمثلة لا الحصر ،

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر] إذن الله هو الذى يذهب الحزن ، لأن ربنا غفور رحيم يغفر لنا الزلات - غير المقصودة ولا المتعمدة - ويسامحنا إذا ما تبنا وتضرعنا إليه ، فهو يستحق الشكر والعبادة حيث يقبل منا الحسنات ويضاعفها ويغفر لنا الزلات ، والزلة هى المسببة للآلام والمعاناة والأحزان والشقاء والبؤس .

المأسملهاة تتحقق من المآسى أو المؤاساة أو الأسف أو الخوف الجالبة لشدة الأحزان سواء من الله أو من الإنسان نفسه أو من الشيطان ، ثم يتغير حال النفس المطمئنة أو اللوامة التى نجحت فى الاختبار وفرج الله عنها عسرتها ورفع عنها آلامها إلى السعادة والحبور ؛ لأن بطلها شخص فاضل نبيل خير ، تحمل الألم والجهد الكبير بسبب أذى فى الله من أجل هدف عظيم ، ولا يكون الأذى فى الله إلا لمن يؤمن به تمام الإيمان وله رسالة سامية يريد بها الخير والصلاح للناس ولذا تكون حاجته عظيمة ، وهدفه نبيلا ساميا يريد أن يحققه من أجل الناس لا من أجل نفسه فقط ، ويجاهد من أجله جل المجاهدة ، ويبذل فيه جل البذل ، ويتقبل ويتحمل كل ما يلاقيه من موانع ومعارضات ومحاربة وصراع مع منْ هم أقوى وأشد منه ، منْ تتعارض حاجاتهم وأهدافهم مع حاجته وهدفه ، وهم الذين يسببون له الحزن والآلام والمعاناة والعذاب، وكذلك تحمله ابتلاء الله له فى الشيء الذى يجيده ويهدف إليه وهو سبب سعادته ، شرط أن يتحمل ويصطبر بجد واجتهاد وعزم وثبات ؛ لأنه يؤمن أن الله ناصره ومعينه ومفرج عنه بأن يسره ؛ لأن هذا شرط ووعد من الله موفيه لا محالة لمن يمتاز بهذه المؤهلات وينجح فى الاختبار ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل] واصبر على ما أصابك من أذى فى الله

حتى يأتيك الفرج ، والفرج من عند الله ، وما صبرك إلا بالله ، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك ، ولا تحزن على مَن خالفك ولم يستجب لدعوتك ، ولا تغتم من مكرهم وكيدهم فإن ذلك عائد عليهم بالشر والوبال.

إذا ليس كل إنسان نبيل – أو دون ذلك – يؤاسى بلا سبب ، فلولا وجود سبب وجيه من حاجة عظيمة ، وهدف نبيل سام ، لن تتولد المآسى ، لأن المآسى تتولد من العقبات والموانع والصعاب التى تواجه إنسانا فاضلا مؤمنا بالله له حاجة عظيمة يريد أن يحصل عليها وهدف نبيل يريد تحقيقه ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ [الأنبياء] ومتمسك بهما ينازعه ويجابهه ويصارعه ويمنعه آخرون أقوى منه تتعارض حاجاتهم مع حاجته ، وهدفهم مع هدفه ، فيقفون له بالمرصاد ويتولد الصراع بينهما على أشده بسبب تعارض حاجاتهما ، ولإصراره على حصوله على حاجته وتحقيق هدفه يسببون له عقبات قوية شديدة تجهده وترهقه وتجعله يؤاسى ويعانى معاناة كبيرة عظيمة ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الصافات] لا يستطيع الفكاك منها إلا بلجوئه إلى الله الذي يستجيب له ويرفع عنه بانفراجة ويسر من عنده ؛ بأن يقيض له أسبابا من عنده تخرجه من عقدته وما يعانيه حتى ينجح بعون من الله وبمدد من عنده لأنه أهل ذلك والقادر عليه ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء] ثم تحمل ابتلاءه من الله فى أحب شيء لديه وهو ولده إسماعيل الذى رزقه الله به على كبر أن يذبحه .وذبح الولد كفيل بجلب الأحزان والهموم والألام والمعاناة التى فوق الوصف والاحتمال ولا يطيقها إلا

أولو العزم من الرسل ثم الصالحون المؤمنون الطائعون وفى أعلى درجات الإيمان ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الصافات] وهذا المشهد الجلل من الرعب والخوف والحزن بأمر من الله لا من الشخص نفسه فهو فرض وقضاء وقدر على الشخص المؤمن أن يتحمله ، وعندما تحمله سيدنا إبراهيم ونجح فى الامتحان ، الله تعالى يشهد له ويقول : قد فعلتَ ما أمرت به وصَدّقتَ رؤياك ، إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك ، فنخلّصهم من الشدائد والأحزان في الدنيا والآخرة.

لابد لبطل المأسلهاة أن ينجح فى الابتلاء دون أن يرتكب الزلة عامدا متعمدا وإلا ما صار بطلا يستحق الاحترام والتبجيل والإكبار والاقتداء به ؛ لأنه سقط ، ومن يسقط لا يكون محل تقدير واحترام منا ولا نقبل تعليمه ولا نصحه ولا إرشاده ، وما كان لمشواره ومعاناته وآلامه أى معنى ، ولا يحق له أن يقدم رأيا صالحا ، ولا أن يدلى بحقيقة عامة ولا أن نقتدى به ، ولا أن نشفق ونخاف ونتعاطف ونرأف به ، ولا نتضرع لله من أجله ؛لأنه قطع كل خيوط الترابط بيننا وبينه لأنه خاطئ ظالم ، وكيف يعظنا ويعلمنا ويقدم لنا الحلول والعظات وهو ساقط ؟! ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الأعراف] واقصص أيها الرسول– على أمتك خبر رجل من بني إسرائيل أعطيناه حججنا وأدلتنا ، فتعلّمها ثم كفر بها ، ونبذها وراء ظهره ، فاستحوذ عليه الشيطان ؛ لأنه قبل إغراء الجبارين

الذين كانوا يسيطرون على الأرض المقدسة وطلبوا منه أن يدعو على بنى إســرائيل الذين كانوا يعدون الجيوش – وهم فى نهاية التيه – لمحاربتهم فقبل الغواية والوعود منهم فصار من الضالين الهالكين المحزونين ؛ بسبب مخالفته أمر ربه بأن أصــبح هدفه ليس فى الله بل الفاسدين من الناس والشيطان . لم يستطع نفسه أن يــنجح – يصلح أن يكون بطل مأساة سوداء ، ومأساة غير مستحبة أيضا تنتهــى حياتــه هــو بالحزن ولكننا نحن نفرح فيه ، فلا ينصح ولا يعظ إلا الناجح المتفوق ، منْ تحمــل المعاناة والآلام واصطبر عليها ، فقد أثبت لنا بما عايشه بالتجربة الناجحة نشهد له بها نحن قبل أن يشهد هو لنفسه وعليه نقبل منه كل ما يقول وما يفعل ويأمر ، ولا بد لــه من النجاح ودحر الحزن بالعمل الجاد والمثابرة والصبر ؛ ولأن الله سيعينه وســيرفعه ويفرج عنه ؛ لأن ذلك وعد من الله للمؤمنين .

الأنبياء والرسل جميعا كانت لهم حاجات عظيمة ، وأهداف نبيلة سامية ، مكلفــين من قبل الله تعالى يحملون رسالته إلى النــاس ، ووجــدوا المجابهــة والمصــارعة والممانعة والرفض والمقاومة والمحاربة والمنازلة بصراع قوى شديد تسبب لهم فــى معاناة كبيرة ، وآلام عظيمة وأحزان كبيرة ، ومأس جمة ؛ لأنهــم أصــروا علــى أن يحصلوا على حاجاتهم ويحققوا أهدافهم بإبلاغ رسالات ربهم ، دون تراخ أو جبن أو ملل أو هروب أو مساومة برغم حزنهم وما حاق بهــم ؛ لأنهــم يؤمنــون أن الله ناصرهم ، حتى وصلوا إلى ما أرادوا من حاجة عظيمة وهدف نبيل كلفهم الله بــه ، ومن ثم تحولت حياتهم من بعد الشقاء والخوف إلى السعادة والأمن ، وقد شهد لهم الله أنهم نجحوا وأدوا ما عليهم وما كلفوا به .

فإذا ما أردنا أن نكتب تشبيها لهم من شخوص مثلنا عليك أنت أيها المؤلف الكريم أن تحدد لبطل قصتك حاجته العظيمة التى يريد الحصول عليها والهدف النبيل الــذي يريد تحقيقه ، وتصنع له من يعترض طريقه ويجابهه وتختلف حاجتــه عــن حاجتــه

وهدفه عن هدفه ، فتصنع الصراع ليمنعوه ويقفوا له بالمرصاد ويتسببوا في معاناته وآلامه العظيمة ، وكذلك أن تضعه في اختبار صعب لابد أن ينجح فيه على أن يكون الامتحان في أسباب سعادته ، فإن كان صاحب مال يختبر فيه بأن يخسره في البورصة مثلا ، وإن كان صاحب ولد وحيد يختبر فيه ، وغيره من الأشياء التي تكون سبب سعادته ومكانته العلمية والاجتماعية مثلا ، رغم أنه سيأتي الزلة غير المقصودة وتكون من أسباب حزنه ومعاناته ، ثم بعدها يأتي الفرح والسرور له ولنا ولابد له أن يجتاز العقبة وراء العقبة ، والمانع وراء المانع ، والحاجة تلو الحاجة رغم ما يتحمله من آلام ويرفل فيها من عذاب حتى يصل إلى طريق مسدود ، وتنعقد أمامه كل الحلول ، وتنغلق في وجهه جميع الأبواب سوى باب واحد تلجئه إليه إلجاءً وهو باب رب العالمين الله الواحد الأحد قاضي الحاجات ومفرج الهموم والكروب ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ [الزمر]

فيتضرع إلى الله تمام التضرع والتذلل ويمعن فيه كلما زادت آلامه وعذابه ومعاناته وأحزانه ، حتى يستجيب الله لتضرعه ويفرج عنه ما هو فيه ، ويمن عليه بانفراجة من عنده بحادثة أو حدث يقع بعيدا عنه ولكن حل هذا الحدث يكون بتدخل منه ، يساعده في الخروج من عقدته وآلامه وأحزانه ، ثم يمن عليه بتعرف على شخص يكاد يقتله، ثم تتكشف الحقائق وتنقلب الحال و تساعده أيما مساعدة في رفع المعاناة عنه تماما ، ويساعده في الحصول على حاجته وتحقيق هدفه ويفرح ويسعد ونحن كذلك ، عندها يصبح بطلا عظيما نبيلا فاضلا نقتدي به ونتعلم منه ، ولا يجب على الإطلاق أن

تنتهي حياته بفاجعة أو حزن ، بل بفرح وسعادة له ولنا نحن الجمهور ٠٠ أما من تنتهي حياتهم بفاجعة عظيمة بأن يقتلوا مثل سيدنا عمر بن الخطاب ، و سيدنا على بن أبى طالب ، وسيدنا عثمان بن عفان ، وسيد شباب أهل الجنة سيدنا الحسين رضى الله عنهما ، سنناقش ذلك في موضعه من فصل المأساة بإذن الله٠

إن غاية المأسملهاة ونبلها وعظمها وسموها تتجلى فيما يتحمله بطلها مما لا يحتمل، وهو عن حق يستحق لقب البطل ومع ذلك يظهر عجزه وضعفه وعدم كماله ، أمام قدرة وقوة الله وكماله ووحدانيته ، رغم ما يبذله من جهد خارق وما يجنيه من الأحزان وما يلاقيه من الأهوال والمحن والمعاناة والآلام من جراء تمسكه بحاجته العظيمة وهدفه النبيل اللذين لم يحققهما بعد ، بل يصل إلى طريق مسدود ، فيعترف بعجزه ، ولا يجد بدا سوى التذلل والتضرع إلى الله ، وإثبات الخضوع التام له ، معترفا بضعفه أمام قوة الله ، وأن الله وحده الواحد هو قاضى الحاجات ومفرج الهموم ورافع المعاناة والأحزان ، وهنا يتجلى السمو والنبل والطاعة لمن يستحق الطاعة والعبادة، وهو الله الذى يستجيب له ويفرج عنه ما هو فيه، ولا يخذله ويساعده في الحصول على حاجته وتحقيق هدفه ، مما يعمق بداخلنا الإيمان ، ويعظم بداخلنا الطاعة ويحفزنا على الشكر ، ويجعلنا نداوم على التسبيح والاستغفار والذكر والسلام على أنبيائه ، مما يستوجب عليك أنت هذا الإيمان الكامل واليقين التام بأن القادر على كل شيء هو الله ، وقص على حياتك أنت نفسك هل أنت بقادر على النجاة من الآلام والأحزان والمعاناة دون أن تلجأ إلى الله ؟!! لا أعتقد ٠ وإن كنت تعتقد أنت فهل تأمن مكر الله ؟!! وإن كنت تأمن مكر الله فنحن من تكتب لنا لا نأمن مكره ، ونوقن ونؤمن أن الأمر بيد الله تعالى ، كما نعرف أنك أنت الذي تقرر للبطل حاجته وهدفه وما يود قوله وما رسالته التى هى رسالتك أنت ، **فأنت بمثابة القدر الذي تقدر على شخوص قصتك من يكون سعيدا ، ومنْ يكون شقيا ، ومنْ يُقتل ومنْ يعيش ، أنت مستخلف**

عن الله فى حدود قصتك ، فلابد أن تعرف الله جيدا وتؤمن به تمام الإيمــان ، فهــو الذي منحك هذه الإنابة عندما منّ عليك بالموهبة وخصك بها ، لتعمل وتكتب حسـب تعاليمه وفرائضه ونواهيه ، دون أن تزايد فتحرم ما أحل ، و تحلل ما حرم ، وتمنع ما أعطى ، وتمنح ما منع · لا تجهد نفسك كثيرا فى كيفية صنع المعانــاة والمأســى التى تحيق بالبطل ، لأن من أسس القصة ووحدتها الثالثة الزلة أى الغلطة مــن غيــر قصد ولا سوء نية لعدم كمال علمه ، فلا إنسان كامل العلم ولا ناجيا مــن الغلطــة · الزلة هى المسببة للآلام والمعاناة والحزن والأسف ، وأن من شــروط عظــم قصــة المأسملهاة التضرع لله ، والذكر لأنبيائه ، ثم تأتى الوحدة الخامسة من أســس القصــة وهى الانفراجة بحدث أو حادثة تكون فى العادة مفرحة سارة ، وتكتمل السعادة بالوحدة السادسة وهى التعرف ، وسنتناولها بالشرح والتفصيل – بالدليل القــاطع والبرهــان الساطع – فى موضعها بإذن الله·

تعريف القصة المأسملهاة

البداية مشهد مثير جذاب مشوق ممتع غامض سار مفــرح ، لشخصــية عظيمــة ونبيلة له حاجة كبيرة يريد الحصول عليها ، وهدف نبيل يريد تحقيقه ، تختلــف مــع حاجات شخوص آخرين ، ونظرا لهذا التفاوت ينشأ الصراع على أشده مــن غيــرة وحسد وحقد وكراهية ونقص يحركهم ، وتكون المفارقة من أن الصراع يشــب مــن أقرب الناس ، فيتآمرون عليه للوقيعة به ، ويبدأون فى اســتعمال الــدهاء والمكــر والحيلة ، بأن يظهروا له أنهم سيساعدونه فى الحصول على حاجته وبلوغ هدفه ، وهم يقصدون غير ذلك تماما ، وبالمكر والخديعة يتغلبون عليه فى مكان مجهول يصــعب عليه العودة والنجاة منه ، ويضعونه فى أزمة كبرى تكاد تعصف بحياتــه – فنخــاف عليه – فيصبر عليها ويتحمل ، ويحاول النجاة وتلمس طريقه مرة أخرى ويجاهد من

أجل ذلك أيما مجاهدة ويتضرع إلى الله ، بينما هم يسخرون ويتظاهرون كذبا بـأنهم حزانى عليه ، وهم فى الحقيقة سعداء لأنهم انتصروا وتغلبوا عليه ظنـا مـنهم أنهـم نجحوا فيما خططوا له • وتحدث المصادفة المفرحة ، ويسخر منهم القدر – فنضحك عليهم – حيث يتقابل محتاج يريد الحصول على حاجته ، ومن غير أن يقصد يساعده وهو المحتاج إلى المساعدة ، فيكون الأخر سببا فى مساعدته ونجاته مما يهدد حياتـه ويعكر كدر صفوه ونقائه ، وتكون فرجا وسعادة له ، ولكن السعادة لا تـدوم ، حيـث تحدث المفارقة العجيبة ويكتشف الآخرون – من أرادوا الوقيعة به – نجاته ، فيتآمرون عليه مرة أخرى أنكي وأشد، وتواتيهم الفرصة لمعاودة المكـر والـدهاء والكـذب ، فيوقعون به مرة أخرى مع من كان سببا فى مساعدته فى الخروج من أزمته ، وتنقلب الحال ويكون من ساعده من غير قصد هو نفسه سببا فى شقائه بقصد وتعمد بوضـعه فى ورطة أكبر • فيصبر ويحتسب ويتحمل المعاناة والآلام ؛ لأنه لا يستطيع المواجهة فقد نجا من الموت ولو واصل صراعه وهو لا يقدر على المواجهة فليس ببعيـد أن يتغلبوا عليه هذه المرة، ولذا يتحمل حتى تواتيه الفرصة ، وتحـدث المفارقـة مـرة أخرى أن من كان سببا فى شقائه وورطته بقصد وتعمد يكون سببا فى سعادته بغيـر قصد ولا تعمد ، حيث يجد نفسه فى الطريق الذى رسمه و يقترب كثيرا من الحصول على حاجته • ويكون الابتلاء فى نفسه وقوة عقيدته وعزيمته ، وتحدث المفاجأة أن من يكون سببا فى مساعدته فى الحصول على حاجته والسير فى طريقه الصحيح من غير أن يدرى ويضع فيه ثقته • يجد نفسه متهما بالخيانة وفساد العلاقة بينهما ، بسبب أقرب الناس لمن ساعده وأولاه ثقته وعطفه وكرمه ، فيحاول الدفاع عن نفسـه لأنـه برىء لم يخن من أحسن إليه ، ويفعل المستحيل من أجل إظهار براءته من تهمة مـا نسب إليه وهو منه براء ، ويجد حكما أمينا ويرضى بحكمه وتظهر براءته •ولكـن تحدث المفارقة من أن آخرين يتدخلون ويفسدون عليه هذه البراءة ، بإشاعتها وتأكيدها عند أكابر القوم فتكبر الفضيحة ، مما تسبب له أزمات جمة من أنهـا تعوقـه فـى

الوصول إلى حاجته ، بل تسد أمامه كل الأبواب المفتوحة ، فيصارعهم ويحاول دفـع الأذى عن نفسه • ولكنه يجد التكالب عليه من كل صوب ، مجبرا أن يواجه الجميـع مع أنه لا يمتلك شيئا من وسائل الدفاع إلا مقوماته الشخصية التى يمتاز بها وهى كل ما يملك ، وتحدث المفارقة ، أن ما يمتاز به يكون سببا فى شقائه وبلائه هذه المرة ؛ لأنهم يطمعون فيما يمتاز به وأداته الوحيدة• ويحاصرونه من كل جهة وإما أن يتنازل ويقدم لهم ما يمتاز به ، وإن يجبروه ليسلك طريقا يبعده كل البعد عن حاجته وهدفه ، فيضطر لاختيار الصعب ، فليس أمامه غيره يبقى له من شيء يمتلكه ليعينـه علـى مواصلة طريقه للحصول على حاجته وتحقيق هدفه النبيل ، ويسير فى طريق وحيـد يبعده كل البعد عن حاجته نظرا لتمسكه بما يمتاز به رغم التهديد والوعيد • فيحـاول أن يجتهد بعلمه وخبرته وإخلاصه يفعلها عساها تساعده فى الوصول إلـى حاجتـه ، وتفتح له طريقا ينفذ منه ويخرج من ورطته ، ويلتمس طريقه الصحيح الذى رسـمه نحو غايته ، وتحدث المصالحة مع أقداره وتكون المفارقة ، يجد من يحتاج إليه فيمـا هو بارع ومتفوق فيه، فيمد لهم يد العون والمساعدة برغم أنه المحتاج ، ويثبت لهـم براعته ويتأكدون من ذلك فى شيء يخصهم شهدوا له به ، فيقول لهم ما يستطيع قوله حيث نجح فى حل مشكلتهم ، فصار وقتا مناسبا أن يقول ما يود قوله من علم يمتلكـه ونصح وإرشاد وفلسفة مشبعة لديه بفكر من عقيدة سـماوية يـدعو بهـا الآخـرين المأزومين مثله عساها تفرج عنهم همهم وورطتهم ويتضرعون مثله لمن بيده الأمـر من قبل ومن بعد ، وهو الله الذى لا تجوز العبادة إلا له وهو مفرج الكروب وقاضـى الحاجات • ويعمل من أجل ذلك المستحيل ، ويحاول أن يستغل أى أمل يجول أمامـه يساعده أو حتى يقربه من الحصول على حاجته ، فيستعمل ذكاءه وعلمه وخبرته وكل ما يمتلكه من أدوات ، ويحوز ثقة الآخرين الذين يعرفون عنه ما يمتاز بـه ولكـن لا يقدمون له شيئا فيلتبس عليه الأمر ويتسرع ويأتي الزلة ويطلب العون والمساعدة من دون الله ، من واحد مثله يظن فيه الخير، ويأمل فى أن يساعده بأى طريقة من الطرق

المتاحة أمامه ، وخاصة أنه يعرف أن من طلب المساعدة منه يعرف شخصية كبيــرة في الحكم بيدها الأمر والحل والعقد والمساعدة أن أخبره عن الظلم الذى تعرض لــه ، وعما يمتاز به عن غيره من علم ، ولكن من طلب منه المساعدة ينسى ، فتنتاله الآلام والمعاناة ، وتكون العقدة لأن من يعول عليه حل مشكلته هو الآخر في ورطة كبــرى وعقدة مستحكمة . ولا أحد يستطيع أن يحل له هذه المشكلة التى تواجهه ويخرجه من عقدته برغم أنه يمتلك كل الإمكانيات ، في تقابل بديع وغريب ، حيث هو المحتــاج المأزوم الضعيف الذى لا يمتلك أى شيء غير ميزة واحدة ، محتاج إلى من يتوسم فيه المساعدة ، فيكون التقابل ، حيث من يتوسم فيه المساعدة هو الآخر محتاج مأزوم ، مع أنه قوى يمتلك كل شيء ولكن تتعقد الأمور أمامه أيمــا تعقيــد ، ولا أحــد يســتطيع مساعدته رغم كل الإمكانيات التى تحت إمرته وتصرفه وما يملك ، ومن يكون همزة الوصل ويمتلك طرق التعرف بينهما لا يتذكر . فيتضرع إلى الله ويعترف بخطئــه ويتوب إلى الله الذى بيده الأمر كله فيفرج الله عنهما وتحدث الانفراجة حيث من قصد الخدمة منه في المساعدة يتذكره ويدرك أن الحل بيده ؛ لأنه يعرفه وسبق له أن ساعده فيأتي إليه في مفارقة عجيبة لا ليساعده بل يطلب المساعدة منه رغم الحالة التى هــو عليها حيث إنه هو المحتاج ، وتحدث السخرية الكبرى من أنه الوحيد القادر على حل مشكلة من بيده الحكم ، فيبادر إلى مساعدته وحل مشكلته . فتعجب بــه الشخصــية الكبيرة من بيده الحكم ويريد أن يقابله . ومع أنه محتاج له ويعرف أن حل مشــكلته بيده ، وقد ساعده إلا أنه يرفض لقاءه في أكبر سخرية من كبير ، بل ويشترط عليــه وهو المأزوم الضعيف المحتاج له ، وتحدث المفارقة من أن الشخصية الكبيــرة مــن بيده الحكم يقبل صاغرا شرطه ويلبيه له ، ومنه يعرف حقيقته ويتأكد من نبل خلقــه ، ومن أنه مأزوم فيعمل على رفع الظلم عنه ويساعده فــي تجــاوز أزمتــه وعقدتــه المستحكمة .. ويتعرف على كامل حقيقته فيطلب لقاءه ويعده من أنه سيســاعده جــل المساعدة لأمانته وحسن خلقه وسلوكه ويمنحه ثقته الكبرى ويخرجــه مــن أزمتــه .

ويجد نفسه فى موقف يساعده فى الوصول إلى حاجته فيطلب المساعدة ،ويلبى طلبه ويستطيع أن يحصل على حاجته ويصبح ذا مكانة كبيرة وعمل مرموق يؤهله للسيادة على الآخرين ، ولكنه لم يحقق هدفه بعد ، ويحتاج إليه من له حاجة ، ويحدث التعرف ويكون أول المحتاجين له أقرب الناس إليه الذين تآمروا عليه ويصبحون هم الأضعف وفى موقف لا يحسدون عليه ، فى مفارقة عظيمة ما بين التراوح فى المكانة والمنزلة والغلبة وينعكس الوضع تماما ، حيث يضعف القوى رغم قوته ، ويقوى الضعيف رغم ضعفه ، ويصبح البائع مشتريا والمشترى بائعا، ويظل النبيل نبيلا والوضيع وضيعا . يدفعه نبله وحسن خلقه يترفق بهم لأنه عرفهم وترفق بضعفهم ، وهم لم يعرفوه بعد ، فهم لا يصدقون أن من فعلوا به الأفاعيل يصبح فى هذه المكانة وتلك المنزلة وهم يأتون إليه أذلاء محتاجين مساعدته .فلا يتأخر عنهم ولا ينتقم منهم ، بل يمد لهم يد العون بسخاء ،ويبسط لهم نفسه ويذللها حتى يتعرفوا عليه دون خوف ، ولكنه يفرض شروطه ويطلب منهم طلبا ليختبرهم ، ويعدوه بتلبيته . ولكنهم لوضاعتهم وكذبهم ومكرهم يصبحون هم فى ورطة حيث يجدون صعوبة فى الوفاء بطلبه . ولذكائه وعلمه بأخلاقهم يحفزهم على الطمع واستجابة طلبه ، ولأنهم طامعون يفعلون المستحيل من أجل استجابة طلبه . ويقبلون أذلاء صاغرين بما لم يقبلوا به فى السابق ، ويجبرهم على الصدق والوفاء بالعهد مع أقرب الناس لهم ، ليعرف هل سيصدقون هذه المرة أم سيعاودون سيرتهم الأولى فى الكذب والخداع مرة أخرى ويستجيبون لطلبه ويعودون إليه بما طلب . ويتآمر عليهم هو هذه المرة ويرد لهم تآمرهم ولكنه لا ينوى بهم الشر، بل يريد أن يتقرب منهم ليعرفوه دون أن يخافوا ، وهو يريد بهم الخير فيجد منهم ثمة تغيرا وهم ينزعون إلى الصدق هذه المرة ويحكمهم فى مشكلة يصنعها بنفسه ليعلم مدى صدقهم ، وينفذ ما حكموا به على أنفسهم فى سخرية مبطنة وتحدث المفارقة الكبرى يتهمونه بما ليس فيه ويسيئون له وهو المحسن لهم ، ويخطئون فى حقه وهو يريد إنصافهم ، وهم لا يعرفون أن من يخطئون فيه هو من

الفصل الثالث

أسس القصة بصفة العموم

القصة كقضية كبرى تنظر ، تمر بسبع مراحل ، وتستغرق وقتا طويلا ، حتى تحل ،

تتكون من سبع مراحل ، أو وحدات ، أو محطات :

البداية – الابتلاء – الزلة – العقدة – الانفراجة – التعرف – النهاية.

والوحدة تتكون من ثلاثة أجزاء : بداية – عقدة – حل .

والجزء يتكون من مشاهد ، والمشهد يتكون من: بداية – ذروة – نهاية .

الأسس عبارة عن سبع محطات رئيسية تمثل سبعة مواضع حبكة كبرى ، ونعنى مكان أزمة كبرى • وعبارة عن واحد وعشرين موضع حبكة صغرى ، ونعنى مكان عقبة صغرى ، يساهمون فى دفع الفعل للأمام ، وتطوره تطورا طبيعيا منطقيا ، من بدايته ينطلق القائم به نحو مسعاه وخاتمته ، ثم الابتلاء الذى يغير من خط سير الفعل إلى غير اتجاهه الصحيح ، ثم الزلة التى يحاول فيها القائم بالفعل على تعديل الخط نحو طريقه الصحيح ، فتكون العقدة التى يواجه فيها الفاعل أزمة كبرى نحو طريقه الصحيح الذى يلتمسه ويجاهد فيها جل المجاهدة ، حتى تحدث الانفراجة والتى منها يستطيع القائم بالفعل من العودة إلى طريقه الصحيح ويحصل على حاجته • ويواصل طريقه الصحيح حتى النهاية التى يحقق فيها هدفه بترابط حتمى متين • محطات مرابضة على الطريق الواصل بين البداية والنهاية ، وهما كمدينتين تفصل بينهما مسافة طويلة ، تقع على هذا الطريق سبع محطات لمدن صغيرة أو قرى كبيرة ، وتلك المسافة الفاصلة بينهما وهى غير ممهدة بل بها عقبات كبيرة وحفر عميقة وموانع جمة يجب على البطل تخطيها مهما حدث ، وهذه المسافة هى طول القصة المعقول الذى

يستطيع العقل إدراكه ومعرفته ، وتستطيع العين رؤيته واستذكاره عند قطعه أو مشاهدته . وهذا الطول المعيب هو جملة ما يجب على البطل قطعه والسير فيه ، مستعينا بأي أدوات للسير ، سواء كانت سيارة ، أو دابة ، أو سيرا على الأقدام ، حسب ما يناسب من أدوات يمتلكها البطل من قوة ذاتية أو مالية أو معنوية أو نفسية أو علمية أو خبرة ذاتية وحياتية ، وتكون إحداها من جملة خواصه المميزة المعروفة عنه وعليه أن ينتقل من محطة إلى أخرى ، والمحطة لابد أن يتوقف فيها فإما أن يجد فيها ما يتزود به ويعينه على مواصلة طريقه ، وإما تكون عائقا له وحائط صد يجبره إما على مواصلة طريقه المستقيم ، وإما أن تجبره على تحويل مساره المستقيم إما يمينا وإما يسارا .

المحطة الأولى البداية وهى النقطة أو المدينة التى يبدأ منها عمله الفعلى ويكون متحكما فى أدواته جيدا ، وقد أعد عدته على أحسن ما يكون لما يريد الحصول عليه وما يهدف إليه ، والمحطة مفتوحة نحو طريقه الذى سيسلكه ، وتسمح له بالانطلاق حسب سرعته ومقدرته فى السير وتكون عامل دفع وتشجيع له ، ومن المؤكد أنه لا يكون السير بسهولة بل بصعوبة بعض الشيء لأن به موانع حيث ينافسه ويصارعه آخرون يريدون أن يسيروا معه على نفس الخط بل يريدون أن يوقفوه هو وينطلقوا هم ، فيبدأ صراعه معهم حيث يريد أن يتفرد بالطريق ، ويساعده فى ذلك قوته وأدواته وحسن خلقه وقوة بلائه وتمسكه بهدفه النبيل الذى يمنحه وقود الإصرار على نهب الطريق حتى يصل إلى المحطات الأخرى ويصل إلى مبتغاه من تحقيق هدفه النبيل، ما إن يعبر من مانع إلا ويقابله مانع آخر عليه أن يجتازه ، حتى يصل إلى محطة تالية .

المحطة الثانية الابتلاء ، وهى محطة صعبة جدا ليس بها أى شعاع من نور إلا ما يكفى أن يرى موضع قدميه ، ويحاول أن يمر منها ولكنه لا يستطيع على الإطلاق إلا أن يخرج منها إلى اتجاه عكس الذى يريده ، أى يتجه إما يسارا وإما يمينا ، وعليه أن يفاضل بينهما ، وبما أنه خير فاضل نبيل فمن المؤكد سيختار الاتجاه الأيمن فيسلكه

مجبرا مضطرا آملا أن يقطع فيه مسافة تمكنه من العودة إلى طريقه المستقيم ، هـذا غير أنه سيجد فيه موانع كثيرة وعقبات جمة ترهقه وتؤلمه وتفقده الكثير من عوامـل قوته وتسحب من رصيد زاده ومئونته إلى أكبر حد ، ولكنه يتمسك بشيء مـن قوتـه حتى يستطيع أن يواصل طريقه الموحش بعناء كبير ، حتى يسـتطيع التغلـب علـى الموانع مانعا وراء مانع ، حتى يبلغ به الجهد مبلغا ، وبالكاد يصل إلى محطة غيرها.

المحطة الثالثة الزلة ، والتي سيجدها على نفس الطريق الأيمن الـذى يسـير فيـه مضطرا وتكون هذه المحطة أكثر شدة وأكثر ظلاما من سابقيها وهو الذى بلـغ بـه الجهد مبلغا كبيرا ، ونفد الكثير من زاده حتى إنه لم يصبح معه شيء ، مما لا يمكنـه من الرؤية السليمة الكاملة ، ويشعر بشيء من الغيام عليها ، ومن الإجهـاد الـذى لا يجعله يمعن التفكير جيدا ، وهو الذى يصر على مواصلة طريقه نحو حاجتـه التـى يتمسك بها رغم ما هو فيه ، حتى يرى ثمة بارقة أمل من تمحيص التفكير المجهـد ، فيسير وراء هذا البصيص ظنا منه أنه سيخرجه من هذه المحطة المنغلقة ، فيخرج منه إلى وجهة يظن فيها الخير، وطريق يظن فيه أنه سيوصله إلى الأمان وإلى الطريـق الذى رسمه ويراه عن بعد ، ولكنه بعد مسافة يقطعها يكتشف أنه وصل إلـى طريـق مسدود بجبل عال ، وليس أمامه من مخرج سوى أن يصعد هذا الجبل ، فيستعين بالله ويتذلل له أن يعينه على صعود الجبل لينفذ إلى طريقه ، ويحاول أن يسير وهو محمل بالتعب والإرهاق والمعاناة ، حتى يبلغ منه الجهد مبلغا ، فيحاسب نفسه ويكتشف أنـه أعد حساباته خطأ ، وأنه ارتكب خطأ لم يكن يقصده أبدا، فيتقرب إلـى الله بالـدعاء والتضرع والتذلل ، آملا فى أن يقبل الله توبته لأن الله تواب رحيم ، وبالكاد يصل إلى الذروة...

المحطة الرابعة العقدة فيرى طريقه المستقيم عن بعد طويل ، ولكنه مـا إن يبلـغ قمته يريد أن ينزل إلى الجهة الأخرى حتى يجد على قمة الجبل رجالا أقوياء أشـداء يقودهم رجل مغوار ، يجب عليه منازلتهم والانتصار عليهم حتى يسـتطيع أن يمـر،

وتكون عقدة بحق لأنه لا يستطيع منازلتهم بمفرده ، ولكنه ليس معـه ناصـر إلا الله فيستعين به وينازلهم ، ويحدوه الأمل فى أن ينتصر عليهم وينازلهم ، معتمدا على أن الله لن يخذله أبدا لأنه نعم المولى ونعم النصير ، وهذا الإيمان وهذه الثقة فى الله تكون زاده ، ومادة قوته التى تسرى فى عروقه لتقويه ، وتمده بوسائل القوة ، ويبحث فـى داخله عن مصادر قوته حتى يستغلها ويفعلها ويحاول أن ينتصر بها ، وفعلا يستعملها بكل جدية ويدفع وينازل ويصارع ويضرب ويحاول فتح الطريق الذى يراه على بعـد خطوات منه ، ولكنه لا يستطيع الوصول إليه ، فيتضرع إلى الله أكثر ويتـذلل أكثـر فليس أمامه غير ذلك ، وهو الذى بدأت جميع قواه تخر تماما ، فقـد أحكمـوا عليـه الحصار، ويتمكنون منه ويكادون يجهزون عليه حتى يقترب من التسليم لهم.وينتظـر فرج الله ، فهو يقاوم بما تبقى له من جهد ، وينتزع أمتارا وخطوات نحو المنحدر الذى يرى فى آخره طريقه الذى يريده ، ذلك الطريق الذى رسمه لنفسه ويثق أنه هو الذى سيوصله لما يريد معتمدا فيه على مخافة الله الرحمن بعباده الرحيم بمـن لجـأ إليـه وتضرع ، التائب لمن تقدم إليه بالتوبة عن ذنب لم يكن يقصده ولم يكن لديه أدنى نية على ارتكابه ، ويصل إلى الانفراجة...

المحطة الخامسة الانفراجة : كل شيء والذى وعد عبده المتمسك به من بعد العسر يسرا ، وتخرج حية ضخمة تقذف بسمومها وأسنانها بساق كبير الرجال المجابهين لـه فيجرى أعوانه ويهربون خوفا من الحية العظيمة التى تمسك بسـاق كبيـرهم الـذى يصرخ فى البطل المجهد الذين تركوه ، ويتوسل إليه أن ينقذه من براثن الحية التى بثته سمومها وانصرفت إلى حال سبيلها ، فيقوم وينفض عن نفسه آلام المعاناة والإعيـاء الكبير ، ويستغل علمه بمعرفة المداواة ويقوم ليداويه دون أن يطلب منه أى مطالب أو أى مساعدة أو أى عهد ، ويقطع ملابسه ويمسح بها على ساقه الكبيرة لينظفها من آثار السم ، ثم يضع فمه مكان اللسع ويشفط السم ليخرجه من الجسم ، حتى يخرجه كلـه ، ويشعر الكبير ببعض الراحة من الآلام ، فيتطلع إلى البطل ويقول له : مر بسلام إلى

حيث تريد ، ويرد عليه لن أمر حتى أطمئن عليك وأصطحبك معى إلى أقرب مكــان تطمئن فيه على سلامتك وتكمل العلاج ، فينبهر به ويقوم يستند عليه ويقول لـــه لــن أنسى لك جميل صنعك ، وسأقدم لك جل أعمالي فيما تطلب ، ويستطيع البطل الوصول إلى ٠٠٠

المحطة السادسة التعرف ، والتى يجدها شبه مضاءة وهو يصطحب الرجل الكبيــر الذى ما إن يقترب من ملكه إلا وأولاده يجرون ينهالون ضربا ظنا منهم أن البطل هو الذى فعل بوالدهم ما فعل ، فيلومهم ويحاول صدهم ويقول لهم إن هذا الرجل البطــل هو الذى أنقذني من الموت بعد أن هاجمتني الحية وتخلى عنى رجالى ، أحسنوا إليــه وقدموا له كل ما يطلبه ، وأعينوه على حاجته ، فيستجيبون لوالدهم ويرحبون بالبطل ، وهنا يستغل البطل ما فيه من وضع يسمح له بطلب المساعدة ، فيطلبها من موقف قوى فيساعدونه في الحصول على حاجته ، ويقدمون له جل المساعدة ، ويصبح فى حالــة يستطيع بها مواصلة طريقه ويحقق هدفه ويصل إلى غايته٠٠٠

المحطة السابعة النهاية التى يحقق فيها هدفه ويكون قد بلغ حاجته ، وانتصر وتفوق على مصارعيه ، وأثبت جدارته واستحقاقه أن يكون بطلا ، ويحق لـــه فـــى نهايــة المطاف أن يلخص تجربته التى عايشها ويدلى بحقيقة عامة تكون خلاصة فلسفته مما تفوق فيه ووصل له بالتعب والجهد والعرق والإقناع ، فقد كنا مشاهدين له حتى إننــا نصدقه ، ونشهد له بذلك ونؤيد حكمته ونأخذها عبرة ودرسا نتعلمه ، وتكون النهايــة سعيدة مفرحة له ولنا ٠

القصة عبارة عن خيط رفيع به سبع عقد ، وكل عقدة تسبقها بداية ويليهــا حــل ، بدون أن يقطع هذا الخيط الرفيع الذى هو الحبكة الرابطة بين المشـــاهد ، ليتواصــل الفعل على خط واحد غير منقطع ، وإلا انفرطت مشاهده ، وتباعدت أفعاله ولم يعــد بينها رابط يربط بينها ، وهذا من دواعي فشلها وعدم مصداقيتها ، وخروجهــا مــن

حرفية الصنع وطور القص الفنى المشاهد الذى يخضع للإقناع والمصداقية والتشـــابه والمماثلة – ليس بالقياس التام – مع الواقع ٠

أسس القصة المأسلهاة

البدايــة

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [الروم] الله يخلق كل شيء من بداية تبدأ منه نحو اكتماله ومنتهاه ، وبما أن الإنسان مخلوق لا يستطيع أن يخلق فهو يصنع والصنع له بداية حتمية تتكون من أشياء موجودة لكنها متناثرة ليست لها بنفسها معنى واضح ، وليس بينها رابط ، ليصنع منها الصانع قواما جديدا وشكلا فريـــدا بغـــرض جديد واسم جديد بهدف نبيل لتؤدى حاجة جليلة وخدمة عظيمة ، فأنت أيهـــا المؤلـــف مستخلف عن الله بما منحك من موهبة تصنع جزءا من الدنيا التى خلقها الله وتصـــنع تشبيها لها ، بحسن صنعة ونبل هدف ، كما خلقها الله وصورها بدقة وكـــل مخلـــوق ميسر لما خلق له ومطلوب منه أن يقوم بدوره ويؤديه ، متبعا أوامره ومنتهيا بنواهيه ، ولا تزيد ولا تنقص ، لتحقق أكبر قدر من الإقنـــاع والمعقوليـــة ، فالإنســـان أعظـــم مخلوقات الله ، وبكل ما أوتى من قوة فهو له مقدرة محدودة – برغم أنهـــا مطلقـــة – على الفعل كما نعرفه ونعيه جميعا ، فالإنسان لا يستطيع أن يأتي بالخوارق ويحـــول المستحيل ليجعله ممكنا إلا بإعانة من الله تلك القوة العظمى العليا التى لا تدانيها قـــوة ولا تساويها عظمة ، ومن هنا تأتى المعقولية ومشابهة الحياة ومحاكاة الواقع المقنع ٠

والله القادر على كل شيء خلق الدنيا فى ستة أيام بسبع سماوات طباقا ، وخلق الإنسان فى سبعة أطوار ومراحل ليجعله أحسن الخلق .

البداية هى الفعل الأول الذى لا يسبقه شيء بالضرورة ، ويتكون من مشاهد متتالية تربط بينها حبكة عظيمة يلحم بعضها ببعض على أساس من الحتمية والاحتمال لتكون عظيمة ومقنعة ، يبنى عليها أحداثا من أفعال أخرى تتحقق بالضرورة لتصل إلى وحدة أخرى؛ وتشي بمضمون القضية التى ستطرح بدون أن تكون القضية سابقة التجهيز عن البداية الحقيقية المشاهدة ، فليس باستطاعتنا أن نعرف ما لم نره أو نسمع عنه ، فلا نبدأ بقضية دون أن تكشف أسبابها من البداية الطبيعية المنطقية المقنعة ، عندما يبوح البطل ويكشف عما يريد الحصول عليه مستعرضا كل ما يتعلق به ، ثم يبدأ فى طرح المشكلة التى تواجهه ، ومن ثم ندرك نحن حتى دون أن يتكلم أنها لا تكفى ولا تفى بمتطلبه الذى يريد الحصول عليه .

البداية تتكون من مجموعة من المشاهد ، منها مشهد مثير جذاب مشوق ممتع غامض سار مفرح ، لشخصية عظيمة ونبيلة ، له حاجة كبيرة يريد الحصول عليها وهدف نبيل يريد تحقيقه ، تختلف مع حاجات شخوص آخرين ، أو تتفق ، فينشأ الصراع على أشده ، وتكون المفارقة من أن الصراع يشب من أقرب الناس ، أو على الأقل من آخرين يعرفهم ، فيتآمرون عليه للوقيعة به ، ويبدأون فى استعمال الدهاء والمكر والحيلة ، بأن يظهروا له أنهم سيساعدونه في الحصول على حاجته وبلوغ هدفه ، وهم يقصدون غير ذلك تماما ، وبالمكر والخديعة يتغلبون عليه ، ويضعونه فى أزمة كبرى تكاد تعصف بحياته – فنخاف عليه – فيصبر عليها ويتحمل ، ويحاول تلمس طريقه ويجاهد من أجل ذلك أيما مجاهدة ، بينما هم يصيرون سعداء لأنهم انتصروا وتغلبوا عليه ظنا منهم أنهم نجحوا فيما خططوا له . وتحدث المصادفة المفرحة حيث بالأدوات التى أوقعوه بها يستعملها هو ويحولها إلى أداة له تكون نفسها

سببا فى الخروج من أزمته ، وتكون سببا فى نجاته مما يهدد حياتــه ، ويســتطيع أن يواصل طريقه وتكون فرجا وسعادة له ، ولكن تحدث المفارقة العجيبة أن من يكــون سببا فى نجاته ومساعدته من غير قصد هو نفسه سبب فى شقائه وحزنه بقصد وتعمد بوضعه فى ورطة أكبرى ٠ فيصبر ويحتسب ويتحمل المعاناة والآلام وهو يصر على مواصلة طريق نحو حاجته وهدفه الذى يضعه نصب عينيه لا يثنيه عنه أى ممانعة أو صراع أو مجابهة مهما كانت ؛ ويبذل مجهودا جبارا ويدخل إلى حلبة الصراع بكــل ما أوتى من قوة يمتلكها من علم وعقل وصبر وحكمة حتى يستطيع أن يتغلب ويحول ما فيه من أزمة له إلى أزمة لمصارعيه الذين يستطيع التغلب عليهم ، وتنقلب الحــال وتحدث المفارقة مرة أخرى ، أن من كان سببا في شقائه وورطته بقصد وتعمد يكون سببا في سعادته بغير قصد ولا تعمد ، حيث يجد نفسه فى الطريق الذى رسمه لنفســه ويقترب كثيرا من الحصول على حاجته ٠

البداية تعتمد على السخرية من أن ما يريد البطل تحقيقه والحصول عليــه لنفســه ولغيره ، يكون هو نفس سبب شقائه ومصارعته وعدائه منهم له ، مع أن مــا يريــد تحقيقه يعود عليهم بالنفع والمصلحة ويكون جزءا من أهدافهم وحاجاتهم ، ومع ذلــك يكون سبب نشوب العداء بينهم ٠

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم] والمعنى أن الله تعالى هو الذي خلقنا من ماء ضعيف مهين وهى النطفة التى تتخلق وتصبح مخلوقا جنينا إنسانا جمــيلا يولــد ويخرج إلى الدنيا لا يقوى على شيء ولا يعرف أى شيء حتى يصبح طفلا ضــعيفا يعتمد على أبويه ، ثم جعل من بعد ضعف الطفولة عندما يشب ويكبر ويصبح يتمتــع

بقوة الرجولة ، ثم جعل من بعد هذه القوة ضعف الكبر والهرم يخلق الله ما يشاء من الضعف والقوة وهو العليم بخلقه القادر على كل شيء.

ما من شيء إلا ويبدأ من ضعف ثم قوة ثم ضعف ، هذه قاعدة ربانية تسرى على جميع الخلائق ، حتى المادية منها مثل الحضارات العظيمة والقوى العظمى وآخرها مثلا الاتحاد السوفيتي الذى ضعف من بعد قوة حيث كان يمثل أحد قطبي العالم الحديث ، والعاقلة وغير العاقلة ، والمصنوعة منا ، والمخلوقة من الله.

بداية البداية (الضعف)

مشهد مثير جذاب مشوق ممتع ، مستحيل ، أو ممكن ، أو خيالي ، أو واقعي ، مفرح كان أم محزنا ، ولكنه يفضل أن يكون مفرحا وسارا ، يفصح فيه ويوضح من الشخصية الرئيسية البطل ، ما اسمه ؟ ما كنيته ؟ أذكر أم أنثى ؟ شاب أم رجل ؟ أعزب أم متزوج ؟ وإن كان أعزبا فلماذا ؟ وإن كان متزوجا هل يحب زوجته أم لا ؟ وإن كان لا يحبها فلماذا ؟ هل يعمل أم لا يعمل ؟ وإن كان يعمل فما العمل الذى يعمله وإن كان لا يعمل فلماذا لا يعمل ؟ أيوجد مانع طبيعى كالإعاقة الطبيعية ؟ أم أن هنالك موانع اقتصادية أو سياسية أو غيرها ؟ أهو يعيش بمفرده أم في وسط عائلته ، أمه ، أبيه ، أخوته ؟ وهل هو الابن الوحيد أم أن له أخوة ؟ وما ترتيبه بينهم ؟ أهو عطوف أم قاس ؟ أهو محبوب أم مكروه؟ أهو مقدام شجاع أم جبان متخاذل؟ أهو كريم أم بخيل؟ متعلم أم جاهل؟ أهو متفائل أم متشائم ؟ وما مصدر تشاؤمه ؟ وما مصدر تفاؤله أهو محبوب من والديه أم لا ؟ أهو متعاون معهما أم لا ويحب نفسه ؟ هل يعتمدون عليه أم يفقدون الأمل فيه؟ ولماذا إذا كانا لا يعتمدان عليه ؟ أهو أناني أم يحب الآخرين .

ماذا يريد أن يحصل عليه ؟ ماذا يريد أن يحققه؟ ما المشكلة التى تواجهه؟ ما إمكانياته النفسية والاقتصادية والمادية والعائلية التى ستساعده فى الحصول على حاجته وتحقيق هدفه ، أم سيكونون سبب شقائه وفشله ومصارعته؟

ما المكان الذى تجرى فيه المشاهد ؟ أهو قرية أم مدينة ؟ فى البيداء أم فى الحضر؟ أهو مكان داخلي ، بيت ، قصر ، خيمة ، حجرة ، صالة ، مصنع ، أو نحو ذلك ؟ أم مكان خارجي فى الشوارع ، الحدائق ، الجبال ، المزارع ، الوديان التلال؟ ما فلسفتك من تحديد ومسرحة المشهد ؟ أتبين المكان الذى يعيش فيه البطل ؟ أم مكان عمله ؟ أم مكان مشكلته؟ أم مكان قضيته ؟ أم توضح مكان معيشته وإظهار وضعه الاجتماعي من أنه غنى أم فقير ؟ من طبقة راقية أم من طبقة شعبية ؟

ما الزمان الذى يجرى فيه المشهد ؟ هل يجرى الفعل فى الليل أم فى النهار ؟ وإن كان ليلا فلماذا ؟ وماهدفك من ذلك؟ هل لتبين أنه مقدم على أيام صعبة ومشاكل جمة ؟ ومستقبله غامض ؟ أم نهارا لتدلل أن حياته ميسرة مستبشرة ؟ أم تختار أن يكون المشهد يشي بالسعادة ونبل الحاجة والهدف لذا هو فى النور ؟ أم فى الظلام لأنه يوحى بالحزن والكآبة والحاجة ليست وجيهة والهدف ليس نبيلا ٠

يشتمل المشهد الأول كل أو معظم أفراد أسرة البطل ومدى علاقتهم به ؟ ومدى الروابط بينهم ، ومدى مكانته بينهم ؟ وهل يتفقون معه فيما يريد أم يختلفون معه؟ وإن كانوا يتفقون فلماذا ؟ وإن كانوا يختلفون فلماذا ؟ أيبدأ الصراع من داخل الأسرة ويكون بعضها طرفا فيه ؟ أم الجميع متوافق معه ولذا هم يقفون معه ويمثلون طرفا أول من أطراف الصراع؟

بعد أن عرفنا من هو البطل ؟ ومن هم أهله ؟ ومن خلالهم يبدأ البطل فى الإفصاح عن حاجته التى يريد أن يحصل عليها ، ويفصح عن هدفه الذى يريد أن يحققه ، ومنه نعرف ما الموضوع ما القضية التي تود طرحها ؟ ما المشكلة التى تود

التعرض لها وكشفها وتعريتها وكشف مسالبها التي يريد أن يصلحها وتمثل حاجتــه ، ويسبر أغوارها ويناقشها وتكون من ضمن أهدافه ، وذروة حاجته التي لا بد أن تكون جليلة حسنة سامية ، تخدم البطل وتخدم آخرين ، كما توضح وتكشف لماذا يفعل هؤلاء الشخوص هذا الفعل؟ ماذا يفعلون ؟ وكيف يفعلون ؟ وبأي وسيلة ؟ وهو ما يكشــف فكر البطل أولا وعقيدة الشخوص الأخرين ؟ وطريقة تفكير البطل والشــخوص هــي التي تبين وتوضح عقيدتهم الدينية ومعتقدهم السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي ، وهو الذى على أساسه يتصرفون ويفعلون ويتكلمون ويختارون ، ومنه نستطيع نحن الحكم عليهم، فاضلهم من رذيلهم ، تقيهم من عاصيهم ، شقيهم من سعيدهم ، من نقتدى ومن لا نقتدى به ؟ من نحبه ويستلب تعاطفنا وشفقتنا ورأفتنا وخوفنا ودعاءنا ومؤازرتنا ؟ ومن يقطع كل ذلك لهم ؟

فيها يتم التوضيح والكشف عن الطرف الأخر الذى من الممكن أن يقف عقبة فى طريق البطل ويصارعه ويعترض طريقه ، أو ذكر الممانعات والمشكلات والعوائــق التي من الممكن أن تقابله نظير تحقيق حاجته ، منها ما هو حتمى ، ومنها ما هو ليس حتميا ولكنه محتمل أن يكون عارضا ومانعا غير متوقع فى لحظة مــا ومشــهد مــا وموقف ما ، مما يسهم فى تعطيل البطل بل يصنع أزمة كبرى له لم يكن يعدها بــين حساباته ، مما تصنع عقبة كبرى يجب عليه تخطيها ، وتخطيها ليس بالأمر اليســير ، ومن الممكن أن يكون غير الحتمى ولكنه محتمل هو الذى يقع فجأة وييسر على البطل حاجته أو يخرجه من أزمة هو فيها ، مما تسبب له فرحا وتسبب لنا نحن المشــاهدين سعادة وفرحا أيضا ، لأننا لم نكن نتوقعه ولم نكن نعول عليه كما أن البطل هو الــذى حدث فيبهرنا ، وهذا الإبهار هو الذى يدعونا للصلاة على الأنبياء ، مما يجعلنا نؤدي نوعا من العبادة التي تطهر النفوس وتذكى القلوب والأرواح ، وتكون مطهــرة مــن الأدران ووجع الضمير من أننا نضيع وقتا يلهينا عن ذكر الله .

ذروة البداية (القوة) التي هي عقدة البداية.

هي أول عقبة تكون في طريق البطل بعد أن أفصح عن حاجته وهدفه ، مما يكون مدعاة لإظهار الشخوص الآخرين الذين يوافقون أو يخالفون حاجته ، وبالتالي ينافسونه في الحصول عليها ، ومن ثم يبدأ الصراع بينهما ونعرف بوضوح طرفي الصراع ، والصراع من طبيعته أن يكشف نبل الهدف ونبل الشخوص من تواضعها ، ويبين أي الفريقين على الحق والصدق والخير ؟ من الخيِّر ومن الشرِّير ؟ ومن المؤكد أن يكون البطل هو الذي يمثل طرف الفضيلة ، لأن البطل لابد أن يكون من أصحاب النفس المطمئنة أو اللوامة ، وأن يكون مصارعوه من أصحاب النفس الأمارة بالسوء الأراذل. وأما أن يكشف الشخوص الأخرين الذين تختلف حاجاتهم عن حاجة البطل ، وبالتالي هم يصارعونه لأن تحقيق حاجته إيذان بعدم تحقيقهم حاجتهم ، أي يكون حاجة وهدف طرف حجر عثرة لحاجة وهدف الأخر فيتولد الصراع والمشاحنة والبغضاء على أشدها وهو المطلوب ، فلا قصة دون صراع ، والصراع هو وقود القصة وأداة الجذب والشد والإمتاع فيها.

لابد من أزمة كبيرة تظهر طرفي الصراع ، وتظهر مدى فاعلية البطل ، وما مصادر قوته التي سيعتمد عليها في الخروج من الأزمات ، وخاصة عند وحدة العقدة الكبرى التي تكون في منتصف القصة حيث تنغلق جميع الأبواب في وجهه ، ولا يبقى له من حل محتمل بعد الاستعانة والتضرع لله من ميزة يمتاز ويشتهر بها ، هي التي سيفيض الله من يحتاج إليها فيستعملها البطل ولا يكون أمامه ولا عنده غيرها هي التي تخرجه من هذه العقدة المستحكمة ، وبالتالي تكون محل إقناعنا نحن ، يجب عليك أن تركز عليها وتوضحها في أول عقبة تقابله ، وليس بالضرورة استعمالها واستغلالها من البداية ، وتكون الميزة مثل ، قوى الحجة ، عنده علم ما يمتاز به ، عنده حرفي أو

مهنة ما يمتهنها ويكون مميزا بها ، من أصحاب العضلات القوية والجسم المفتـول ، يتحلى بالصبر فهو صبور إلى أكبر حد ٠

حل أو نهاية البداية : وفيه يوجد حل للتعقيد السابق ليواصل البطل طريقه و يجتاز أول عقبة تقابله مع المحافظة على الغموض والتشويق والإثارة قدر الإمكان علـى أن تجعل ما سيحدث محتملا لا حتمي الوقوع ، وأن يكون الحل مفرحا ولا يكون مفرحـا إلا باعتماده على السخرية أو المفارقة ، وذلك يتأتى من سبب العقبة التى هـو فيهـا ويقطع مسافة بمجهود خارق يستعمل فيه كل أدواته التى يملكها حتى يستطيع أن يحول سبب العقبة إلى أداة للخروج منها ، وينجح فى ذلك مما تكون مدعاة للفرح له والسعادة والضحك لنا من خصمه ومصارعيه ، ثم يواصل طريقه نحو حاجته ، وإن كان ذلـك بصعوبة بالغة تجعلنا نجله ونحترمه ونكبره ؛ لأنها تظهر قوته ونبله ومدى إصـراره وتمسكه بحاجته وهدفه ، الذى من أجله يعمل ويجتهد ويصارع ويقاوم ويتحمل ٠

عقدة البداية تعتمد وتبنى على المفارقة الكبيرة ، المعتمدة على المثانى المتوافقة للحاجة الواحدة ، والتي تكون سببا لنشوب الصراع ، رغم الاتفاق على الحاجة الواحدة التـى تفرض التوافق والمؤازرة ، إلا أنها تحدث عكسها ، وتولد المؤامرة والمكر والدهاء ، ومحاولة انتصار وتفوق الوضيع على النبيل ، وينتصر وتتغلب الوضاعة على النبل ، وبعد حين تنقلب الحال ويرتد السحر على الساحر ، فإذا بمن يريدون إبعاده وانهزامه من غير أن يدروا يساعدونه مساعدة كبيرة من بلوغ حاجته ٠

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ

يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ [يوسف]

الوحدة الثانية: الابتلاء

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة]

الابتلاء هو سنة مؤكدة من سنن الله فى خلقه جميعا المؤمن منها والعاصي ، ولا يستطيع إنسان مهما بلغ على رده ، فهو قضاء الله وقدره الذى قدره على جميع البشر ، وهو أيضا القوة الأولى التى تهدد الإنسان فى سبب سعادته وقوته ، ولا قبل له على رده أو منعه أو مقاومته ، فهو واقع به لا محالة ، وكل ما يستطيع الإنسان فعله بإزائه هو تحمله بصبر وعزيمة وإيمان معترفا بضعف قوته أمام قوة الله التى لا تغالب ولا ترد مستعينا به عليها آملا أن يخففها عنه أو يعوضه بأسباب أخرى لسعادته التى يسعى لتحقيقها والنجاح فيها ، فليس هنالك من يود أن يعيش تعيسا محزونا فاقدا للأمل الذى هو مادة الحياة وسر الاصطبار على مغالبتها وصعوباتها ، معتمدا على وعد الله الذى قطعه على نفسه العلية بأن يرفع آثار البلاء للصابرين المحتسبين بانفراجة من يسر من عنده تعالى .

الابتلاء – كما سنوضح – هو أهم وحدات القصة حيث هو الذى يميز ويفرق بين أنواع القصص سواء كانت مأسملهاة بأنواعها ، أو مأساة بأنواعها ، أو ملهاة . حيث هنا فى المأسملهاة لا بد للبطل أن ينجح فى الابتلاء .

الابتلاء أو الامتحان أو الاختبار هو المصيبة الكبرى والبلية العظيمة التى تنزل بالبطل وتهدد سعادته وقوته وتفوقه ، وهو يحاول المحافظة عليها بكل ما أوتى من قوة

ولكنه يصارع قوى كبرى أشد منه وأفتك ألا وهو فرض الله وقضاؤه الذى فرضه على جميع الناس ، ولذا لا قبل له مهما فعل أن ينتصر ويحتفظ بقوته وأسباب سعادته على الإطلاق . ولكنه يظهر نبل البطل من وضاعته خيره من شره ، نجاحه من خسرانه ولابد للبطل أن ينجح فى الاختبار ، وما من سبيل للنجاح فيه إلا تحمل الابتلاء بصبر وعزيمة وقبول ورضا وشكر لله ، والابتهال والاعتراف له أنه الأقوى والأجل ومـن بيده كل شيء وأن قوته لا تمثل شيئا يذكر بالنسبة إلى قوته تعالى ، ويعترف بعجـزه أمام القوة العليا التى هى الله .

الابتلاء يكون فى نفسه أو عقيدته أو عزيمته أو ماله أو ولده أو عرضه ، ممـا يعطله عن حاجته ويفعل المستحيل من أجل الوصول إليها، بل تسد أمامه كل الأبواب المفتوحة ، فيصارعهم ويحاول دفع الأذى عن نفسه . ويجد التكالب من كل صوب ، مجبرا أن يواجه الجميع ، مع أنه لا يمتلك شيئا من وسائل الدفاع إلا مقوماته الشخصية التى يمتاز بها وهى كل ما يملك ، وتحدث المفارقة ، أن ما يمتاز به يكون سببا فـى بلائه ؛ لأنهم يطمعون فيما يمتاز به وأداته الوحيدة الفعالة ، ويحاصرونه من كل جهة إما أن يتنازل ويقدم لهم ما يمتاز به ، وإما أن يجبروه ليسلك طريقا يبعده كل البعد عن حاجته وهدفه ، فيضطر لاختيار الصعب فليس أمامه غيره يبقى له من شيء يمتلكـه ليعينه على مواصلة طريقه للحصول على حاجته وتحقيق هدفه النبيل ، ويسـير فـى طريق وحيد يبعده كل البعد عن حاجته نظرا لتمسكه بما يمتاز به رغم التهديد والوعيد فيحاول أن يجتهد بعلمه وخبرته وإخلاصه يفعلها عساها تساعده فى الوصـول إلـى حاجته ، وتفتح له طريقا ينفذ منه ويخرج من ورطته ، ويلتمس طريقه الصحيح الذى رسمه نحو غايته .

الابتلاء هو الفرض من الله الذي لا يغالبه غالب هو التهديد القـوى الواقـع لا محالة – يهدد سبب سعادة البطل ، أو سبب قوته ، أو سبب ميزته ، أو ما هو نـاجح فيه ، ليفقده هذا السلاح أو هذه الميزة أو تلك الخاصية ، أو سبب السعادة هذا ، ممـا

يسبب تغير خط مساره ، ويجلب الحزن الشديد والذي ليس له علاج غير الصبر ٠
والابتلاء هو مصيبة كبرى وبلية عظيمة ، وأزمة جبارة ، ومانع قوى ، تحيق بالبطل تعطله عن حاجته وتصرف همته وقوته إلى شيء لم يكن فى حسبانه ، ولذلك يتوقف هدفه إلى حين التغلب على المستجد الذى يمنعه بل يهزمه ويصرعه ، ويحاول أن يجمع ما تبقى له من قوة وعزيمة ويسخرها لتكون مطية للصبر على ما هو فيه من بلاء عظيم وحزن عميق ، أصابه فى مقتل من التسريح من عمله لو كان عمله مصدر سعادته ومكانته ، أصابه فى ولده بفقدانه بالموت لو كان الولد مصدر سعادته وتفاخره وكل رأس ماله ومبتغاه من الدنيا ، أو إصابة بالغة فى ماله بذهابه وخسرانه دفعة واحدة لو كان هذا المال مصدر سعادته وقوته ومكانته ونفوذه ٠

الابتلاء هو تعجيز كامل للبطل ، حتى يستذل ويتضرع ويعترف بعجزه وتواضع قوته أمام القوة العليا التى هى الله الذى لا يغلب أبدا ٠حتى يمر من هذا الابتلاء الذى يحزنه ويجهده ويرهقه ، ويفقده أسباب قوته وسعادته ، ويحيلهم إلى عكسهم تماما ، ويجاهد فيه تمام المجاهدة ، وهو متمسك بحاجته وهدفه ولا تكون المجاهدة من سبيل لها إلا الصبر فهو الأداة الوحيدة التى يمتلكها البطل فى الخروج من الابتلاء منتصرا، مع أن الابتلاء يجبره على تغيير خط مساره إلى عكسه تماما ، وتتمثل البلية التى هى من الله ولكن وقعها وتحقيقها يكون من خلال مصارعيه الذين يتمكنون منه ، وينزلون به النوازل ، ويفقدونه سبب قوته وسعادته وما يمتاز به عنهم ، المصارعون للبطل هم الذين يقيضهم الله ويحملهم إنزال الاختبار عليه لأنهم يصارعونه ويحاولون القضاء فيما يمتاز به ، من أجل الاستحواذ عليه ٠

الابتلاء هو الوحدة التى يجب أن تستغلها جيدا والتىتحزن البطل ، وتحزننا نحن حتى تستلب تعاطفنا وخوفنا وحزننا على إنسان مثلنا نزلت به نازلة ، الحزن هو أكثر ما يستنهض الأحاسيس ويؤثر فيها أثرا عظيما يجعلها فى حالة فوران دائم ، وتستشيط بركان المشاعر التى تصل إلى أعلى درجاتها من التفاعل المرهق الذى ينشد الراحة

ومتشوق لها متى تحل ولكن من يمكنه من ذلك ، ويفور طوفان العواطف ، مما يجعل الروح فى حالة تلاحم حقيقية مع ما تشاهده لإنسان بطل يتحمل كل هذا الحزن لما نزل به يهد أعتي الجبال ، وهذا التوحد وتلك المشاركة الوجدانية الحقة لا يجد المشاهد حيالها شيئا مجديا لبطله الذى يحبه ويريد أن يساعده بأي طريقة فيلجأ إلى الله مثله ، ويتضرع ويتذلل لله من أجله .

الابتلاء هو نقطة تحول جبارة فى خط الأحداث ، وهو عادة حادثة أو حادث يقع للبطل و يؤثر فيه تأثيرا عظيما ، و يجبره على تغيير مسار خط سيره السليم الذي يسير فيه باتجاه حاجته ، أو على الأقل يعطله عن حاجته ، ويصرفه إلى حاجة أخرى لم يكن يقصدها . فإن الابتلاء يقع ليبعده كل البعد عن طريقه وينسجه باتجاه آخر عكس ما يريد ويعتقده ، ويعتبر أزمة كبرى لا يستهان بها ، يجاهد من أجلها البطل من أجل التغلب عليها جل المجاهدة.

الابتلاء يعتمد على المفارقة الكبرى ، بمعنى أن سبب سعادة البطل وسبب قوته ونجاحه ، هى نفسها سبب شقائه وتعاسته وفشله ، ومع ذلك يحاول البطل استعادة أسباب قوته أو استنهاضها من جديد حتى ينجح فى ذلك ويفعلها ليعاود الاعتماد عليها ولا يفقد ثقته بها ، بل تكون النواة لزاده من جديد وسبب نجاحه الأول ومصدر قوته فيعمل على استعادتها ، وأن انكسارها أو خسرانها لم يفقده بقوة بشرية مجابهة له بل فقدها وهو مجبر عليها لأن القوة التى أفقدته قوته هى قوة عاتية كبرى لا قبل لأي إنسان سواء بطلا أو غير ذلك على ردها أو التفوق فيها أبدا ، وقوة الانتصار والتغلب عليها هى مدى تحملها دون اللجوء إلى الرذيلة أو معصية الله بالخروج عن طاعته ومحاولة الهروب إلى قوة أخرى وهو قوة الشيطان الذى يمد يده للبطل فى اللحظة المناسبة لحظة الانهزام لحظة الخسارة ..لحظة الحزن ، وإن استعان البطل بهذه القوة الواهية يكون الخسران الكامل ، لأنه يعرف أنها قوة ولكنها مضللة ستجلب له العقاب من القوة العليا التى يعرف أنه لا يستطيع ردها أو مقاومتها . ولكنه يعرف أنه عند

تحملها تكافئه القوة العليا بأسباب قوة وأسباب نجاح أخرى ، أو تعيد إليه أسباب قوتـــه التى فقدها ، وهنا مكمن الامتحان الصعب هل يصبر ولا يثير غضب القوة العليا أم لا يصبر ويثيرها ويقدم لها المبرر لعقابه وخسرانه الخسران العظيم الذى لن ينجح فيــه أبدا وعليه فلن يحصل على حاجته ، ولن يتمكن بأى حال من الأحوال من تحقيق هدفه ، من المؤكد أن البطل النبيل والذى هدفه عظيم يختار طاعة القوة العليا والصبر على أمره وإرادته حتى يفوز برضاه وأدوات سعادته التى ستعود إليه وتمكنه من مواصـــلة الطريق نحو الحصول على حاجته وتحقيق هدفه.

بداية الابتلاء يكون بمشهد يبنى على المستحيل الذى سيكون ممكنا ، بمعنى أن البطل يسير فى طريقه نحو حاجته وهو يتمتع بأسباب قوته وسعادته ، سواء كان مصدر القوة والسعادة هو المال ، أو الولد ، أو العلم ، أو الصحة والعافيــة ، أو المســاعدة مــن الآخرين ، أو النجاح والتفوق فى عمله ، والتي بها لا يظن على الإطلاق أن يخسرها فإذا به يخسرها من خلال شخوص مجابهين له يكونون سببا لخسرانه ، وبعضها مــن الممكن أن يأتيه بسبب لم يكن يتوقعه أبدا ، هنا الفعل الواقع بأمر مــن الله ولا يكــون المجابهون أو غيرهم من أدوات إلا مجرد أسباب ظاهرية شكلية لا تقدم ولا تؤخر من أمر الخسارة المقدم عليها شيئا ، إلا أن تقدم له بعض الأسباب العقلية المحسوسة التى يستطيع ملامستها هو والآخرون أتباعه ويحاول تفاديها أو التغلب عليها ، وهو يظــن ذلك ولا يستسلم ولا يلقى باللوم عليها أو معرفة موطن الداء الظاهرى ، وتكون مدعاة له ليراجع نفسه ويعيد حساباته ، كما تكون مفتاحا ليعرف أن سبب الخسارة به جــزء منه هو حدث بتقصير ما ، وهذا من شأنه التخفيف من آثاره النفسية عليه.

عقدة الابــتلاء تفشل جهوده فى مواجهة خسارته ، مهما يعد ويجهز لها ، ومهما يبذل فيها من جهد غير عادى ، ولا يترك شاردة أو واردة إلا ويضع لها حسابا دقيقا ، ومع ذلك تقع المصيبة التى تفقده سبب سعادته وسبب قوته ، والمثال على ذلك فــى المــال مثلا أن يخسره فى البورصة بين ليلة وضحاها ، أو فى الولد بأن يفقد ولده التحكم فى

عجلة القيادة ويلقى حتفه ، أو ينتج له إعاقة شبه كاملة تفقده القـدرة علـى الحركـة الطبيعية ، أو فى صحته بأن ينهار له عمل يقوم بإنشائه والإشراف عليه فتحدث لـه صدمة تفقده القدرة على الحركة حينا من الدهر ، أو غير ذلك لمن يشاء •

حل الابتلاء أن يصبر على ما أصابه ويتحمله باقتناع ورضى ؛ لأن ذلـك أمـر الله وقضاؤه وقدره الذى لا راد له ولا غالب ، ولكنه يعمل ويجتهد ويستعمل كل أدواتـه وذكاءه وفطنته وعلمه وحيلته فى كيفية الخروج مما هو فيه ، ويتأتى ذلك من محاولته خلق أسباب قوة أخرى ، ويفضل أن يعاود تفعيل أسباب قوته التى فقدها ، وذلك بدحر اليأس والقنوط والتقرب إلى الله ليعينه أو يستبدله بأدوات قوى أخرى ، حتى يجد فـى نفسه العزم والمقدرة على القيام مرة أخرى بصنع أسباب قوى أخرى أو تفعيل ما هو موجود وانهزم به ليكون سبب حافزه ومواصلة سيره والتغلب على كبوته ، وفى نفس الوقت يجاهد هوى نفسه التى تحضه على الذهاب للاستعانة بقوى الشيطان الذى يمد له يد العون والمساعدة فى اللحظة المناسبة ، ولكنه يفطن لذلك ولا يطيع هـوى نفسـه ويحاربها ، مستعينا بقواه الذاتية الداخلية العامرة بطاعة الله والمتجنبة نواهيه لتكون له العون والزاد فى مواصلة طريقه نحو حاجته وتحقيق هدفه ، واثق فيها غير متخـاذل ولا يائس ، رغم ما يعانيه من حزن عميق وخسارة كبيرة •

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف]

الوحدة الثالثة: الزلة

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء]

الزلة هى الفعل الذى يقدم على فعله البطل بغير تفكير سليم ، ولا بحساب متعقل دقيق ، ولا برؤية ثاقبة تعتمد على الحضور التام والفطنة الحاضرة ، فيخطئ وتكون وبالا عليه ، وهو الذى يثق فى صلاحها وحسنها وصوابها ، بعد أن تحمل مرارة الصبر وآثار الابتلاء الذى يشق على الأنفس تحمله ، لأنه يقاوم آثار بلية كبرى نزلت به لا يستطيع دفعها لأنه لو فعل ذلك فهو يواجه ويصارع قوى أكبر منه ، وهو الله الذى لا يستطيع المصارعة معه غير الامتثال لأمره وتحمل ما يفرضه عليه بإيمان وعزيمة وصبر واقتدار ، ولكن من شدة الابتلاء تفتر العزيمة ويقل الصبر ويصعب ، فيشعر بالإجهاد والتعب والعناء ويغيم الطريق أمامه ، ولا يحسن التفكير السليم فيقدم على اتخاذ خطوة ما ظنا منه أنها سترفع عن كاهله العناء وستفتح له الباب وسيتمكن من العودة إلى الطريق الذى رسمه لنفسه ويعرفه ، حتى يحصل على حاجته ويحقق هدفه الذى من أجله يبذل ويتحمل ، وبعد أن يقطع هذه الخطوة التى يظن فيها الصلاح والصواب يكتشف أنه أخطأ الخطوة التى خطاها ، أو أخطا التفكير ، وما أقدم عليه من فعل كان يظنه صوابا صار خطأ يفرض عليه العقاب ، ويتم فرض العقاب عليه ، والعقاب شديد يجعله يتحمل آلاما ومعاناة كبرى ، وهو يحاول إقناع الآخرين الذين أوجبوا عليه العقاب أنه لم يكن يقصد ، بل كان ينوى الخير كله ، ولكنه يرفل فى المعاناة والآلام محاولا رفع الأذى عن نفسه ، فلا يجد من باب غير أن يتوب إلى الله عن ذنب لم يكن يقصده ، ويتوسل إلى الله أن يفرج عنه كربه وآلامه وما هو فيه ، وتلك الآلام التى يرفل فيها هى الباعثة والمحركة للشفقة عليه فى قلوبنا ونفوسنا ، والخالقة للتعاطف معه لأنه لا يستحق هذه المعاناة وهذه الآلام لأنه أخطأ ولم يكن

ينوى الخطأ ، بل حدثت رغما عنه نظرا لما يمر به من فقدان أسباب قوته التي يسلبها منه الابتلاء ، وهو يحاول أن يستعيدها دون أن يضل الطريق أو يخالف أوامر القوى العليا الله الذى تعهد له أنه من يتحمل الامتحان بصبر وعزيمة وإيمان فهو حتما سيعوضه بأسباب سعادة أخرى ، وربما تكون نفس الأسباب السابقة حيث هو القادر على كل شيء بالقسط والحق والعدل .

مسميات الزلة:

١- الغلطة بغير قصد ، وهى الصنيع غير الحسن ، ولكن بلا سوء نية.
٢- الجرم أو الذنب وهو أصغر من الجريمة وما دون الرذيلة ، شرط غير المقصودة.
٣- السقطة أى التعثر . شرط عدم تمام المعرفة وسوء التقدير.
٤- الخطأ شرط عدم سوء النية.

مسببات الزلة :

١- الاستعجال أو العجلة لصنيع حسن فلا يكمل على الحسن بل إلى عكس ما انتوى تماما لصنيعه غير المكتمل.
٢- الجهل بالشيء ، وعدم تمام المعرفة ، وقلة الخبرة .
٣- الاضطراب والقلق على أن يخالف أوامر الله ويفشل فى تحمل الابتلاء بإيمان ومن لم يتحمله بإيمان وصبر وشكر فلن ينال اليسر . وشدة الوطأة من جراء تحمل مرارة الصبر.
٤- النقصان الذى يعترى كل البشر، لأنهم لن يصلوا إلى الكمال التام ، ويعتبر قدرا من الله على جميع خلقه ، فإن الكمال لله وحده .
٥- العجز من عدم الوصول إلى الشيء وابتغائه كاملا نظرا لأنه فقد أدوات نجاحه وقوته .
٦- ضيق النفس بسبب مواجهة المشكلات والأحزان الناتجة من شدة الابتلاء.
٧- الفلتة وتأتى من غير الروية فى الشيء والسرعة فيه

نتائج الزلة :

١- المعاناة والآلام الشديدة التى تحيط بالبطل .

٢- خلق الشفقة والرأفة والعطف على البطل لأنه لا يستحق ذلك لكونه لم يكن يقصد .

٣- تعطيل البطل عن الحصول على حاجته ، وتأخيره عن تحقيق هدفه .

٤- التأكيد على إنسانية البطل ، والنفي عنه أنه ملاك ، لأن الملائكة لا يخطئون ويفعلون ما يؤمرون وهم ليسوا مخيرين مثل البشر ، بل هم مسيرون لا يتمتعون بالتفضيل والاختيار .

عظم الزلة غير المقصودة ولا المتعمدة ولا المسترسل فيها أن البطل لم يكن ينتويها على الإطلاق ، ولكن لسوء تقديره من الغيام الذى يشعر به على عينيه ، ومن الإرهاق الذى هو فيه هم الذين يزينون له فكرة ما ، تجعله ينفذها ظنا منه أنها ستخرجه مما هو فيه ، وعندما يكتشف خطأه سرعان ما يدفعه ضميره اليقظ إلى التوبة إلى الله آملا أن يتقبلها منه حتى يرفع عن كاهله المعاناة التى يرفل فيها .

رغم ما يتحمله البطل من ذنب لم يكن يقصده ويتوب إلى الله فيه ، ومع كل ما يتحمله من عناء وآلام لأنه بات لا يعمل بحريته بل هو مهدد من قبل جهة ما أن تقوم بتنفيذ العقاب فيه لما ارتكبه من جرم ، ومع ذلك يظل متمسكا بهدفه وحاجته ويعمل المستحيل من أجليهما ، ويتفوق على مصارعيه رغم ما به من آلام ومعاناة ، وهنا نشعر أنه بدأ يستعيد أسباب قوته ، أو أنه بحث فى نفسه عن أسباب قوة أخرى حتى تعينه على مواصلة طريقه نحو مسعاه ، وفعلا يعثر على أدوات قوة كانت كامنة بداخله ، واستنهضتها الحاجة والآلام لتكشف عن نفسها وتفور بقوتها فتعطى دفعا قويا للبطل الذى يعانى فيستطيع تحمل المعاناة ، وهو يجاهد ويصارع ويحاول الانتصار على مصارعيه الذين يقفون له بالمرصاد ويحاولون أن يغلقوا أمامه كل الأبواب .

الزلة هى ما تفصل بين الملائكة والبشر ، ولولاها للقبنا البطل بالملاك ، وهو مالا يجوز على الإطلاق ، لأن الملائكة لا تعيش مع الناس ، و تختلف عنهم ، لأنه ليس لديهم حرية الاختيار والتفضيل مثل البشر ، وأنهم لا يخطئون ، وهم مأمورون مسيرون لا مخيرون من الله رب العالمين الذى خلقهم وأعدهم على ذلك ، عكس البشر الذين فضلهم بعقل المخ الذى به يختارون ويمتلكون حرية الاختيار والفعل ، وجعلهم مخيرين فيما يريدونه ، وعرف لهم من خلال الأنبياء والمرسلين طريق الخير وطريق الشر ، وأوجب عليهم العقاب لمن يخطئ خطأ مقصودا ومتعمدا ، إنما وإذا لم يكن الخطأ مقصودا ولا متعمدا فسيغفره لهم . بالغلطة الواجبة المفروضة من الله على الناس الذين لم ولن يبلغوا الكمال التام ، سيغفر لهم هذه الزلة ، والتي بها يكونون بشرا لا ملائكة حتى رسله المفضلين والمختارين من قبله جل شأنه وعلا قدره وهم فى رعايته ومعيته ، لم يسلموا من الزلة أبدا .

والدليل قوله تعالى﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف] وفى حديث يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم : كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"

من الزلة غير المقصودة للرسل نستخلص :

١- زلة مباشرة من البطل نفسه.

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾

[عبس] أى الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – عندما أعرض عن الأعمى ونال

اللوم ، واللوم له يعتبر عقابا وألما كبيرا لأنه جاءه من الله ، ممن يحبه وفضله على جميع البشر والأنبياء ، ولو كان الرسول مثلنا لقلنا إنه لا يستحق المعاناة ، فهو لم يأت برذيلة ولا كبيرة لا سمح الله ولا معصية إنه المعصوم وما فعله عليه الصلاة والسلام أنه شغل عن الأعمى بدعوة السادة من قريش الذين لهم المكانة والسطوة والحظوة والجبروت ، ليدخلهم فى الإسلام ليشد عضده بهم ، لأنهم سادة ولو آمنوا فهناك كثيرون من أتباعهم من العبيد والخدم وغيرهم سيؤمنون ؛ ولكن إمعانا فى تأدبه لامه الله الذى يعلمه ليكون على خلق عظيم ، وأن ليس بالسادة فقط ينتشر الإسلام وتعلو رايته ، وكما عرفنا فيما بعد وعرف النبى أنه فعلا ليس بالسادة ينتشر الإسلام ويقوى بل اعتمد وقوى وانتشر على يد العبيد الأوائل الذين آمنوا به.

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ [يوسف] يجاهد من أجل البراءة يوسف فى السجن ويستعين بواحد مثله ولكنه من خاصة الملك ، ولما يتمتع به من علم ، يدرك أن خادم الملك بوسعه أن يساعده فى الخروج من السجن وكشف براءته ، وأنه دخل السجن ظلما وعدوانا وجورا ولا يستعين بالله ، ومبلغ خطئه شدة وطأة السجن والحرمان من الحرية ، مما جعلته يتسرع ولا يحسب حساباته جيدا ويقدم يطلب المساعدة من دون الله ، فتكلفة تلك الغلطة غير المقصودة حوالى عشر سنين فى السجن.

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ

مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ [القصص] كان سيدنا موسى يتمتع بصحة جيدة وجسد قوى البنية ، وعندما استعان به واحد من الإسرائيليين شيعته على واحد من الفرعونيين – هب يدافع وينتصر لشيعته وضم يده ووكز الفرعوني فقتله ، ومبعث الغلطة عند سيدنا موسى هو التسرع وعدم الروية والحكمة ، ثم الخطأ فى عدم تقدير قوته الجسدية حق قدرها ، ثم عدم الروية فى التحكيم العادل الذى كان يتوجب عليه القيام به ليفض هذا الاقتتال ولكن موسى انتصر لعرقه وتغلبت لديه نزعته الداخلية من الكراهية للفرعونيين الذين يستذلون شيعته . وهذه الزلة هى التى بسببها تحولت حياته من السعادة إلى الشقاء ، لقد كان سيدنا موسى يعيش فى قصر فرعون مصر العظيمة منذ أن ألقته أمه بوحي من الله فى النيل ، والتقطه جنود فرعون ، وتدخلت زوجته بحبها وحمته من الذبح ، واتخذته ولدا لها ، وقبل فرعون الذى رباه فى قصره وأسبغ عليه عظيم نعمه ، ولم يكن يفرق بينه وبين فرعون سوى خطوة باستطاعته قطعها فى ثوان وكان من اليسير على موسى قتله فى الوقت المناسب ؛ لأن هلاك فرعون على يد موسى هذا كان حاجة موسى والتكليف الذى كلفه الله به . انظر ماذا حدث ، أخطأ موسى وجره هذا الخطأ إلى الهروب من القصر الذى كان يعيش فيه إلى المجهول وإلى الشقاء والعناء والإجهاد والبذل والعمل وعدم الأمان ، وكل ذلك مبعث شفقتنا وعطفنا عليه لأنه لم يكن يقصد الخطأ ، وارتكبه بدون قصد ولا سوء نية ولا عزم ولا عمد ولا تعمد ، ولذلك لا يستحق كل هذه الآلام التى يرفل فيها .

٢ - زلة غير مباشرة من أقرب الشخوص للبطل ، أهله ،أصحابه، أتباعه ، عائلته ، قبيلته ، قومه، ويتحمل فيها البطل القسط الوافر من المعاناة والآلام ٠

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ [التوبة]

من أصحاب الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم حنين ، والمعنى : لقد أنزل الله نَصرْه عليكم في مواقع كثيرة عندما أخذتم بالأسباب وتوكلتم على الله. ويوم غزوة حنين قلتم : لن نُغلبَ اليوم من قلة ، فغرَّتكم الكثرة ، فلم تنفعكم وظهر عليكم العدو فلم تجدوا ملجأ في الأرض الواسعة ففررتم منهزمين ٠

كذلك يوم أحد نخص منهم الرماة الذين خالفوا أوامره وطفقوا ينزلون يجمعون الغنائم ، والمشركون بقيادة خالد بن الوليد محصورون لا يجدون ثغرة ينفذون منها إلى قلب المسلمين ، فاغتنم غلطة الرماة وتركهم الجبل ، فاستدار بالخيل وأحدق بخصومه منحدرا عليهم من حيث لا يحتسبون وأوقع بالمسلمين ، فمنهم من جرح ومنهم من قتل ومنهم من هزم ، وجرح وجه الرسول الكريم وكسرت رباعيته وشج رأسه " وناله صلى الله عليه وسلم ألم شديد هو فى حقيقة الأمر لا يستحقه ، فقد أعد كل شيء بدقة ولكن الرماة هم الذين أخطأوا ونال الجميع الآلام والمعاناة التى لا يستحقونها ؛ فقد كانوا منتصرين ٠

ونستنتج من ذلك أن الزلة سواء مباشرة أو غير مباشرة يجنى بسببها البطل المعاناة والآلام العظيمة التى تدفعه للتوبة والاستغفار حتى يقبلها الله ويسقطها عنه بانفراجة من عنده تعالى٠

الوحدة الرابعة: العقدة

العقدة بمعناها العام عدم قدرة البطل على الفعل بيسر وسهولة ، وهما ينتجان من عمل بُذل فيه مجهود جبار ولكنها تصل إلى طريق مسدود ، ولا تأتى نتائجها المتوقعة المرجوة ، نتيجة مصارعين أقوياء أفسدوا عليه نتيجة عمله ، أو شيء أدخل عليه فعطله ومنعه بل وسدوا أمامه الأبواب ، مما يصعب فعل البطل ولا يعرف كيف يتمه بالشكل الذى يريد ، بل تشل حركته وتقيد قدرته وتحد من حركته ،

العقدة ما تتوسط أفعالا قبلها وأفعالا بعدها وتعقد بينهما برباط قوى كعقد الخيط الرفيع ، وكأن خط الأحداث عبارة عن خيط رفيع له طول معين ، يبدأ من البداية يتم تعقيده عقدة بالابتلاء ، تليه عقدة بالزلة ، حتى الوصول إلى الذروة أى التعقيد القوى الكامل التام ، ثم بعدها سلسلة من فك هذه العقد واحدة بالانفراجة ، تليها ثانية بالتعرف حتى يعود الخيط فى النهاية و قد حلت عقده ، وما يفكك هذه العقد هى الحبكة التى بها تملك وتضع الثغرات متناهية الصغر التى تنثرها على مكان الأزمة أو العقد فى الخيط الدرامى فتحلها على أساس من الاحتمال المقبول المقنع ٠ حيث نشبه الخط الدرامى الذى هو عصب القصة وعمودها الرئيسي بالخيط ؛ لأنه أقرب شيء للتعقيد ، وذلك لحساسيته ورفعه ودقته وصعوبة صنعه ووصله وجمعه وبسطه دون أن يحدث به خلل، وخلله لا ينصرف إلا على التعقيد المحكم محتمل الحل لا القطع ، فلو قطع خيط القصة انفرطت مشاهدها وصارت غير مقنعة مطلقا ٠ وأنت أول ما تصنع ، تصنع التعقيد وتحقق الحبكة للتشويق والإثارة والانتظار والحيرة وربطنا نحن بمجريات الأحداث ، والتفكير وطرح الحلول المتعددة ، والتضرع إلى الله منا نحن ومن البطل الخير نفسه ؛ ليخرج مما يلاقيه من أبواب مغلقة ، وطرق مسدودة ومصارعين أقوياء لهم الغلبة والحظوة بالحبكة يتم الحل٠

وتتكون من :

بداية العقدة : الوصول من مجموع الأحداث والموانع والعوارض إلى التعقيد التام .

وفيها يحتار البطل نفسه فى كيفية الخروج منها وحلها ليواصل طريقه نحو حاجته التى لم تتحقق بعد ، كما أنها تكون محيرة بالنسبة للمشاهد أيضا ، وفيها يتحد المشاهد مع البطل اتحادا كاملا ، ويفكر معه فى كيفية الخروج من هذه العقدة المستحكمة ، ولا يكون من سبيل للمشاهد لمشاركة البطل الذى يحبه ويجله ويخاف عليه ويشفق ويرأف ويتعاطف معه إلا التضرع إلى الله رب العالمين الذى هو القوة العليا حتى تعين وتساعد القوة الضعيفة وهو البطل للخروج من عقدته وتفتح له ثغرة ينفذ منها نحو طريقه الذى منه يستطيع أن يحصل على حاجته.

عقدة العقدة : انغلاق الحلول في وجه البطل تماما ، وتتعطل وتفسد جميع مقوماته المادية والعقلية والجسدية ، والتى يحاول أن يفعلها ويستفاد منها قدر الإمكان ، ولكن المصارعين لا يعطونه فرصة للنفاذ وإبداع طرق للحل ، حتى وصوله إلى العجز التام واعترافه بذلك ، ولا يكون أمامه من باب للحل سوى باب واحد ألا وهو الاستعانة بالقوة العليا التى هى الله فيلجأ إليه . العجز التام واعترافه بذلك ولجوءه إلى الله هو ما يؤصل بطولة البطل ، وتضعه فى مكانه الصحيح بين البشر مثلنا لا فى مصاف الملائكة القادرة على فعل مالا نقدر عليه نحن والبطل واحد منا ، وهى التى لا تخرج البطل من إنسانيته إلى الأسطورة ، والتى إن فعلها لما صدقناه وما اقتنعنا بمردود فعله المستحيل ، والذي يحققه بنفسه وأدواته فيصبح ممكنا ولكنه غير مقنع لنا ، وعدم الإقناع يأتي من أنه لم يستعن بالقوة العليا التى لم تتدخل وتساعده أو تقيض له من يساعده . وعليه فلا يجد البطل من سبيل أمام هذا التعقيد سوى الاستعانة بالله رب العالمين ليساعده فيما هو فيه.

حل العقدة: تظهر بوادر الحل المستحيل من خلال شخوص آخرين هم أيضا فـــى مشكلة ما ، تعتمد فى حلها على ما يمتاز به البطل سواء علمه أو عمله أو خبرتـــه أو قوته أو سمعته أو صدقه أو أمانته أو إخلاصه أو شرفه أو عقيدته ، علـــى شـــرط أن يكون هنالك من يعرف عنه ما يمتاز به حتى يقترحه عليهم عند الحاجة وفى اللحظـــة المناسبة ، أو حين الحاجة إلى طلبه ، فيظل الحل متوقفا ولكنه صار محـــتملا علـــى الأقل بالنسبة لنا نحن المشاهدين ، وهو كفيل بإقناعنا لأننا نحن الذين نعرفه ونقترحـــه ونتمناه أن يحدث ، ولابد له أن يحدث ويستجيب المؤلف لاقتراح المشاهدين وتحقيـــق رجائهم فذلك مدعاة لسعادتنا وفرحنا ، لأننا نشعر من داخلنا أن الله عندما تضرعنا له من أجل البطل استجاب لتضرعنا ولم يردنا خائبين ، مما يعظم داخلنا الإيمان ويحبب إلينا التضرع واللجوء إلى الله الذى نشعر ونتأكد أنه قريب منا يستجيب دعوة الـــداعى إذا دعاه .

عظم العقدة يأتي من إلجاء البطل لله ، إلجاء البطل الذى هـــو مفتـــرض أقـــوى وأحسن وأجل منا وبما يتمتع به من مميزات عنا ، وأدوات قوى أكبر إلا أنه يـــوقن ويؤمن أن هنالك قوى أكبر وأعظم منه بكثير ، ولا يستكبر أن يتضرع ويتذلل لها أن تساعده دون أن يضع للجوئه أنه يقلل منه ويسحب من رصيد البطولة التى يمثلهـــا شيء يذكر ، بل إنه يشعر بالفخر والاعتزاز أنه انتصر على غروره وتكبره وشيطانه الذى تغلب عليه وذهب يستعين بالله مولاه وخالقه – وهذا نبل الصراع الحق – وهو مبعث انتظارنا واكتمالنا إن لم يكن تأكدنا من أن شيئا سيقع يقود إلـــى الحـــل ، وأن تسلط الضوء وتنوه أنه ربما يقع حادث مفاجئ بعيدا عن البطل يكون له دخل به .

وقد جاء فى الحيث : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَـــنْ النَّبِـــيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ

فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ ، قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، قَالَ فَفُرِجَ عَنْهُمْ ، وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ ، فَقَالَتْ لا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إلا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً ، قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثُّلُثَيْنِ ، وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي ، فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ ، فَقَالَ أَتَسْتَهْزِئُ بِي ، قَالَ فَقُلْتُ مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ [صحيح البخارى كتاب البيوع ، رقم ٢٠٦٣]

العقدة تعتمد على التقابل الرائع والربط المتين المعتمد على العدل المتناهي فى العظم من المثانى فى الأسماء ذات الأوضاع المتفاوتة تفاوتا كبيرا ، بين من لا يملك ، وبين من يملك ، لكنهما نبلاء ، وهما لا يعرفان بعضهما البعض ، ولا يوجد رابط بينهما ولكن المفارقة المعتمدة على التقابل أن حل عقد الذي لا يملك عند الذي يملك وهو لا يعرفه ولكنه يعرف حقيقته ، وحل عقدة من يملك عند الذي لا يملك وهو لا يعرفه ولا يعرف حقيقته ، ويظل الأمر كله عند صاحب الأمر الله العادل بين جميع خلقه والمؤلف بينهم ، وجاعل التكامل بينهم ، والذي يسخر منهما ويجعل الحل بيد أداة

التعرف بينهما ، من هو دونهم فى المكانة والمنزلة كـأن يكـون فقيـرا لا يمتلـك أى مقومات شكلية أو وضعية اجتماعية ، ويعلق الحل بيده على أنفه وأصـغر الأسـباب ، وهذا الشخص الفقير يعرف ذلك إلا أنه لسبب غيبي وضعف عقلي يتصف به لا يصـل بنفسه إلى هذا الربط والحل الواجب الذي لا يحتاج إلى ذكاء ، و الذي به يكسب الكثير. ومع ذلك لا يسعفه ذكاؤه . وهم لا يعرفون بذلك حتى يرفل الجميع فى المعاناة والآلام والتعقيد الكامل الذي يلجئهم إلى التضرع إلي الله فيتضرعون .

الوحدة الخامسة: الانفراجة

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح]

الانفراجة هى اليسر من الله ، هى الاستجابة من الله الذى استجاب لتضرع البطل ، وتضرعنا نحن أيضا من أجله والذي طهرنا من السلبية والتخاذل والأنانية والجبروت وزرع بداخلنا الرحمة والرأفة والشفة والتعاون والتكافل ، إنها النعمة الكبرى والمنـة العظيمة من الله الذى هو قريب مجيب من عبده المتضرع الداعى له فلا يرد دعوته ، وهو الذى لا يحتاج إلى وسيط أو دليل أو إذن ، فهو الذى لا يغفل ولا ينـام ، وهـو العليم بكل شيء يحدث قبل أن يحدث وسبق علمه به وكتابته في اللوح المحفوظ.

الانفراجة فى الأغلب الأعم تأتى من الله ، وهنا يأتي دور جودة الصـنع أى الحبكـة عندما ألجأت البطل إلى الله ، ويعد ذلك ذروة ما تصنع ، حدث ذلك فى جميع القصص فى القرآن ، مما يحق للمؤلف عند التعقيد الكامل أن يجعل البطل يستعين بـالله ، ثـم يمحص المؤلف ويأتي بحدث مستحيل يبدو خياليا يقع بعيدا عن البطل ، ويأتي الممكن أن يكون حل هذا الحدث بيد البطل أو على الأقل بمشاركة منه ؛ لأنه القادر على تنفيذه وجعله ممكنا هو واجد الوجود القادر على كل شيء وبيده كل شيء وأمره بين الكاف والنون ، ولذا يكون سببا فى حل العقدة ، وليس لمقيّم أو ناقد أو رقيب حق فى رفضه المؤلف أن ما أوجده خيالا ؛ لأنه إن بدا كذلك فى أوله وهو فعلا لابد أن يكون كذلك ،

ولكن عندما نكتشف نحن أن محققه وفاعله ومقدره هو الله أصبح حقيقة وواقعا لا خيالا ٠ ويثاب المؤلف على ذلك ؛ لأنه يعظم ويؤمن بشعيرة من شعائر الله ، مما تعمق لدينا نحن الإيمان بالله وتعظيمه وتنزيهه وإكباره وشكره وحمده ، والاعتراف بوحدانيته وقدرته والتضرع إليه وطلب العون والمساعدة منه لا سواه ، وجميعهم نوع من العبادة التى تطهر نفوسنا من الآثام ، وتفرحنا لأننا سنثاب على ذكر الله وشكره ، فعندما تدفعنا لنقول سبحان الله من هول ما يلاقيه البطل من ظلم لم يقصد منه سوى الخير، وعندما ينجح ويتخلص من ظلم أو مصيبة نقول : الحمد لله ، قد أدينا حديثا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : **كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ** " [صحيح البخارى ، كتاب الدعوات ، باب التسبيح ، رقم ٥٩٢٧] وكذلك إن ألمت بنا مصيبة لا قدر الله أن نتضرع إلى الله ، فأنت تساعدنا على الإيمان بالله ٠

أم سيدنا موسى التى قابلتها أكبر عقدة حيث تلد ولدها فى سنة قتل الغلمان بأمر من فرعون ويوحى الله لها لتخرج من هذه العقدة بأن تضع ولدها فى تابوت وتلقيه فى النيل ، تبعد عنه موتا محتملا لتلقى به إلى موت محقق ، فهل غرق موسى فى النيل ؟ أو هل قتل أو ذبح كما كان يذبح جنود فرعون من مثله من الغلمان أجب أنت؟ كذا سيد الخلق وحبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم عند أشد بلاء وأعقد عقدة استعان بالله وجاءه الحل من عند الله وكشف له الذين جاءوه بالإفك ، فهل نعيب على المؤلف أن يجعل بطله يتضرع وتحل عقدته وإن بدا حلها خيالا ولكنه منسوب إلى الخالق الأعظم فهل تظل خيالا؟! لا أعتقد ذلك على الإطلاق ، وإلا أين الإيمان بالله ؟!! لا عليك أيها المؤلف بمن لا يؤمن ، فليس عليك هداهم ولا الاستماع لاعتراضهم ولا الأخذ به وحسبانه رأيا ٠

بداية الانفراجة: حدث يقع بعيدا عن البطل ولكنْ له دخلٌ فيه ، حل هـذا الفعـل يتوقف على مشاركة البطل ، ولكن يظل معلقا إلى أن يتم التفكير فى الاستعانة بالبطل ليشاركهم حل ما هم فيه ويرسلون إليه يستعينون به٠

ذروة الانفراجة : اهتداء من يحتاجون إلى البطل ، عن طريق أضعفهم وأقلهم مكانـة وقيمة ، فهو الذى يدلهم على من يخرجهم من عقدتهم وعقدته وعقدة البطل نفسه دون أن يعرف أنه يساهم فى إخراج البطل من عقدته ، إنه الشخص الذى يقيضه الله تبارك وتعالى ليساعد الجميع ويساعد نفسه بالطبع دون أن يمتلـك أى أدوات تـذكر سـوى معرفته بالبطل ، الذى سبق أن أحسن إليه وساعده فى مشكلة كانت تهمه ، فيذهب إلى البطل يعرض عليه المساعدة ، ولا يتأخر البطل الذى يجد فى نفسه أداة يمتـاز بهـا ولكنها عطلت بسبب التعقيد ، فيفعلها ويستغلها بالذهاب لمساعدة من يحتاج إليـه دون أن يطلب لنفسه المساعدة ، مما يكون محل إعجاب واحترام وتقدير من حل مشـكلتهم وساعدهم فى الخروج من أزمتهم ، فيفكرون فى أمره وكيفية رد جميل صنعه

حـل الانفراجة : يرد من ساعدهم البطل يردون له جميل صنعه بأن يقفوا إلى جواره عندما يعرفون أنه يمر بأزمة خانقة ، فيساعدونه جل المساعدة حتـى يحصـل علـى حاجته ، وبذلك يخرج من عقدته ، بل ويعود إلى خط سيره الصحيح السليم المسـتقيم الذى رسمه لنفسه من البداية ، ومنه يستطيع الحصول على حاجته التى يجاهـد مـن أجلها جل المجاهدة وتمام البذل والتضحية والفداء وتحمـل العنـاء والآلام والصـبر المرير، فتكون مدعاة له لأن تسعده وتسره وتغبطه ، كمـا تسـرنا نحـن وتسـعدنا وتفرحنا٠ وتطمئننا على نصرة الله لنا من أنه يغفر الزلات ويقبل التوبة ويفرج الهموم مما تعمق بداخلنا الإيمان بالله ومخافته وطاعته واللجوء إليه عنـد أى مصـيبة مـن الممكن أن تصيبنا وليس هنالك من ينجو منه أو يضمن السلامة فيه٠

الانفراجة تكون سببا لتغيير مسار خط سير البطل نحو غايته وهدفه ويعتبر عكس الابتلاء فهو استجابة وانفراجة نحو الحل. وتعتمد على المفارقة والاستجابة من الله نظير التضرع من المحتاجين الذين يواجهون التعقيد الصعب لدى البطل الذى لا يملك ومن يظن فيه المساعدة الذى يملك ، ويكون الحل بالانفراجة على يد الضعيف الفقير المحتاج النبيل المتواضع الذي لا يتمتع بالذكاء العادي ، حتى يعينه ذكاؤه المتواضع ويفكر فيما يراه يحدث أمامه ، وأنه بإمكانه الاستفادة منه أقلها فى صورة رفع المعاناة عن نفسه قبل غيره ، فيعرفهما ببعضهما البعض ، ويحل من لا يملك عقدة من يملك ، ومن يملك يحل بالضرورة والحتمية عقدة من لا يملك ، ومنهما يستفاد ويعز الفقير الأضعف.

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [يوسف]

الوحدة السادسة: التعرف

التعرف هى النقطة التى يصل إليها البطل بعد أن يكون قد حصل على حاجته ، ولم يتبق له إلا أن يحقق هدفه الذى لم يتحقق بعد ، ويعمل ويجتهد من أجله ، بعد أن

استعاد السير فى طريقه الصحيح الذى رسمه لنفسه ، ولكنه يسير وهو يفتقد شيئا ما أو أداة ما من أدواته يثق أنها هى التى ستيسر عليه تحقيق هدفه ولكنه يجهلها ولا يعرفها بينما هو متأكد من أنه لو عثر عليها فهى التى توصله ، فيجاهد ويستعمل كل وسائله من علم وتعليم وخبرة وحنكة ودهاء ومكر حتى يتصادم مع شخص يصارعه وهو يجهله لا يعرف حقيقته كاملة ، ولكنه يعتقد أن الذى يقف له يعطله عن بلوغ هدفه ، فيقدم على قتله أو التخلص منه بكل ما أوتى من قوة حتى يكاد يوقع به ، ولكن فى اللحظة المناسبة يتدخل شخص يعرفهما ، فيكشف لهما حقيقة بعضهما البعض وأن ثمة علاقة وثيقة أو صلة دم تربطهما ، ولكن لسبب من الأسباب فرقت بينهم الأقدار ، وظن كل واحد منهما أن الآخر يقف عقبة فى تحقيق هدفه ، مع أن هدفهما فى الحقيقة واحد ، أو يكملان أهداف بعضهما البعض ، أو تحقيق الهدف لأحدها يكون سببا لتحقيق هدف الآخر ، فى تقابل بديع وتساوى وتطابق غريب ينم عن العدل والمساواة والتكامل ، والمكاشفة هذه التى تؤدى إلى التعرف من شأنها أن تحول مشاعرهما من بعد الكراهية إلى الحب ، ومن بعد العداء إلى الصداقة ، ومن بعد الشر إلى الخير ، ومن بعد المجابهة إلى الاتحاد ، ومن بعد الاختلاف إلى الاتفاق ، ومن بعد الانتقام إلى التسامح ، ومن بعد الخوف إلى الفرح ٠ ويكون ذلك مدعاة لترابطهما ووقوفهما إلى جوار بعضهما البعض ضد القوة الحقيقية التى تصارعهما ، وأوقعت وأوعزت العداوة بينهما ، وهى تعرف حقيقة العلاقة بينهما ٠

التعرف هو المشهد المرعب المحزن المخيف ، الذى يقدم فيه البطل على خطوة يصارع فيها مجابهيه بكل قوة وبسالة ، حتى تصل به الحال للإقدام على قتل مصارعه لأنه يظن أنه هو الذى يعطله ويقف حجر عثرة فى طريق تحقيق هدفه ، ولذلك يريد التخلص منه والإجهاز عليه ، حتى يصل إلى اللحظة التى يكاد يقتله أو يوقع به ، ثم يتدخل شخص آخر أو أداة أخرى من أدوات التعرف التى سنذكرها ونوضحها فى

موضعها بإذن الله ، ويكشف سر وحقيقة العلاقة بينهما ، والتي تكشف حقيقتهما لبعضهما البعض ، مما يحدث الانقلاب في ميزان الصراع ، ويجد البطل أن من كان يريد الوقيعة به والتخلص منه ما هو إلا عون له ، فيحدث التحول من الكراهية إلى الحب ، ومن الجهل إلى المعرفة ، ومن الصراع إلى المؤازرة القوية التي تساعد البطل في الحصول على حاجته، ومن ثم يحقق هدفه الذي يعينه فيه الذي أراد الوقيعة به .

التعرف الذي به تتم المكاشفة وجلاء الحقيقة التي تفرح وتسر من بعد الفزع والخوف والرعب ، هي من شأنها الجالبة للفرح والسعادة للبطل ، ولنا نحن المشاهدين، مما تحقق لنا التطهير من المخاوف التي كانت مسيطرة علينا جراء ما يقدم عليه البطل من خطوة يكاد يقتل أو يوقع بمن نعرفه نحن ونعرف حقيقته بالنسبة للبطل من أنه من أقربائه أو مناصريه أو مساعديه ، ولكن البطل نفسه لا يعرف ذلك ، ومن يصارعه هو أيضا يجهل ذلك غير أنه يعرف أن ما يريده ويحتاجه البطل هو العقبة فيه ، ولكن شخصا آخر يعرف سر الحقيقة بينهما ، أو من يصارعه يعرف ولكنه لا يفصح عن ذلك لسبب عنده من خوف يكبله ، أو ضعف بسبب نبيل يقدم فيه منفعة البطل على منفعته ، أو ظنا منه أنه يكشف نفسه قبل الوقت المناسب يضر بالبطل ولا ينفعه ، ويمكن الآخرين من القضاء عليه ، وبذلك يفقد البطل أهم مقوماته يعاونه وهو لا يعرف الذي سيسهل له طريقه أو ييسر له عمله ، أو يبسط له العقبة التي تواجهه ، أو يكشف له حقيقة ما تمكنه من تحقيق هدفه . لكننا نحن نعرف أواصر وحقيقة العلاقة بينهما ، وعندما يتوقف البطل في اللحظة المناسبة بعد استبيان وتوضيح وكشف حقيقة العلاقة بينه وبين من يريد الوقيعة به نفرح ونسعد ونسر . وهذا فرض على المؤلف ألا يجعل الفعل بين البطل ومصارعه الذي لا يعرفه يتم أبدا ، وإلا أحزننا وأغضبنا ، وهو مالا يجوز للمؤلف أن يقع فيه أبدا لأنه ليس من حقه علينا أن يغمنا

ويحزننا ويقتل الأمل فينا ، وكلها عوامل تصيب بالأمراض لا علاج لهـا كمـا هـو مفروض أن يحدث لنا ، يجب أن تكون سببا فى علاجنا .

إنه عادة يكون من نتائج الفعل المفزع حتى يحوله إلى المفرح ، والذى يقع بين الفاعل البطل وشخصية أخرى ، لا يعرفان بعضهما البعض ولا يعرفان حقيقة بعضهما البعض ، وفى اللحظة المناسبة أى فى وسط التعرف يحدث الانكشاف ويتعرفان علـى بعضهما البعض ، ويتحولان من العداء إلى الحب ، وبالتالي هذا التعرف الذى يقيض له شخصا آخر يسهل على الشخصية الرئيسية طريقها نحو حاجتها وهدفها .

بداية التعرف من ذروة الفعل المفزع الذي يتم ويقع ، ويتضح أن ارتكـاب الفعـل المفزع ليس شرطا فيه القتل ، وأنه لو تم فيكون له علاج فيما بعد ؛ لأنه لابد أن يقود إلى الحب لا إلى الكراهية ، وإلى اليسر لا إلى العسر، وإلا فقد التعرف والفعل المفزع كل قيمته وفائدته وجدواه فى حالة القصة المأسملهاة التى هى محزنة مفرحة .

ذروة التعرف الوصول بالبطل إلى ارتكاب الفعل المفزع بمن لا يعرفه تمام المعرفـة غير أنه شخص يصارعه حتى يصل إلى ذروة الفعل ، فيتدخل شخص فـى اللحظـة المناسبة فيكون سببا فى توقف الفعل فى اللحظة المناسبة ، ويحدث فيه الانكشاف بين الفاعل والمفعول . يحدث فيه التحول والانقلاب بين الفاعل والمفعول بـه مـن قـوة مجابهة شرسة إلى قوة معينة ناعمة ، ومن فزع إلى فرح.

حل التعرف إن البطل والشخصية الأخرى يصبحان قوة فى مواجهة الطرف الآخـر المصارع للبطل الذى لم يحقق هدفه بعد ويعينه على ذلك ، وبذلك يكسب البطل قـوة مساعدة وسببا آخر يضاف إلى قوته التى يستطيع بها أن يحقق هدفه .

التعرف يعتمد على المفارقة والتقابل بين من لا يتقابلان نظرا للعداء المسـتحكم والكراهية الشديدة بينهما ، والمفارقة أن بلوغ هدف النبيل لا يتم إلا بالوضيع ، و هدف

الوضيع لا يتحقق إلا من النبيل ، رغم وجود الرابط القوى بينهما ، وهما لا يعرفان بذلك ؟!! ولكن الحاجة تدفع الوضيع إلى اللجوء إجباريا إلى النبيل وهذا حتمي ، ويحقق للنبيل حاجته دون أن يدرى أو يقصد ، فيتعرف النبيل بأنواع التعرف على الوضيع ويلبى له حاجته ، ويتحولان من الكراهية إلى الحب ، ومن العداء إلى المصالحة ومن الشقاء إلى السعادة ٠

فى يوسف جاء التعرف على أجمل وأحسن أنواع التعرف حيث مكمن الإعجاز فى القرآن من أن الله جعل التعرف هنا غامضا ، أى لم يبسطه تمام البسط لنعرف نحن كيف عرف يوسف إخوته ؟ ليجعلنا نحن المتدبرين والمتأملين والفاحصين والمفكرين نستدل بما يفتحه الله علينا من عنده لنعرف الطرق الحتمية أو المحتملة للتعرف ، أى أنواع وأدوات التعرف التى من الممكن أن يعرف بها يوسف إخوته ، أو أى واحد منا لو كان مكانه ونستنتج أنواع التعرف الآتى : وسبق شرحه على أكمل وجه فى كتابى **[أسس وقواعد الادب والرواية من القرآن الكريم]** .

١- **التعرف بالقلب** أى الإحساس والفطرة السليمة والغريزة المخلوقة من الله فينا التى يشعر بها من تربطهم أواصر الدم وصلة القرابة مثل الأب وأولاده ، أو الأخ وإخوته ، أو الأم وأولادها وغيرها٠ وهذا محتمل إن لم يكن حتميا ، مع أنه من المفروض الا يكون حتميا لأنه من الممكن أن يحدث ، ومن الممكن ألا يحدث ، ومن الوجهة الفنية الدرامية يفضل أن تكون هنالك أداة مساعدة أخرى تساعد فى كشف ذلك وإثباته حتى يكون أكثر إقناعا وقبولا وتأكيدا ٠

٢- **التعرف بالاستذكار** ، إذ إن الصغير ملامحه تتغير وتتبدل ، بينما يظل الأكبر ملامحه إلى حد كبير ثابتة ، فمن اليسير أن يتعرف المتغير على الثابت ٠

٣- **التعرف بالعلامات المميزة** والتعرف محتمل٠

٤- **التعرف بالاستنتاج الصحيح** ويأتي محتملا ٠

٥- التعرف باللغة .

٦-التعرف من خلال شخص آخر .

٧- التعرف بالاستدلال الصحيح .

٧- التعرف بالاستنباط الصحيح

٨- التعرف بالشيء المادي .

٩- التعرف المباشر ، من خلال الرؤية المباشرة والتقابل وجها لوجه ، لأنه لم ينسهم بعد ، لا يزال يذكرهم ، وهو تعرف حتمي ، ولكنه أضعفهم وأقلهم جودة وبناء ، ولا يتماشى مع قوة الحبكة وجودة الترتيب وحسن البناء للقصة .

١٠- التعرف بالاستنتاج أو الاستنباط الخطأ .

التعرف يفهم من اسمه حيث يتم فيه وقوع الحدث المفزع بين المتصارعين ، وينوى أحدهما أن يقتل الآخر أو يوقع به مصيبة ما ، وفى اللحظة المناسبة يكشف أحدهما حقيقته للآخر ، أو يتدخل شخص آخر يكون أداة التعرف بينهما ويكشف حقيقتهما لبعضيهما البعض مما ينتج الحب الكبير من بعد العداء المستحكم، ويصبح التعرف قوة مساعدة للبطل تعينه كثيرا وتساعده للوصول إلى هدفه والتمكين من حاجته .

عظم التعرف يتجلى فائدته للبطل حيث ييسر له طريقه فى التمكين من تحقيق هدفه وهو مأزوم ، ولا يمكن أن يأتي التعرف ليصعب عليه حاجته أو يضعه فى أزمة كبرى هو فيها، وإن حدث ذلك يكن شيئا عظيما أن تحولت الأزمة إلى يسر كبير ونجاح باهر ومساعدة عظيمة تنقلب فيها الحال من الصراع إلى الموازرة ومن الكراهية إلى الحب ومن الخوف إلى الأمن ، ومن الحزن إلى الفرح وهو المطلوب إثباته وتحققه وإلا ما صار الفعل مفزعا مفرحا .. بينما لو ظلت أزمة فليس فيها من

الجمال شيء ولا من الحبكة موضع ، وتذكر القاعدة أن لكل عقدة حلا ولكل فعل رد فعل ولكل سبب نتيجة٠

يوسف وزير الطعام فى مصر يقع حدث وهو حدوث المجاعة وتعم جميع الأقطار والعباد ، ويوسف هو الذي لديه بيوت الطعام وهو الأمر الناهي فيها ، وهنا يقع الشيء الحتمي وهو أن أبويه وإخوته أصابهم الجوع فمن المحتمل أنهم سيأتونه أو يأتي بعضهم ليأخذوا الطعام ، وهنا تكون البشارة له ولنا ٠ ويأتيه إخوته ويتعرف عليهم، ويكشف حقيقة نفسه لهم ٠كما سبق شرحه فى التعرف بهم ، ويكون بعد العداء حب٠

الوحدة السابعة: النهاية

أحققت الشخصية الرئيسية وحصلت على حاجتها وحققت أهدافها أم لا ؟

أتبقى الشخصية الرئيسية البطل على قيد الحياة ؟ أم توافيها المنية ؟ فهل توافيها المنية طبيعية أم بالقتل أم بالمرض ؟ كذلك باقي الشخصيات ٠

هل نال المحسن أجره أم لا ، وهل نال المسيء عقابه أم لا ؟

هل النهاية سعيدة مفرحة ؟(نعم) وهذا حتمي ولا يصح غير ذلك على الإطلاق٠

وتعتمد على التقابل المعتمد على التوافق والرضي من كلا الطرفين ، فيحقق الوضيع هدف النبيل ، ويحقق النبيل هدف الوضيع ، دون خسارة لأحد من الطرفين ، وتتحقق السعادة لكليهما ٠ إذ يجب أن تنتهي نهاية سعيدة ليس غير ، وخاصة البطل ، ولا تنتهي بموت البطل على الإطلاق٠ أو نهايتين كما سبق ذكره على أن تكون السعادة والفرح للبطل ٠

الفصل الرابع

أصول القصة الفعلية المأسملهاة

الشخصيات

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء] الشخصية هي الإنسان ، ذات واعية مدركة لحقيقة نفسها وحقيقة من حولها ، فهي مميزة عن باقي المخلوقات بما فضلها الله من عقل فى المخ مفكر يمتلك حرية نفسه ، وعقل فى القلب حكم غير ملزم لها ولكنه بمثابة الميزان الذى يوزن عليه منتوج عقل مخها . وهى من تقوم بالفعل وتعمله وتتحمل تبعاته بناء على فكرها واختياراتها وتفضيلاتها وحاجتها وأهدافها ، وهو مناط حسابها وتقييمهـا وصلاحها من عدمه. الشخصية من تتمتع بعقل فى القلب وهو بمثابة الضمير الأمين الحامل للفكر الصالح ذى العقيدة السامية والتي تحدد نوعية إرادتها وقراراتها وأفعالها وهذا يخص البطل النبيل ، أما باقي الشخوص فإن الوازع الأخلاقـي أو العقائـدي أو الشيطاني أيما يكون ، فهو المحدد لقراراتها والمنظم لسـلوكها والمحـرك لأفعالهـا والمحدد لاختياراتها ، وبالتالي تتحمل نتيجة أفعالها واختياراتها.

محددات شخصية بطل المأسملهاة

١- من أصحاب النفس المطمئنة العامرة بالإيمان ، تصارعها النفس الوجلة المتردية في الشر الخالية من الإيمان • أو صاحب النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على ترك الطاعات وارتكاب المعاصى ، والتى أقسم بها الله لأنه تعالى يحبها •

٢- اسم علم دال كاشف عن مدلول جنسه ، ذكرا كان أم أنثى • ومن الممكن أن يكون اسم القصة أيضا ويفضل ذلك ، جميع قصص الأنبياء جاءت بأسماء أبطالها ، فجاء الاسم مثانى مفردا اسم علم واسم القصة الذى يكشف عن فحواها وفكرتها الكبرى التى تدور حولها ، وذلك فى قمة البلاغة اللغوية ، وقمة الفلسفة •

محمد يدل على شيء وأبو جهل يدل على شيء آخر ، موسى يدل على شيء ، وفرعون يدل على شيء آخر •

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

[البقرة] قال ابن عباس : هى الأسماء التى يتعارف بها الناس • منهم الإنسان بالطبع ، وغيره•

٣- واضح لا لبس فيه ولا غرابة ولا غموض يجبر على الاحترام والقبول ، لا إلى الاستهزاء والنفور•

عبد المطلب جد الرسول الكريم عندما ولد سماه محمدا ، ولم يكن هذا الاسم يألفه العرب ولذلك سألوه: لم رغبت عن أسماء آبائك؟ فأجابهم : أردت أن يحمده الله في السماء ، وأن يحمده الخلق فى الأرض •

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **أَلا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ"** [صحيح البخارى ، المناقب ، ٣٢٦٩] فمن يستحق فعلا إزكاء عواطف الشكر والثناء على ما أدى وأسدى كما يستحق هذا النبي العربي الأمي الكريم الأمين الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبلغ رسالة ربه تمام التبليغ فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى صحابته الأطهار وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

فاجعل أنت إبداعك وموهبتك التي وهبك الله إياهـــا - أن يكـــون إبـــداعك حســـنا ، وقصتك على الأسس التي نسوقها ونستخلصها لك من أحسن القصص.

صفات بطل المأسملهاة :

١- **أفضل منا** ، بمعنى أفضل من المستوى العام الذى عليه غالبية الناس مثلنا ، حتى إذا زل وهذا أكيد يصبح مثلنا.

٢- **ليس بالأسطورة** ، أى إنسان مثل كل الناس من لحـــم ودم لا يســـتطيع أن يـــأتي الخوارق .

٣- **فاضلا ونبيلا و عظيما** ، لا سفيها ولا متردیا في الرذائل ولا يأتي الفواحش .

٤- **لا إلى ما هو عليه الناس** ، بمعنى أنه ليس كثير الأخطاء ، فليس لـــه إلا خطـــأ واحد.

٥- **لما يجب أن يكون عليه الناس** من الأخلاق والتقوى والطاعة واجتناب المعاصي وطاعة الله. أنه من المفترض قدوة حسنة ومثل أعلى يتعلم ويقتدي به عامة الناس.

٦- **فكر صالح** وهو يمتلك أنت قبل أن يكون فكر البطل. ليكون سببا فـــي الإصــــلاح والصلاح والهداية والبشارة لنا ، وداعيًا ومحرضا إلى توحيـــد الله وعبادتـــه وحـــده بإلهامه إياك هذه الموهبة العظيمة ، فيا سعدك ويا حسن حظك أيها المؤلف عندما تجعل إبداعك وسيلة للدعوة إلى الله ، وسيجعلك الله بإذنه سراجًا منيرًا لمن استنار بما تكتب وتعظ وتعظم الله وتحض على تقديسه وعبادته وحده ، فعملك بإذن الله وأمره سيظهره وينجحه نجاحا عظيما طاغيا على ما عداه ، فاجعل ما تكتب مشبعا بالدين وفروضـــه ولا تخالفه أبدا مهما كان ، واجعل ما تكتب الحق حسب شـــرائع الله كالشـــمس فـــي إشراقها وإضاءتها ، لا يجحدها إلا معاند أو فاسد أو جاحد أو جاهل وهؤلاء جميعا لا يهمونك مهما انتقدوك أو سخروا من عملك فهم في الضلال والجهل. وستدور الأيـــام وإن كانوا من الكتبة سيخسرون ولن يجدوا لهم جمهورا ، وسيرجعون مجبرين مقتنعين

يمتثلون من نهج ما تكتب ، على هدى كتابنا هذا الذي سيكون له الغلبة بإذن الله في العالمين مهما طال الزمن ٠

ولذلك حددنا التعريف قياسا واقتداء بأعظم شخصية في التاريخ والعالم كله إلى أن تقوم الساعة ؛ لأنه خير ولد آدم وخاتم الأنبياء والمرسلين، حبيب الرحمن محمد صلى الله عليه وسلم٠ وخير فعل قام به وأداه بشر ، تحكى قصة إنسان أكرمه الله بالرسالة فلم تخرجه عن إنسانيته وتلحق به الأساطير والخرافات ، وكذلك لشمولها لكل نواحي الحياة الإنسانية ولذلك أسميتها قيمية عالمية ؛ لأن الرسل السابقين جاءوا لأقوام لإصلاح رذيلة معينة ٠ وهو صلى الله عليه وسلم مثل أعلى لما يجب أن يكون عليه الناس في حياتهم وشئونها ، وهو ثقافة ومعرفة عقائدية صحيحة لما يجب أن يكون عليه الناس ؛ فهي منهج حياة للشخوص وسلوك للمجتمع كما ينبغي أن تكون ٠

٧-متسقة مع نفسها وثابتة على خصالها ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة] من أول الفعل إلى آخره لا تتغير فتكون مؤثرة أى تستطيع أن تقول و تفعل ما تستطيع قوله و فعله ، بما يناسب طبيعتها وتكوينها الجسدي والعقلي بإقناع فى كل وقت وحين ، لما سقناه من قبل فى موسى الذي لديه عيب فى لسانه ولذلك لا يصلح أن يكون متكلما لبقا٠

٨- الصلاحية والمواءمة تكون صادقة نبيلة مع نفسها ومع الآخرين ، ما تقوله هو ما تستطيع أن تنفذه فعلا وقولا وتكون مقنعة لأن ذلك ينبع من طبيعتها ٠مثال يوسف بعلمه يعرف تفسير الأحلام وبارع فيها بصدق وقد برهن لنا عن ذلك ، فعندما يطلب الملك من يفسر له حلمه ويأتون بيوسف فنحن ندرك أن يوسف سيفسره على أكمل وجه وسنصدقه٠

على الممثل أن يقوم بدور الشخصية التي تشبهه ، أو هو يشبه الشخصية التي يمثلها ويكونها تماما ، فلا تأتي براقصة لتقوم بدور فاضلة ناصحة عالمة متعلمة لأننا ندرك ونعرف – في الواقع الحقيقي – من تكون الراقصة ، وفي زماننا نعرفهن بالاسم والرسم ، وللأسف نجدهن يقمن بأدوار البطولة لشخصيات نبيلة وجادة وخيرة ، فبالله عليكم كيف نتعظ منهن ؟ وكيف نخاف عليهن؟ وكيف نتعلم منهن؟ وكيف يكن لنا القدوة ؟ مهما كانت الشخصية نفسها التي يمثلنها وصارت هي هي الشخصية المكتوبة نفسها ، صحيح أنها تصير الشخصية لاحترافهن ولكن نظل نحن نعرف أصلها وفصلها ولن ننساه مهما فعلت وأتقنت في أدائها وبرعت فيه ٠لابد من الصلاحية الفنية أي ما هو معروف عن البطل النجم وما هو مشهور به يجب أن يقوم به لا عكسه ٠فمن لهم فضائح أخلاقية وترديهم في الرذيلة لا يصلحون ألبتة للقيام بأدوار بطولة من صفتها النبل والخلق الرفيع ٠

٩- **الثبات والاستمرار** : القوى يستمر من أول الفعل إلى آخره قويا لا يضعف والصابر لا يتسرع ، والأحمق لا يهذب ، كذلك المتعلم لا يجهل ، والأعرج لا يستقيم والضعيف الجسد لا يقوى ، والشجاع لا يجبن وغيرهم ٠

الرسول محمد منذ أول الدعوة إلى آخرها ظل أميا فصيح اللسان بليغ القول٠ وكان على خلق عظيم من أول حياته إلى آخرها – رغم تسيده على الجميع – فكان صبورا حليما لا متسرعا مندفعا ولم يشهد عليه أحد بالتسرع والاندفاع في أي أمر سواء في الرسالة أو ما يخص حياته العائلية حتى في أحلك حالاته وهو حادثة الإفك٠

١٠- **مشابهة لشخوص الواقع** ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران] تشبهنا نحن فلا تأتي بفعل أو قول لا نستطيع نحن أن نقوله أو نفعله ٠ ففي موسى عندما رأى فعل السحر من السحرة من حيات وثعابين خاف كما

نخاف نحن عندما نراها ·والرسول محمد جرح وسال دمه فى المعارك رغم بسالته كحالنا نحن لو كنا مكانه ، وعندما أوذى من سفهاء الطائف وضربوه وأهانوه ولم يكن معه من يساعده وكان مغلوبا على أمره مهزوما فلجأ إلى الله كما نفعل نحن عند الضيق والانهزام أو الخسارة أو الرسوب أو غيره فنلجأ إلى الله ليرفع البلاء·

الرسول محمد معروف عنه أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب فكيف يأتي بكلام معجز- مع أنه فصيح اللسان بليغ القول - لا يستطيع فطاحل اللغة فى زمانه - وزماننا ومن بعدنا - أن يأتوا بمثله فهل هذا يصدق أن قد تغير محمدا إلى هذا الحد من النقيض إلى النقيض ، ونتيجة للثبات والاستمرار من أن الرسول أمي لم يصدق أحد أن القرآن من الممكن أن يكون من كلامه ، بل هو كلام واحد غيره فإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه يعلو ولا يعلى عليه وليس له مثيل ولا شبيه مع أنه من كلام العرب ، ولذلك عندما عرفوا وقال لهم إنه موحى إليه من الله صدقوه ، حتى الذين لم يؤمنوا به صدقوا أنه ليس من كلامه ولكنه كلام الله·

١١- الصلاحية الفنية : الممثل المناسب فى الشخصية المناسبة ، بمعنى أن يكون الممثل نفسه بصفاته وتكوينه الجسدي والشكلي يشبه إلى حد كبير نفس صفات وخصائص الشخصية التي يمثلها من الفعل ويحاول قدر الإمكان أن يكون هو الشخصية وليس هو الفنان الممثل·

الفكر

الفكر هو الضمير المحرك للشخصية ، وهو البوصلة التى توجهه لكيفية التصرف والإقدام ، وهو المتحكم فى تصرفاته وأفعاله وأقواله ، هو أيضا قوام الشخصية ، وهو المسئول عن حسابها وتميزها وسر كينونتها ·

الفكر هو العقيدة السماوية التى تعتنقها الشخصيات ويكون أساس أفعالها وتصـرفاتها ونخص منهم الشخصية الرئيسية للبطل المؤثرة الفاعلة المقنعة الخيرة النبيلة صـاحب العقيدة التامة السليمة الخيرة ، وتكون أساس أفعاله وأقواله وتصرفاته السـليمة مـن الفاسدة ، واختياراته ما بين الحسن والسيئ ، وتفضيلاته مـا بـين الخيـر والشـر ، وتقريره لحقيقة عامة صالحة ، ورأى سديد .

الفكر هو المعتقد الذى استخلصه المؤلف ذاته من خلال تجاربه وقناعاته وعلمه ، وثبت له صلاحه وحسنه وثقته فيه ، ولذلك يريد أن يطرحه على الناس ليعملـوا بـه ويعتنقوه ، وذلك يتحقق من خلال بطل قصته التى يكتبها ويحمل فكره ليكـون فكـر البطل ، ومن خلال المعتقد يتصرف البطل ويختار ويعمل ، شرط أن يـنجح ويفـوز ويفرح لا إلى غير ذلك أبدا ولا كان المعتقد فاسدا لا يصلح لأن يعرض على النـاس ليأخذوا أحسنه ويعملوا به .

يجب أن تختلف أفكار الشخوص وتتفاوت من شخصية إلى أخرى ، ولكن البطل لا بد أن يكون صحيح الفكر الناجم عن إيمانه بعقيدة سماوية ، وإيمانه بمعتقد صـحيح حكم على صدقه وصلاحه مجموعة كبيرة من البشر وفى مجتمعات متفرقة .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ

ءَاتَىٰكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ [المائدة] أصحاب العقائد السماوية : التوراة لليهود ، والإنجيل للمسيحيين ، والقرآن الكريم للمسلمين ؛ لأن الله يقول : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، والشرع والمنهاج الصحيح التوراة والإنجيل والقرآن. هذه هي العقيدة السماوية الحقة التي نقصدها ، فكل بطل حسب عقيدته الدينية التي يؤمن بها تكون مصدر تصرفاته وأعماله وأقواله واختياراته.

ثالثا : الفكرة

الفكرة هي القضية ..هي المشكلة التي تود كشفها وتناولها وعلاجها ، هي المحور ونقطة الارتكاز التي تدور محور القصة عليها ، كما تدور الشخصيات بها أو منها أو بسببها ، هي العلة الفاعلة المحرضة للشخوص .هي الدافعة للمؤلف لكي يكتبها ويصوغها بطريقة جذابة ليعرضها على الناس ليكشف لهم فسادا ما أو انحرافا ما أو خللا ما في المجتمع ، ويريد توضيحه وكشفه وتعريته ليبين فساده من صلاحه وآثاره على الجميع ، ويحاول أن يقومه ليهدى الناس إلى الصلاح والحسن لتتحسن عيشتهم ونهجهم وسلوكهم ، وينصلح بذلك حال بيئتهم ومجتمعهم الذى إن فسد فسدوا ، وإن ضاع ضاعوا.

تتولد الفكرة من الحالة التي فيها الخلل المجتمعي من المفاسد والسلوك . وما شابه ذلك من قضايا ومشكلات تدب في الواقع وتخلق فيه فسادا.

الفكرة هي القضية التي يريد المؤلف مناقشتها وطرح الحلول لها من خلال بطله الذى يحدد له حاجته ويريده أن يحصل عليها ، فيضع العقبات ويتخطاها البطل بإقناع

ومثال ذلك يتجلى فى كيفية صياغة وتحديد القضية من بدايتها إلى الحد الذى تحل فيه فى نهايتها وتحقق المطلوب من إثارتها وتناولها ، يتجلى ذلك فى قصة بنى إسرائيل فقد حدد الله القضية وكيف تنتهي تحقق المطلوب دون ذكر البطل الذى سينفذ ذلك ، لأن القضية تسبق الشخوص الفاعلين لها والقائمين﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ [القصص]

أنواع بعض القضايا المحلية والعالمية :

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [البقرة] الفساد وهو أكبر القضايا التى تواجه العالم المحلى على مستوى الدولة الواحدة وأيضا على مستوى العالم ويتمثل فى تجارة السلاح والغذاء والأدوية والعلوم وغيرها .والتآمر من بعض الدول الكبرى على الصغرى ومحاولة استغلالها ونهب مواردها وخيراتها واستعباد أهلها .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) ﴾ [الإسراء] القتل من الظلم والتوحش والتجبر وإشعال الحروب من تقليب طائفة ضد أخرى تخالفها العقيدة والمعتقد داخل الدولة الواحدة ذات السيادة . .تخالفها اللغة والثقافة والحضارة بين دولة وأخرى . .وهكذا على مستوى

الأفراد بسبب الحقد والحسد والكراهية وحب الذات ، والاستحواذ على ما عند الغير بالقوة أو القتل أو السلب أو القهر ٠

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور] الكذابون والمنافقون والمستغلون الذين يمتلكون وسائل التشهير ، مثل الذين يمتلكون آلة إعلامية يستغلونها فى المساومة من أجل جلب مصالح نفعية خاصة يساومون بها أصحاب الشرف والمكانة والمراكز الحساسة والنفوذ ٠

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل] وهى تتناول العلاقات الشاذة مثل المثليين الذين يقومون بعلاقات شاذة جنسية بين الجنس الواحد سواء رجالا أم نساء ، ومن الفجور أن هنالك قوى صارت تدافع عن مثل هؤلاء بدعوى الحرية وهو مالا يجوز على الإطلاق ، وللأسف فى عالمنا الإسلامى من صار مثلهم يدافع ، ومنهم من هو أجير لقوى أخرى وما يريدون إلا تحليل وانتشار الفاحشة ، ومن أدواتهم الفيلم السينمائي والذى ينفقون عليه الملايين ، وهنالك نقاد صحافيون لهم مساحات كبرى يطلون بها على الجماهير تشيد بمثل هذه الأفلام بدعوى الجرأة فى التناول واختراق قضايا لم تكن مطروحة من قبل وهم لا يعرفون أن السابقين كانو أشد نبلا وأخلاقا وقيما من الحاضرين ، ولم يمنعهم هامش الحرية بل لم يتجاوزوا حدود الله ٠

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور] الزنا وهو من الجرائم الكبرى التى تفسد المجتمعات وتعانى منها الدول فى تحمل اللقطاء الذين يتركهم الزناة على نواصي

الطرق أو إلى جوار دور العبادة ، وأخذ الزنا أشكالا عدة تحت مسميات متغيرة مثـل الزواج العرفي المنتشر بين طلبة الجامعات وغيرها وذلك إذا انحرف عن الاصول .

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنفال] المنـافقون وهم آفة المجتمعات من المداحين والكذابين والمتملقين والمزيفين للحقائق من أجل الحصول على منافعهم ومكتسباتهم بطرق النفاق والمديح لمن ليس أهلا لذلك ، مما يجعلهم يزيفون الحقائق ويقلبون الموازين .

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النحل]

الكذب الذى من شأنه أن يضيع العدل ويفشى الظلم ، الذى يحول البريء متهما يساق إلى المقصلة ، والمتهم بريئا ينجو من العقوبة نحو حصوله على ثمن كذبه وتضليله التى يساق إليها غيره من المظلومين.

اللغة

هى الأداة التى يتفاهم ويتواصل بها الشخوص فيما بينهم ، وتوضح وتكشف وتفهم لنا مجريات القصة ، وتنقسم اللغة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول لغة القصة :

تكون بلغة فصحى نثرية مقتضبة مختصرة . أن تكتب ملخص القصة بلغة أدبية راقية كمن يكتب القصة القولية الروائية ولكن باختصار وإيجاز شديد كمثـل القصـة القصيرة ، وفيها تعتمد على توضيح الخط الدرامي الرئيسي للأحداث ، وعـادة هـذا الخط الذى يجب أن يكون قويا مترابطا بروابط وثيقة من خلال الحبكة القوية ، والتى

تتمثل فى خط البطل من البداية التى يجب أن تعرف فيها النهاية وتحددها حتى تعرف كيفية البدء وإمساك الخيوط التى يجب أن تسير كلها فى طريق واحد حتى لا تتفـــرع وتتشتت القصة ، وينكسر الخط الدرامى ، وتضيع الحبكة وتصبح القصة مهلهلة ليس لها معنى واضح وجلي وشيق وجذاب ، مما تعطى انطباعا لمقيمها من المنتجــين أن المؤلف ليس محترفا ، لأنه لا يستطيع القبض والإمساك بخيوط القصة ونسجها النسج الصحيح حتى تصبح كثوب كامل متماسك قوى ، أنت لديك ســبع وحــدات بخمــس مواضع حبكة أى خمس منعطفات وتغيرات تحدث فى مجرى الأحداث ، وكل منعطف أو موضع حبكة يشد القصة إلى منطقة متجددة لها من الحلاوة والغموض ما لها ، مما تقوى الخيط وتسرع بالأحداث ، لأن البطل ينتقل من وحدة إلى وحدة فى سبع وحدات كفيلة بتغير المناخ وتغير الحظ والزمان والمكان والحدث الذى من شأنه أن تؤثر فيــه كل محطة لتضفى عليه رونقا وتشويقا وتقدما وتطورا ونموا نحو الخاتمة ٠

ملخص القصة بالصورة الأدبية تكتبه لكى يساعدك كخريطة واضحة المعــالم ، عندما تبدأ فى كتابة السيناريو التفصيلي لمشاهد القصة ، والتى تعينك الخريطة فى عدم النسيان أو التشتت أو الحيرة أو التواصل وعدم انقطاع خــيط الأحــداث المفتــرض المتدفق حيث يندفع للأمام يقطع المحطات السبع بما لا يسمح بالتراجع أو الوقــوف ، ولكن من الجائز أن يسرع أو حتى يقفز مسافة زمنية ووقتية ولكنه للأمام لا للخلف ، وكذا يعينك على عدم التوهان والحيرة التى من الممكن أن تعتريــك عنــدما تتــداخل الخيوط وتتوه بسبب نسيانك بعضا من أجزائها ، وهذا وارد على الجميع ، وما يحفظ التوازن وعدم انقطاع الخيوط وتداخلها بما من شأنه أن يفسدها أو يقطعها لا يكون إلا من خلال الرجوع إلى الملخص الأدبي الذى كتبته ، وإلى جوارك دائما تعــود إليــه عندما تعتريك الحيرة أو النسيان ٠

ملخص القصة الأدبى هو الذى تقدمه إلى جهات الإنتاج ، والتى ليس لديها الوقت حتى تقرأ السيناريو الطويل ، والكفيل بإرهاقها والذى يتعدى مئات الصـفحات حتـى يستطيع الحكم على قصتك لا أحد من هؤلاء المنتجين باسـتطاعته أن يمحـك هـذا الوقت ، ولا هو بقادر أن يمنحك هذا المجهود ليحكم على عملك من عدمه ، هنا يأتي دور الملخص الأدبى للقصة والذى تسطره فى أوراق تتعدى ثلاثين ورقة أو أكثـر ، مما تعطى المنتج شهية أن يقرأها ويفيدك برأيه الذى تنتظره ، وإن أعجبتـه القصـة الملخصة وطلب منك بعض التعديل ، فيكون من اليسير عليـك أن تعـدل إن قبلـت التعديل ، لأن التغيير فى ثلاثين أو أربعين أو خمسين صفحة أيسر لـك مـن تغييـر المئات مع أنه ليس من المفروض أن تقبل التغييرات التى تطلب منك لأنها كفيلة بإفساد القصة وتكسير الخيوط الدرامية التى لم يلم بها المنتج من خلال الصـفحات الثلاثـين التى قدمتها له ، ولكن ما تسمح به من تعديل طفيف يكون فى السيناريو ، لأن المنتج همه الأول التكاليف والتى يود تقليلها إلى أكبر حد ممكن ، ولذا يطلـب مـثلا تقليـل المشاهد الخارجية وأماكن التصوير الكثيرة المتعددة فى أماكن عدة متفرقة ، بـدعوى أنها أكثر كلفة وإجهادا وتعطيلا واستخراج تصاريح للتصوير وغيرها من أمور أنـت ليس لك بها علم أكثر منه ، ولكن فى النهاية الأمر متروك لك فى قصتك وأنت أدرى بها وبمصلحتك ومسئوليتك وجهدك وعرقك •

القسم الثانى لغة السيناريو :

هو الرسم البياني الموضح لكل شيء ، والخريطة الكاملة التامة لمنظـور القصـة التى ستتحول إلى صور متحركة ••ويكون بلغة نثرية فصحى• وعادة يكتـب فـى الجزء الأيمن من الصفحة ، بلغة عربية نثرية فصحى صحيحة مشبعة بجماليات اللغة المكنية ، والدلالات المتخفية ، والتى يفسرها المخرج ويصورها أشياء ماديـة تـرى

وتحس وتعبر بصورة جميلة ، أو من خلال مؤثرات من جمل موسيقية أو بأصوات طبيعية أو بمؤثرات خارجية ٠ وفيه تصف المكان الذى يدور فيه المشهد ، وتصف وتحدد الزمان إن كان بالليل أو بالنهار ، أهو خارجى فى مكان مفتوح ، أم داخلى فى مكان مغلق ، كما تصف فيه شخوص المشهد بالنسبة للاسم الذى تبينه بين هلالين والعمر ، والشكل ، والملبس ، والوضع والحركة ، والتعبير الجسدي الذى يصاحب الحوار الذى سينطقه الممثل إن وجدت ذلك مفيدا ومهما ولن يستطيع الممثل إتيانه وأداءه كما تراه وتتخيله أنت ٠

القسم الثالث لغة الحوار :

هو الكلام الذى ستنطقه الشخصيات وتعبر عنه سواء باللسان أو بحركة الجسد وبتعبيرات الملامح القادرة على ذلك مثل الرموش والشفاه والناصية واليدين والقدمين والعينين وخلافه ويكون بلغة نثرية عامية أو فصحى أو بهما معا ٠ ٠ الحوار يكتب بالنصف الأيسر من الصفحة ، ويكون بلغة نثرية عامية واضحة جميلة ، لا دارجة ومنحطة ، وتقطع فيها الجمل التى تكون قصيرة موحية تؤدى المعنى بوضوح تام ، وتفصلها عن الجملة التى تليها بأنواع الفواصل المتعارف عليها وتكون بنقطتين متجاورتين ، واستعمال علامات الاستفهام ، فى الجمل السائلة ، وعلامات التعجب فى الجمل المستفسرة ، وغيرها من جماليات اللغة الأدبية الفصحى والمعروفة للكثيرين ، وذلك لتعين الممثل على النطق الصحيح وإخراج الجمل بما تحمل من دلالات ومعان تكشف مضمون القصة وسير أحداثها بأفعال تشاهد ، وحركة تحس ٠ ومن خلال السيناريو والحوار تروى القصة حيث الحوار يظهر بالكلام الواضح المنطوق والمسموع ، والسيناريو يكمل ويعبر بالصورة فتكتمل أركان القصة التى تكشف بمشهد إثر مشهد ٠

من الممكن – فى هذا الزمان – أن نجمل اللغة ببعض الفصحى الشعرية والنثرية وندمجها مع النثرية العامية لنحسنها ونجملها ونعلمها للنـاس لتسـتقيم ألسـنتهم وتتحسن وتتجود فى هذا الزمان الذي اختلت فيه كل اللهجات واللغة العربية حتى إنها للأسف صارت منبوذة من أهلها ومتحدثيها الذين شرفهم الله وأنزل قرآنه بكلامهـم. ونأخذها من كلام العرب الذين قسموا اللغة إلى شعري فصـيح ، ونثـرى فصـيح. والشعر من أغراضه الهجاء والمديح والحماسة والرثاء والغزل والوصف ، وجميعهـا باللغة الشعرية الفصحى، ثم جاء الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم – وتكلم وروى أحاديثه الشريفة باللغة العربية النثرية الفصحى .وجاء صحابته وتكلموا النثرية باللغة العربية الفصحى وحسنوها بالشعر الفصيح كما هى عادتهم من عشقهم للشعر ومن أنه أعلى منزلة وأرقي شأنا من النثر الفصيح البليغ ، ولم يمانع الرسول فى ذلك بدليل أن الشعراء مدحوه فى أشعارهم ، وعبروا به عن شرح بعض ما جـاء فـى الأحاديـث والقرآن بشعر، وإلى زماننا هذا حيث يستعمل الخطباء الشعر الـذى يـؤثر القلـوب ويغبطها ويبكيها .

ومع المتغيرات الحياتية وبُعد الناس عن الفصحى القوية صارت النـاس تهـوى العامية فلا بأس منها. على شرط أن تطعـم الحـوار بـبعض الآيـات القرآنيـة ، والأحاديث النبوية ، والأقوال المأثورة ، والأحاديث القدسـية ، والأشـعار الحسـنة الوصفية.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم] وهنا توحي الآية وتؤكد على اختلاف اللغات الفصحى ، واللهجـات العامية فى اللغة الواحدة ، فلا بأس من اختلاف اللهجات فى حوار الشخوص وكلامها وكذلك على اختلاف اللغات ما بين عربية وأجنبية وغيرها ؛ لأننا فى الأصـل أولاد

رجل واحد وامرأة واحدة. واختلاف اللهجات واللغات إنما تدل دلالـــة علـــى تكامـــل وتعاون الشعوب وتواصلهم لا صراعهم ، فهم أبناء حضارة اشترك الجميع فى بنائهـــا على اختلاف مشاربهم وعقائدهم ولهجاتهم ولغاتهم وأعراقهم ومللهم، وليس من حـــق دولة أو جماعة أن تستأثر وحدها بشرف إنتاج هذه الحضارة بذريعة أنهـــا منتجتهـــا وحدها ، فإن الحضارة منتوج إلهى نفذه بشر ملهم متعددون ومختلفون مستلهمون من هدى الرسالات السماوية التى أتى بها الأنبياء والرسل المكلفون والمرسلون مـــن الله ، فإن الحضارة أساسها الله الذي أرسل رسله ليعلموا الناس ، فلا يجوز بعد أن يعلمنا الله أن ننكر تعليمه ، وهذا يقول إنه من عندياتى ، وآخر يدعى أنه من إنتاجه العقلـــي – عقل المخ – الخالص ، الكل أضاف ولم ينتقص .

الفصل الخامس

مكونات القصة الفعلية

الأفعال

الأفعال هى مادة القصة كلها وسبب وجودها وقوامها مشاهدتها ، وسر الإمتاع فيها والمتابعة ألم نقل إن القصة الفعلية فعل يشاهد ، إذن الأفعال هى الأعمال التى يقوم الشخوص بأدائها ، والشخوص هم الممثلون الذين يحولون الأحداث المكتوبة إلى فعل حقيقي يعمل ويرى رؤي العين ، وبكلام يسمع ، وبحركة ترى وتحس ، وهى أيضا جملة ما يقوم به الشخوص بفعل وعمل ولغة بحوار متبادل بينهم يفهم منه مجريات أحداث القصة ، وما يريد هؤلاء الشخوص فعله ، والمبرر لكل تصرفاتهم وأعمالهم التى تغلفها الحاجة والهدف ، وما من شخص إلا ويقوم بعمل يقصد من ورائه الحصول على حاجة ، أو تحقيق هدف ، وهذا أمر طبيعي فى القصة وفى الواقع فليس هنالك إنسان يعمل ولا يعرف لماذا يعمل ، أو يتكلم وهو لا يعرف لماذا يتكلم ، وما الدواعى والحاجات من وراء الكلام الذى له معنى يوضح ويكشف تفاعلات ومشاعر وعواطف وما يختمر داخل الشخوص فيتحدث به لنعرفه ونفهمه ، ونقدر عمله وسيره وما يرمى إليه ، ونقف إلى جواره ونساعده من عدمه ٠

قاعدة عامة :

أن تبنى الأفعال على المستحيل الممكن القابل للإقناع ، لا علـــى الممكـــن غيـــر المستحيل ؛ لأنه عادى لا روح ولا زخم ولا تشويق فيه ؛ بينما المستحيل الذي يصبح ممكنا يعطى تأثيرا أقوى ، وإثارة وتشويقا مؤكدين ، كما أنه يخلق الغموض ويخلـــق الإبهار والإدهاش المسببين للإمتاع والفرح والسعادة والذكر٠ المستحيل يصبح ممكنـــا بجهد فوق العادة أو جهد خارق ، أو بذل مجهود بعزم إلى أعلى درجة وآخر نفس ٠

مثال على الممكن غير المستحيل ولماذا هو غير مقنع ٠الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – برغم كل شيء فهو إنسان مثلنا ، ومع أنه مؤيد ومؤازر مـــن قبـــل الله تعالي الذي يقول للشيء كن فيكون ، فعندما أمر بالهجرة من مكة إلى المدينـــة تمنـــى الرسول أن يكون له صاحب يؤازره ويكون إلى جواره هذا أولا ، وثانيا اتبع الرسول طرقا غير معروفة ولا معهودة لأعدائه تجنبا لعدم مقدرته على مواجهتهم ، رغم قوته وبسالته واحتماله ومؤازرة الله له ، ولما شعر أن فرسان المجابهين له عرفوا طريقـــه ويقتربون منه لجأ إلى الغار حتى لا يواجههم وهو يعرف أنه لا يقـــدر علـــيهم وأراد الاحتماء فى الغار، إنه يأخذ بالأسباب التي تناسب العقل البشرى ، رغم أنه يؤمن تمام الإيمان أن الله ناصره ولن يمكن المصارعين منه ، ويقول لصاحبه ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وكان باستطاعته أن يخرج ويواجه الجميع ويعلم أن الله عاصمه من النـــاس ، ويكون ذلك ممكنا وغير مستحيل ، ولكنه لا يلقى بنفسه فى التهلكة ، ولا يندفع ليواجه الجميع فإن ذلك ممكن غيرمستحيل ولكنه غير مقنع ، ولذا لم يفعله صـــلى الله عليـــه وسلم ، ويؤمن أن ذلك لن يكون مقنعا للناس أن يواجه أشرس الطواغيت من الشـــباب أصحاب السيوف البتارة ، وآباءهم الجبابرة المقتـــدرين الموشـــحين بالحقـــد والغـــيظ والكراهية ، والممتلئين بالغيرة والصلف والغرور والجهل المبين ، ولكنه لم يفعل ذلك لأنه لابد أن يأخذ بالأسباب ، ويلجأ إلى المستحيل الذي صار ممكنا عنـــدما احتمـــى بالغار وهم على بابه ، إنه وحده فقط رسول الله ويحمل رسالته ؛ مما يحتم عليـــه أن

يخاف على نفسه ويحتاط كل الحيطة ؛ لأنه ليس ملك نفسه كأي واحد منا ، إنه مختار ومكلف من قبل الله بالقيام بتبليغ رسالة منه – تعالى– إلى الناس كافة. عكس سيدنا عمر ابن الخطاب المعروف عنه قوته وشدته ومكانته بين قومه وكل من يعرفه عندما أعلن إسلامه ، أعلنه على الملأ وجهر به – فى وقت لم يكن أتباع الرسول يعلنون إسلامهم لأنه لا يمثل إلا نفسه أولا، وسبب الجهر اعتماده على قوته المشهور بها ثانيا ، فيأتي فعله متسقا ومتوافقا مع صفاته العقلية والجسدية ، لذلك فعله كان مستحيلا ولكنه ممكن ومقنع.

كذلك على طول خط الفعل رسول الله في فعل الدعوة لم يكن فظا حتى لا ينفض الناس عنه ، وكان يختار رسله البلغاء – كل فيما يقدر عليه وأهل له – إلى الملوك والقياصرة.وكان يحب أن يسمع القرآن – الذي جاء به – من ابن مسعود لحلاوة وجلاء وعذوبة صوته.

موسى وفرعون ، أن يلتقي موسى مع فرعون وهما أعداء فهذا ليس مستحيلا ، لكن أن يكون موسى فصيح اللسان خطيبا ورعا ليقنع فرعون – الذي رباه وعلمه وكبر بين يديه – الإله ليقنعه بأنه ليس إلها ، وان هناك إلها غيره لا تصلح العبادة إلا له ، فهذا غير مقنع على الإطلاق ، مع أن موسى نبي مرسل من قبل الله ، لماذا هو غير مقنع لنا ؛ لأن موسى لديه عقدة في لسانه ، ولذلك فهو ليس أهلا للإقناع ولا للكلام الفصيح ولذلك هو نفسه يقول : وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون .

أهم الأفعال والمشاهد المهمة الحتمية التى تشتملها القصة : **وهى الأدوات التى تربط بين القائم بالفعل والمشاهد له منا.تجمع بين التفاعل الوجداني الذى يعتمد على الأحاسيس و المشاعر و العواطف. والتجاوب العقلاني الذى يعتمد على الغرائز و الشهوات و الفطرة والعقل.**

وجميعها من سورة (يوسف) تلك القصة الرائعة التامة الكاملة التى تحكى قصته، ولنا منها العبرة والتعلم ؛ لأنها القصة النموذج الواضح الوضاح ، التى لم يتدخل فى ترتيبها ولا جمعها أى مفسر أو عالم ، فهى تنزيل الله الكامل ، وجاءت من أحسن القصص كما وصفها الله لأنها تؤسس لعلم القصة بحقائق علمية كما ينبغى أن يكون الإبداع القصصى بنوعية ، روائى قولى مكتوب مقروء ، ودرامي فعلى فنى مشاهد .

أولا : فعل مشوق ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ **التشويق يخلق الإمتاع ويدرب الأحاسيس ويوقظ المشاعر.** تهيئة الجو العام ولفت الانتباه وصرف الهمة إلى الإعلان عن بدء الفعل الحقيقى للقصة بإعلان اسم القصة ، والأبطال ، حيث يتربع اسم المبدع المؤلف للقصة باتساع آلة العرض أو لوحة الافتتاح ، ثم اسم البطل ، ثم اسم الأبطال ثم بقية أسماء الصناع كل حسب عمله.

الإبهار أو الإدهاش يحقق التشويق ويعتمد على الأشياء التى تقع فجأة ، أو غير المتوقعة ، أو غير الممكنة ، وجميعهم يبنى على المستحيل الممكن ، وأكبر مثال على ذلك عندما كان فرسان قريش يقفون على باب النبي صلى الله عليه وسلم بسيوفهم البتارة يريدون قتله ، فيخرج عليهم ويرش عليهم بعض التراب ولا يشعرون به وهو يخرج من بينهم دون أن يمسه أذى منهم. وعندما كان القرشيون يبنون الكعبة واختلفوا فيما بينهم على من يحصل على شرف وضع الحجر الأسود وكادوا يقتلون بعضهم ، مع أنهم كبراء قريش وكان من المستحيل إرضاءهم واتفاقهم ؛ لأن العصبية القبلية تتحكم فيهم فجاء النبي – قبل الرسالة – فحكموه فوضع الحجر على إزار وطلب من الجميع رفع الحجر– واشترك الجميع فى الشرف – ووضعه هو فى مكانه من الجدار صلى الله عليه وسلم.

مثال وممن ؟!! من كفرة مشركين سادة وكبراء قريش عندما سمعوا القرآن في بدء الدعوة من الرسول عند الحرم ، وأخذ يتلو صلى الله عليه وسلم سورة النجم بغتة . والكفار أسلوبهم المتواصل والمتناقل هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضا من قولهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت:] فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة وقرع آذانهم كلام إلهي رائع ، تركوا ما هم فيه وصاروا يصغون إليه لا يخطر ببالهم سواه ، إلى أن قرأ ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ [النجم] ثم سجد ، فلم يتمالك أحد منهم نفسه حتى خر ساجدا ، وهم على ما هم عليه من كفر واستكبار وعناد واستهزاء بالرسول وصحابته وبما جاء به صلى الله عليه وسلم .

تأتى المفاجأة من الحذر الشديد ، لأن الحذر لا يمنع قدرا . مثال في فرعون مصر احترز كل الاحتراز ألا يوجد موسى حتى إنه أمر رجاله أن يدوروا على الحبالى ويعرفون مواعيد وضعهن ، فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحوه ، ومع ذلك يولد موسى والأنكى و الأدهى أن فرعون نفسه هو الذي يربيه ويعلمه في قصره ، ليكون سببا في زوال ملكه وهلاكه غرقا في البحر . وبعد أن نعرف ذلك نحن لا يكون أمامنا غير ذكر الأنبياء والصلاة والسلام عليهم ، وإكبار الله والتضرع له أن يجنبنا ما خفي عنا .

وما أود الوصول إليه من فائدة إثارة الخوف والشفقة والتضرع لله على البطل – ومنه – الذي يعانى ويتألم ويتحمل ويصطبر لنتعلم نحن الصبر على المكاره والشدائد كما هو يتحملها ويعانى منها ، ومن انتصاره على أقداره ومصارعيه ، ذلك يفرحنا ويجبر خاطرنا ، ويجعلنا رفقاء متراحمين وكلهم يشعروننا براحة الضمير ، ولأنه

كشف لنا عن مكامن القوة بداخلنا ، وأشعرنا بتفوقنا وتميزنا ؛ لأنه واحد مثلنا عانى وتألم وتحمل وصبر وانتصر فنشعر بجلاء الخوف وإحلال الأمان الذي يمدنا بالراحة النفسية وهى نوع من أنواع العلاج النفسي ، وهو من أهم أهداف العمل الفني ، وكذلك علمنا كيف ننجح في الابتلاء الذي هو مفروض من الله على كل البشر .

ثانيا : فعل مثير ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ **الإثارة تخلق الراحة وتهذب المشاعر وتدربها على الليونة والمرونة وعدم الاندفاع:** مسبب خارجي مكتسب يعمل على استنهاض الأحاسيس وتهيجها وتفعيل المشاعر وجذبها ، وزغزغة الخيال وإلهامه ، وإقراع طبلة الأذن وتنشيط عصب البصر بفتح الحدقتين على اتساعها ، بوقع قوى يحفزه على الانتباه والشد والاستيعاب والتقبل بسحر ، دون التمكن من احتمال لسؤال أو إعطاء العقل فرصة ليبرر ما يحدث ويقبله على ما هو عليه ؛ لأنه على حين غرة وبمفاجأة غير متوقعة تحدث هزة شديدة في الروح وفى القلب تثبت حركة العينيين ويصمت طنين طبلة الأذن ، بما لا يستوعبها العقل بسرعة تخطفه خطفا حيث تكون أعلى من تخيله وتوقعه وتشده قوة الإثارة والتى تنشط التشويق إلى الفرح والسعادة الذى تنشده النفس ، لأنه مخلص لها من الملل والسأم وعلاجها الفعال ، لذلك تشتاق وتنتظر وتترقب ما يقدم لها ما تهواه ويسعدها وتتطهر مما يرهقها ، وتتخلص مما يمرضها ، وتعالج مما يستنزفها وتصطبر على ما يأتيها ، فتكون الإثارة المسببة لإبهار بمثابة قوة الدفع المهولة لتوسع تلك الشعب الدقيقة والمغنية والحاملة لتلك المشاعر والأحاسيس المجيشة الرقيقة الساكنة والمستنفذة لتعيد إليها النشاط والحيوية من جديد بتدريب متقن ، ونجمله من أن الإثارة تنتج السكون والراحة والليونة والمرونة .

ثالثـا : فعـل غـامض ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ **الحذر يخلـق العطـف ويعلـم الصـبر ويطهـر المشـاعر مـن اللامبالاة** ٠ الحذر شعور فطرى يتولد من مسبب خارجي مكتسب يوقظ الأحاسـيس وينبه ويدرب المشاعر الساكنة الكامنة الداخلية غير الفاعلة ويحركها بليونة ونعومـة ورقة إلى فاعلة غير مستهجنة مستميلة منجذبة بقوة خفية لما تجده مـن قـدرة لينـة لتشارك بفاعلية مع من استلب مؤازرتها برضاها وموافقتها دون أجر، ولكـن بوعـد على إشباعها وتهدئتها وتنميتها وعلاجها مما علق بها من تشدد وإرهـاق وتصـلب، ليجدد خلاياها وأنسجتها إلى الوداعة واللين والراحة والوجاهة التى من أجلها خلقـت لتحافظ على إنسانية الإنسان وتقف حائلا بين أن يتحول إلى شيء آخر جامـد حجـر صوان ، فهى التى تنظف جدران القلب من الصدأ، وفى كل مرة تستعد للاسـتنهاض مرة أخرى على حقيقة وليس كذبا حتى لا تستنزف ولا تفتر ولا تفقـد خاصـيتها ٠ ونجمله أن العطف يولد الرحمة٠

رابعا: مشهد المؤامرة ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨﴾ **المؤامرة تخلق الرهافة وتشعل الوجدان وتدربه**: وهو فعل مـدبر من شعور عدوانى خارجي مكتسب من فعل وقول آخرين يكون سببا يسـتنهض بـه المشاعر والأحاسيس على عكس طبيعتها المحايدة إلى تخصيصها مـن حـب الـذات والزج بها فى عمل مخالف لطبيعتها ، من أجل استغلالها فى الدفاع عن شيء تريـد الحصول عليه وتستأثر به لنفسها بنوع من الأنانية التى تدفع إلى محاولة الاسـتحواذ بطرق غير قويمة على ما ليس لها ولا من حقها ، ويغلف ذلك الحقد بغلاف أخلاقـى

ليستلب موافقة عقل القلب على ما يطرحه عقل المخ من الإمكان على القضاء على سبب عدم الكسب لا تريد الاستحواذ عليه • والمؤامرة الخارجية تستدعي في النفس والروح لنا نوعا من رد الفعل الطيب بمقاومة المؤامرة ورفضها والتخلص منها والعمل على إفشالها ، وهي مقاومة نفسية وعلاج داخلي بمسبب خارجي وحدنا بما هو ممثل إلى ما هو حقيقي ، ويتخطاه إلى التفكير الجاد الحقيقي مع من يعاني منها لنمده بأسباب تلافي تلك المؤامرة والنجاة منها مع إدراكنا أن صوتنا لن يصل إليه ولن يسمعه، وهي بذلك تلغي أي حدود واقعية حقيقية بين ما هو ممثل وما هو حقيقي نشعر به ونحن جلوس نشاهد وننتظر ونتمنى ألا تتم المؤامرة، وهذا التمني المعمول الذاتي الداخلي هو شعور مرهف جليل حسن يستدعي المشاعر ويفعلها حتى ترق وتلين وتشفق وتتعاطف مع من تهدد حياته أو سعادته الفواجع من هؤلاء المتآمرين، فإن المؤامرة تخلق بداخلنا رد فعل رافضا بنوع من المضاد الحيوي الذى يحمي الروح من الانحدار والتدني ويعالجها من أدران الحقد، ووباء الحسد، وجراثيم الكراهية، وسموم الغل، وبذور النفاق • المؤامرة قلنا إنه مؤثر خارجي مكتسب يحرك الأحاسيس ويستنهض المشاعر إلى عكس طبيعتها ومحاولة استمالتها لتكونها نفسها، ويكون رد الفعل الداخلي من المشاعر والأحاسيس نفسها رفض ما أخذت إليه وهي كارهة، وهذه الكراهية الرافضة تنتج تمرينا وتدريبا ومقاومة وإصلاحا وتجويدا لها، إلى عكس ما استنهضها ولا يكون غير الوفاء، إذن إثارة المؤامرة في النفس تطهرها منه وتدربها على الوفاء، ونجملها أن ثمرة المؤامرة الوفاء •

خامسا : **فعل مفزع** ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ ﴾ **الخوف يخلق الأمن ويطهر من البلادة**• الخوف أو الفزع أو الرهبة

هو غريزة متأصلة فى الإنسان وغيره من المخلوقات الحية ، كما أنه فطرة فطـر الله الناس عليها وغيرهم أيضا ، حيث إنه إحساس وشعور داخلى يعمل على إسراع رقائق العاطفة ويجهدها أيما إجهاد بسرعة كبيرة لا تهدأ إلا بزوال الخطر وتقليل كهربة تيار الإحساس الذى يعمل على تخفيض حركة رقائق العواطف حتى الوصـول بهـا إلـى الدرجة الطبيعية المستقرة عليها وهى الأمان ، تلك الدرجة التـى لا تسـمح بحـرق الرقائق العاطفية وتجعل لديها المقدرة والاستمرار على أن تؤدى دورها بفاعلية متـى استنهضت من غير إذن لها . الخوف سببه وتفعيله واستدعاؤه وإثارته خطر خارجى قوى ، والخوف مهمته أن يستجيش ويستنهض ويحفز ويجعل المشاعر والأحاسـيس على أهبة الاستعداد لما يمكن أن يهدده فى جسده أو نفسه ، ويتعداه إلى ما هو محبب إليه ، وفى المشاهدة يكون الخوف على الشخصية الخيرة التى تهدد سعادتها أو حياتها المخاطر، ويعطى الإنسان فرصة ليدافع ويرد هذا الخطر أو يقلل من قدر وقعه قـدر الإمكان . إن لم يستطع رده المؤذى الذى يهدده إلى أقل درجة ممكنة إن لـم يسـتطع منعه المنع الكامل ، وتفعيل الخوف المتولد من أجهزة التنبيه كالسمع والبصر تنبيهـا خارجيا والإحساس والمشاعر للقلب تنبيها داخليا ربانيا يستشعر الخطر ويستنهض باقى الحواس وباقى الأعضاء لتقوم بدورها، ثم يأتى عقل القلب الذى هو الآخر يقدم نتيجة نهائية دون أن يذكر لك كل الأسباب التى تدعو إلى الخوف ، ولكنه يترك تلك المهمة لعقل المخ إن كان هناك فسحة من الوقت ، وفى هذه الحالة يجب أن يطيع عقل المـخ عقل القلب بسرعة حتى يتجنب سبب تحقيق الخوف ، والنتيجة الطبيعية التى تتغلب فى أحايين كثيرة أن يستجيب الشخص لهذا التنبيه ويبتعد بأقصى سرعة عن مصدر التهديد بمجرد أن يلوح فى الأفق ، وهذا شعور طبيعى لا ريب ولا يجب أن نتهم صاحبه ومن يسلك ذلك بالجبن ، إذ عندما تشعر بحرارة اللهب سريعا ينتفض جسدك ويبتعد بسرعة البرق عن مصدر الحرارة ، بينما فى القصة لا يتم الهروب بسرعة لأن الخطر بعيـد

عنا ، ولذلك لا تستطيع التخلص منه لأنه باق ومستقر فى الوجدان ولا سبيل لطـرده والتخلص والعلاج منه إلا بالأمن المستدعى من نفس مسببات الخوف ، وذلك يتـأتى بزوال الخطر ونجاة الشخصية التى كسبت تعاطفنا وخوفنا عليها عنـدما تنجـو مـن الخطر وتعبره إلى الأمان ٠ عادة الخوف فى المشاهدة حاضر ومستقبلي ولـيس بمـا ذهب وولى ، أى ما هو ماض إلا ما ندر وصار مخزونا داخليا له وقـت اسـتدعائه عندما يتشابه ويتماثل المؤثر الجديد مع ما سبق من مؤثر مماثل فى الماضى ، إنمـا استذكار الماضى واستحضاره بما أخاف وأزعج لا أظن أنه يعيد الخوف مرة أخـرى لأنك تشعر بذاتك الحاضرة أنها فى أمان ، ومبعث الأمان ابتعادك عن مصدر الخوف الحقيقي، واستدعاء الخوف لا يخيف إلا فترة وجيزة شبه كاذبة لأنها لا تسـتنفر كـل المشاعر ولا تستجيش كل أدوات الدفاع الفاعلة فى الجسد إلى أهبة الاسـتعداد ، بـل العكس هو الذى يحدث أن الخوف المعاد أى المستدعى من الماضى يشل حركة الجسد ويجعلها عاجزة عن القيام بدورها الذى قامت به أول مرة عنـد التهديـد الحقيقـى ، ويخالف طبيعتها التى جبلت عليها من استنفار واستعداد حقيقى لكل خلجة وكل عضو فى الجسد من الممكن أن يساعد فى تحقيق المهمة المطلوبة منه بأن يحمى نفسه هـو أولا من التهديد والإيذاء ، وبالتالى الألم المنتظر أن يحيق به ، بينما الخوف الآنى أو المستقبلي هو الذى يصنع الاستعداد للمجابهة والانتصار والتفوق ، مما يحقق الأمـن والراحة النفسية ويجلب السعادة ، والأمن هو الذى يذهب الخوف ٠ وقد عبر الإمـام علي – كرم الله وجهه ورضى عنه – حيث قال : ثمرة الخوف الأمن ٠ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ٠٠٠ ﴾ [النور]

خصائص الفعل المفزع المفرح :

١- بين من هم أقرباء تربطهم صلة الدم ، بين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته ٠ وهم أقواهم وأحسنهم وأفضلهم ٠

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝٩ ﴾ [يوسف]

٢- بين شخص والطبيعة ، وهو أصعبهم وأشقهم ٠

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم] وهي تخص سيدنا إبراهيم ولكن المقصود بالذرية السيدة هاجر المصرية زوجته التي وهبها فرعون مصر للسيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم التي زوجته إياها لأنها كانت عاقرا عساها تنجب له الولد الذى يتمنى ولم تنجبه هى ، مع أنها ستنجب فيما بعد ، وقد تحقق وأنجبت له هاجر إسماعيل عليه السلام ، والصراع مع الطبيعة الصعبة القاسية عندما تركها مع ابنها الرضيع في واد غير ذي زرع صحراء جرداء لا حياة فيها ولا ماء ، وقد انتهى الطعام والماء الذى معها ، ولم تجد ما تسد به رمقها وجوع رضيعها ، وطفقت تجرى بين جبلين تحسب السراب ماء ، ويقتلها الخوف على رضيعها لأن يهلك وهى أم تريد فعل المستحيل من أجل إنقاذ رضيعها ونفسها من الموت المحقق ، وأخذت فى ذلك تصارع جبالا صماء لا تسمع ، وحرا زمهريرا لا يرحم ، ورمالا ساخنة لا تشفع ، وتفعل المستحيل بدون جدوى فتستعين بربها ففجّر لها بئر زمزم ٠ هذا فعل مستحيل وصار ممكنا لأن النجاة لها ورضيعها كان من المستحيل بالمقاييس العقلية والطبيعية والواقعية ٠ ٠ولكن اللجوء إلى الله ونسب الفعل له فيركل الرضيع برجله ويضرب سيدنا جبريل الأرض بجناحه فتتفجر المياه ، حينها يصبح المستحيل ممكنا ومقنعا وجميلا ٠

٣- بين شخص وأقداره وهو من أحسنهم وأشقهم وأكثرهم تأثيرا ٠

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات]

٤- من تربطهم صلة الشرف والعصمة والعقد المقدس ٠

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم]

٥- بين من هم بأصدقاء ، من أفضلهم ٠

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [القصص] ذكر المفسرون أن قارون جاء بعاهرة ورسم لها خطة أن تدعى كذبا وزورا وبهتانا على أن سيدنا موسى زنا بها ، وتفضحه أمام قومه وهو من فيهم النبى العظيم مخلصهم من استعباد الفراعين ولكن يستطيع موسى أن يكشف كذبها ويبطل ادعاءها وتعترف بالحقيقة وتدل على من أغراها ، فيدعو موسى على قارون فيخسف به الأرض وبداره٠

٦- بين من هم بأعداء أفضلهم على أن يكون أحد الطرفين فاضلا وذا فكر صائب وهو البطل ٠ إنما أعداء سفهاء فليس فيه أى تأثير يذكر ٠

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء]

مولدات الفعل المفزع المفرح:

الفعل المفزع المخيف يتولد من الصراع على أشده حتى لحظة معينة يتم فيها التعرف من التكاشف فيتوقف استكمال الفعل ، ويتم على عكس بدايته وهو مكمن الفرح على أن يكون المتصارعون تربطهم صلة قوية وهما لا يعرفان بذلك ، ولا يتحقق الفزع بل الرعب إلا بالقتل سواء كان قتلا جسديا أو قتلا معنويا وعلامات الخوف أى لا تميل ولا تزوغ ، وتتوقف العيون وتثبت على الشيء المخيف ويبلغ الرعب فى القلب حتى يصل إلى منتهى الحلقوم و لا يفتح فاه ويخرس عن الكلام. من شدة الخوف المتولد حتى يحدث التعرف فيتحول إلى فرح كبير .

قلنا إن الفعل لكى يقع فلابد له من فاعل أى القائم به ، ومفعول به أى من سيقع عليه الفعل ، وقد خصصنا وميزنا العلاقة بينهما ، وبقى أن نعرف على من يكون الفاعل ؟ ومن يكون المفعول به ؟؟ وكيف يتولد الفعل المفزع بينهما؟؟

أمثلة لمشاهد المستحيل الممكن لما يجب أن يكون عليه بناء مشاهد القصة.

[**محمد رسول الله وأبو بكر، والمشركون العتاة**] فى الغار والفرسان العتاة من قريش على باب الغار وقال أبو بكر لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فهما كانا هالكين لا محالة وإنقاذهما من المستحيل ولكنه الممكن وقد حدث ، حيث أمر الله العنكبوت أن تنسج خيوطها ، ليكون إقناعا بالدليل العقلي للعتاة المصارعين أنفسهم ، والتعرف هنا بالاستدلال الخاطئ وأداته خيوط العنكبوت.

ظروف اقتراف الفعل المفزع المفرح :

١ - أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ، ويعرف حقيقته و يتوقف عن الفعل فى اللحظة المناسبة ، وهو من أجملها وأحسنها .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ [الصافات] إن سيدنا إبراهيم هو أبو إسماعيل فليس هناك علاقة أقرب من هذا ، ومع ذلك همَّ إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل- ابتلاء عظيم وامتحان شاق وصعب - الذي نجح في الابتلاء - ولكن في اللحظة المناسبة حدث التعرف من الله له بأن أنزل له كبش فداء ، ولذلك توقف إبراهيم عن استكمال الفعل المفزع الذى تحول إلى مفرح.

٢- أن يهم الفاعل وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ، ولكن لا يعرف حقيقته ويتوقف عن الفعل في اللحظة المناسبة ، وهو من أروعهم وأكثرهم تأثيرا.

في قصة سراقة بن مالك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرسول يهاجر إلى مكة يسلك دروب الصحراء يخشى ويتخفى من قريش والمشركين، وكان سراقة قد عرف بما تنذره قريش لمن يقتل محمدا وصاحبه ، فطفق سراقة يسابق الريح يريد أن يظفر بما وهبه القرشيون الكفرة ، ويقول سراقة : حتى دنوت منهما فعثرت بي فرسي فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها : أضربهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره .فركبت فرسي - وعصيت الأزلام - تقرب بي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت (غرست) يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يدها عثان (غبار) ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الأزلام فخرج الذي أكره ، فناديتهما بالأمان فوقفا ، فركبت فرسي حتى جئتهما ، ووقع في نفسي حين لقيته ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهما إخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع " وما سبق يعتبر مشهدا كاملا تاما ، تتحقق فيه كل القواعد التى استنتجناها.

ما أريد التعليق عليه من هذه القصة الحقيقية التي ليست من نسـج خيـال مؤلـف واستنتاجه هو مشهد رائع البناء والحبكة ونستنتج منه : أن سراقة كان يعرف محمـدا ابن عبد الله بن عبد المطلب سيد قريش ، ولكنه كان يجهل ولا يعرف حقيقـة محمـد الرسول النبي المرسل من قبل الله ، عندما أراد الوقيعة به ، يكتب له الله أن يهتدي هو نفسه ويعرف حقيقة سيدنا محمد فيتوقف عن الفعل ٠

قاعدة : التوقف عن الفعل بسبب التعرف أنتج تحولين اثنين ، تحول من الكراهية إلى الحب ، والتحول فى القصد والنية من القتل إلى الأمان حيث حذرهم من قـريش وعرض عليهما الطعام والشراب٠ ، أى من الخوف والحزن إلى الأمن والسـعادة ٠ فما أروعه من مشهد ومن فعل يحقق كل ما نصبو إليه ، وما تتعلمه أنت كيف يكون خلق الفعل المفزع المفرح٠ فيكون التعرف هنا تعرفا منطقيا من بناء الفعـل نفسـه المبنية بحبكة رائعة و ممتازة وقائمة على السبب والنتيجة والحتمـي والمحتمـل ، وهو أحد أنواع التعرف والتحول وأجملها وأروعها على الإطلاق٠

قولنا فى قصة سراقة – لا تنس أنه فعل حقيقي حصل بالفعل – كيف أحدد نـوع التعرف ؟ أألقول الدخان الذي سطع فى السماء ؟ أألقول تعثر وغرس يدى فرسه فـى الأرض ؟؟ أم عرفته الأزلام التى لا تنطق ولا تعرف كيف تحمى نفسها و الأزلام هى إلهه الذي يعبد ؟ هل تصدق أن إلهه هو الذي عرفه ؟ بالطبع لا ؛ لأنه صنم ٠ ولكـن ما حدث من تعرف يسوقه الله فى إحكامه وتحكمه فى مقدرته التي نؤمن بها نحن ولمن يريد الله أن يهديه ويمن عليه بالإيمان ، فجاء غرس يدى الفرس فى الأرض والدخان اللامع المتصاعد من تحت أقدام الفرس إلى السماء ليتعرف من يريـد لـه التعـرف بمقاييس عقله ، فإن سراقة ليس نبيا ولا رسولا حتى يوحى الله له وحيا مباشرا– كمـا فعل مع سيدنا موسى حيث تجلى له بصوته وقال له أنـا الله لا إلـه إلا أنـا – لكـن بعلامات وآيات يعيها صاحب العقل والفطرة السليمة ، وقد وعاها سراقة ، فـالتعرف هنا تعرف من هدى الله لسراقة ، و يعتبر استنتاجا صحيحا ٠فهل كان من الحتمي أن

يصل إليه سراقة ويوقع الفعل به ، لا ؛ لأننا نعي أن الرسول في عناية الله وحفظه ، ولكنه من المحتمل المستحيل الممكن أن يوقع به الفعل ، فهذه هي روعة المستحيل الممكن. والدليل على ذلك أنه ممكن أن أوذي الرسول من أهل الطائف ، وفي غزوة أحد شج رأسه الكريم ؛ لأنه أولا وأخيرا بشر ما هو إلا بشر رسول.

٣- أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ، ولكن لا يعرف حقيقته ، وفي اللحظة المناسبة يعرف حقيقته فيكف عن الفعل ، وهو من أروعهم وأحسنهم على الإطلاق فنيا .

في قصة مريم والمسيح ، علمنا أن قومها كانوا يعرفونها تمام المعرفة ، ولكن لا يعرفون حقيقتها وحقيقة إيمانها بالله وطلبها منه في دعائها ودعاء والدتها زوجة عمران من أن يكون لها ولد من غير زوج وقد استجاب الله لها ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ [مريم] ولكن عندما ولدت المسيح وهي العذراء التي لم تتزوج ، اتهموها بما ليس فيها ولكنهم لا يعرفون ذلك ، وهنا كادوا يوقعون بها القتل المعنوي ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾ [مريم] حتى أنطق الله المسيح الرضيع ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [مريم] وهنا عندما تم

التعرف أو الاستكشاف واستبانت لهم الحقيقة كفوا وتوقفوا عن الفعل. وهذا النوع من أجملها على الإطلاق . التعرف هنا تعرف مباشر، وجاء من الإدهاش وهو أحد أنواع التعرف .

٤- أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو لا يعرف من سيقع عليه الفعل ، ولا يعرف حقيقته ، ثم في اللحظة المناسبة يعرفه ويعرف حقيقته ، فيتوقف عن الفعل ، فذلك من أجمله وأروعه .

من حادث الهجرة للرسول الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – أن فتيان قريش مسلحون بالسيوف البتارة الحادة يدخلون بيت الرسول يريدون قتله ، والرسول لم يكن هو النائم فى فراشه بل كان عليا بن أبى طالب كرم الله وجهه وهم لا يعرفون ذلك ، وهموا بارتكاب الفعل المفزع ألا وهو القتل على حين غرة وخيانة ومباغتة ، وما إن اكتشفوا وعرفوا سيدنا عليا كرم الله وجهه فحدث لهم الاندهاش ، فهم بالطبع يعرفون حقيقته من يكون وابن من فيهم فى قريش ومن يكون أبوه وجده ، وحقيقة صلتهم به ، توقفوا عن ارتكاب الفعل المفزع.وهذ النوع من أروع وأجمل أنواع إتيان الفعل المفزع المفرح ، فمن منا لم يخف ولم يفزع ونحن نرى الفتيان بسيوفهم البتارة يرفعونها ويكادون يهوون بها على سيدنا على .إن الفعل المفزع يحقق كل أغراضه والمطلوب منه من إثارة الخوف بل الرعب بداخلنا ، ولكن عندما توقف فى اللحظة المناسبة ، طهر نفوسنا من مخاوفنا ، فأسعدنا وأشعرنا بالراحة النفسية والأمان وهم نوع من العلاج النفسي المطلوب تحقيقه من كل عمل فني محترم نافع ممتع يستحق إنفاق الملايين من المال ، كما يستحق أن تتسابق على عرضه القنوات الفضائية والأرضية.

سادسا : **فعل محزن** ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ **الحزن يخلق الفرح ويطهر من الكآبة والسأم** : الحزن يخلق الفرح ويطهر من الكآبة والسأم: هو الكآبة والغضب واليأس وفقدان الأمل، وشعور عكس الخوف، بمعنى أن الحزن لا يكون إلا على ما مضى ويتعداه إلى ما هو حاضر ومستقبلي أيضا عند الشعور والتنبؤ بالتهديد المستمر الحقيقي لمن لا يستحق التهديد والألم، والحزن هو إجهاد واستنزاف وإضعاف للقوى الداخلية المولدة للمشاعر والأحاسيس والحاملة لها، ويلقى عليها حملا ثقيلا يرهقها أيما إرهاق يصل بها إلى حالة من الإعياء المرضى الذى يحتاج إلى علاج ضروري وإلا ستنهار تلك القوى المولدة والحاملة لهذه المشاعر الجميلة النبيلة المعينة للروح والجسد على تحمل أعباء الحياة بكل ما فيها، وهو ما يجب الحفاظ عليها ورعايتها وصيانتها وعلاجها عند الإجهاد أو الضمور، ولا يكون العلاج إلا بالفرح والسعادة والحبور، فما يذهب الحزن هو الفرح وما يذهب الخوف هو الأمن • ثمرة الحزن الفرح •

سابعا : **فعل غامض** :﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ **الغموض يخلق اليقظة ويطهر من البلادة** • هى حالة من نقص المعلومات الخارجية التى ليس بوسع البصر أن يراها كاملة لنقص فى الصورة ، وكذلك عدم إدراك كفاية السمع من المعلومات الصوتية بشكل كبير وتام ، مما يصيب بالغيام الوهمى على العين ويجعلها لا تستطيع نقل ما تراه بصورة صحيحة، ومعلومات كافية ترسل بها إلى عقل المخ الذى هو الآخر يحتار فيها، بسبب نقص المعلومات المبتسرة قسرا، ولا يستطيع أن يعمل على هداها ويستخرج منتجه ويحل لغز ما يحدث لكى يطمئن القلب الذى بدوره يهدئ من روع المشاعر المستنفرة

وغيظ للأحاسيس الثائرة من غير فاعلية ترجى ، مع أنه يجعلها فـي حالـة تواصـل بشغف وعناد ليعرف ما يحدث، ثمرة الغموض الصراحة، والصراحة سلوك أخلاقي .

ثامنا : فعل مقلق ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ **القلق يخلق الرهافة التي تخلص من التوتر** . هـو شعور داخلي غير كامل مستنهض يرهق المشاعر ويوتر الأحاسيس ويحرق الأعصاب ويخيف العواطف ،ولكن المتسبب فيه عامل خارجي متولد نتيجة عدم المعرفة الكاملة عن حقيقة إنسان مثلنا نحبه ، وهناك آخرون يهددون حياته أو سعادته ونحن لا ندرك كل ما يحدث لأننا لا نعرف ولا نرى لشخصية من نحبه مصيرا معروفا ، وإن كـان لها مصير فهو مخبوء عنا لا نراه ، ولا نعرف ما يحاك ضده وما يفعل به ، ونقـف مكتوفي الأيدي لا نستطيع فعل شيء، مما يصيبنا بالاضطراب المهيج للنفس والمشاعر على غير هدى لكنها محبوسة في الصدر مما تسبب الضيق، وإفقاد حرية الحركة التي تصيب بالتشنج ونحاول الخروج من هذا القلق على حساب أي شيء ربما يضر هـو الآخر ويأتي على الأعصاب كلها فينهشها، وعندما تنهش الأعصاب تفقد الشعور حتى بالقلق نفسه ، وتفقد البوصلة الهادية والمحرضة على تلك المشاركة الفاعلة الشـعورية لا الفعلية، التي تعزز وتقوي الروابط الإنسانية التي تمدك بالأمن المطهر مـن القلـق والخوف . ثمرة القلق الراحة . والراحة علاج للجسد المكدود وللـنفس الموجوعـة وللعصب المحروق .

تاسعا : فعل مفرح ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ **الفرح يخلق السعادة ويخلص من الحزن** :

الفرح عكس الحزن ويذهبه ويحرر ويخلص ويطهر الـــنفس منـــه ، ويقضـــى عليـــه باستئصاله من جذوره ، ويقضى على جذوته المشتعلة إلـــى رمـــاد يـــذرُوه الزفيـــر المطرود، بابتهاج الأحاسيس الذابلة ، وانشراح الصدر من ضيق وحـــرج ، وتطبيـــب المشاعر المتألمة ، وتوسيع الشرايين والأوردة مما تجعل الحركة فى انسياب ويســـر، يفرح النفس المأزومة ويسعد القلب المهموم ، ويذهب الحزن المخزون ، ويفـــك قيـــد الربط المربوط الجاثم فوق الصدر ، ثمرة الفرح السعادة ، والسعادة هى سلوى النفس المحزونة ، والفؤاد المهموم ، والإحساس المهزوم ، والمطلب المرتجى المأمول .

عاشرا : فعل مؤلم ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ **الألم هو الخالق للشفقة الحاضة على الرفق والرقة ، والمخلصة من القسوة والجبروت** . هى الخالقة لرقـــة فـــى القلـــب والعذوبة فى المشاعر وتعبئة الروح بالرحمة والرأفة، واستنهاض الأحاسيس لتفعل ما يتوجب عليها فعله، من أن تشارك المتألم ألمه بأن تحمله عنه أو تشاركه فيه ولا تتركه يعانى ويتألم وهو لا يستحق الآلام ولا المعاناة ، بل يتوجب علينـــا مســـاعدته ، بـــأن تشاطره مصابه بالعواطف الصادقة المستجيشة والمستنهضة من الرأفة والرحمة جراء تلك الرقة التى تخلقها الشفقة ، بأن يحمل عنه ما هو فيه ليخفف عنه ما يلاقيـــه ، ولا يكون من سلاح فعال لتلك الرقة اللينة إلا بالتضرع والتذلل لله رب العالمين حتى ينقذ ويساعد ويلطف بمن استلب شفقتنا ومؤازرتنا وقد استجابت له عواطفنا ، ولكن ثمـــة مسافة طويلة تفصل بيننا وبينه وليس بوسعنا مساعدته إلا بالتضرع لله الـــذى حتمـــا يستجيب لنا لأنه أرحم منا بعبده الذى يتألم وهو لا يستحق الألم ، لأن ما ارتكبه مـــن غلطة لم تكن مقصودة ثمرة الشفقة الرفق والرأفة .

الشفقة هى الرفق والرأفة على إنسان خير فاضل مثلنا تتهدد حياتــه الأخطـــار ، وتتهدد سعادته الأحزان والكروب والمصائب ، ويواجه ويصارع قوى أكبر منه لها من الغلبة والحظوة والقوة الكثير ، مما لا قبل للبطل على مواجهتها والتفوق عليها ودحرها الشفقة تخرج الظلم والقسوة والجبروت وتخلصها من قلوبنا نحن المشاهدين لتجعلهـــا سليمة معافاة من الأمراض ، وتهذب وتدرب الضمير على ما يريحه ، وهما نوعـــان من العلاج والتطهير من الأدران النفسية مثل الحقد والغل وغيره.

عادة تتولد الشفقة من الزلة غير المقصودة التى يرتكبها البطل المصدق بآيــات الله والشاهدة على صدق نبيه مؤمن برحمة ربه ، فتناله الآلام والمعاناة التى يعانيها حتى يرفع عن كاهله آثار تلك الغلطة التى تكبده الكثير من الجهد والعناء .

يقول علماء الحديث : الحكمة فى إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ، ولأن فــى مخالطتهـــا مـــا يحصل لهم الحلم والشفقة ؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعـــد تفرقهـــا فـــى المراعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ، ودفع عدوها من سبع وغيره علموا اخـــتلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة والأمان ، ألفـــوا مـــن ذلـــك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها ، وتفاوت عقولهـــا ، فجبـــروا كســـرها ، ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها ، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفـــوا القيام بذلك من أول وهلة.

إن الزلة غير المقصودة هى المتسببة فى المعاناة والآلام ، وهى المعقدة لانطلاق فعل البطل نحو مسعاه ، وهنا أمر حتمي الوجوب أن يتضرع – البطل من زل – إلى الله ويندم ويطلب منه الغفران ؛ لأن ما يتبع الزلة هى العقدة ، والعقدة لا يحلها إلا الله لمن تضرع وأفرط فى التذلل له. وهى تقودنا إلى سؤال مهم ، من المؤكد أن الجميع يسأله وربما يكون مأخذا علينا ، **هل الله قاسم مشترك فى أى قصة وهـــو المحـــرك**

الفعلي لها ؟؟!! وكل شيء فيها يجرى بإرادته ؟!! أقول نعم . لن نقول قوى غيبية فقد عرفنا ما القوى الغيبية ، إنه الله تبارك وتعالى وآمنا به وبرسله نخص منهم على سبيل التذكير موسى وعيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم- وجاء فعل الله نافذا وقاسما مشتركا ومحركا لجميع الأحداث - قصة روائية - والأفعال - قصة فنية دراما . في القصص القرآني بنوعيه قصص الأنبياء وقصص غيرهم من الأخيار الصالحين ولم يكونوا من الأنبياء مثل هابيل ، الغلام في قصة أصحاب الأخدود ، زوجة فرعون ، ماشطة بنت فرعون ، أصحاب الجنة أي الحديقة ، قصة بقرة بني إسرائيل ، قصة هاروت وماروت ، طالوت و جالوت ، قصة عزير الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ليريه حال القرية المهدمة كيف صار حالها من العمران بعد مئة سنه قصة أصحاب الكهف ، وغيرها الكثير .

إن الزلة الخالقة للمعاناة والناشئة للعقدة والدافعة للتضرع لله هما من ضمن ما يحققان عظم المأسملهاة ؛ لأن التضرع لله نوع من العبادة واعتراف منا بوحدانيته وقدرته حتى ولو كنا نشاهد عملا تمثيليا لا حقيقيا ، وما يتبقى منه من حقيقة - يود صناع الفن أن تكون واقعة محققة - من الحتمي أن تكون ذكر الله منا نحن المشاهدين بغية الصناع - ونسبحه ونستغفره ونلجأ إليه ، كما تجبر أنت بطلك إلى الله هذا شرط لا رفاهية من أحد ؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب ، واطمئنان القلب راحة له من العناء والآلام وهو علاج نفسي فعال مخلص من الكآبة واليأس والهم والحزن . أليس كذلك؟! وهو غاية ما تودون من صنع الفن سواء كان مسرحية أو فيلما أو مسلسلا .

حادي عشر:فعل مبهج ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

البشارة هي الموجِدة للغبطة والأمل والمخلصة من اليأس والإحباط: سبب خارجي ينبئ عن شعور داخلي بإيجابية يرفع الإرهاق والمعاناة عن أحاسيس ملتهبة

ومشاعر متقدة مكتئبة فاقدة العزيمة والمقاومة، ومشبعة بقلق واضطراب أوصلها إلى درجة من الإعياء، فتكون البشارة لها علاجا بالتخلص من هذا الإعياء بالفرح والسعادة والتغذية بالطمأنينة التي تنعش المشاعر والأحاسيس ، مما ترفع من أهبة استعداد الروح لتقبلها ما يشفيها من دواء طال انتظاره وفي لهفة لتلقيه لتأنس به الروح وتسكن وتطمئن وتفرح من بعد احتباس وحزن . وثمرة البشارة الطمأنينة .

ثاني عشر : مشهد مبشر ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ **البشارة تحقق الحاجة تخلق الأمل وتحقق الذات وتتطهر من الجهل واليأس والقنوط.**

الحاجة هي اشتغال الإحساس وإعماله وقيامه بواجباته دون هوادة ولا فرصة للذبول والاضمحلال والتلاشي المميت، وهي أيضا إعمال للمشاعر بعدم جعلها تضمر وتيأس وتموت. الاحتياج هو نقص معرفي، ومبعثه رغبات داخلية معنوية تخص النفس والروح عموما ، أو رغبات خارجية مادية تخص الشخص في أمر ما مهم بالنسبة له يريد استكماله والحصول عليه، وهذا النقص يسبب له نوعا من التوتر وعدم الاتزان وعدم الراحة لابتغائه وهو غير متيسر ويستكمله من آخر يمتلك هذه المعرفة ليملأ المنتقص ، مما تخلق بداخل الآخر تفوقا وتميزا يشجع الأحاسيس على مواصلة العمل والمشاعر على الرهافة والرأفة ، والعواطف على التهذيب والتواضع ، وللروح بالفرح والسعادة ، وإشباع الغريزة لتفوق الذات وكمالها الذي تنشده لتتميز به ، مما يشعرها بنوع من الخصوصية التي يتمناها الفرد من حب الذات الحميد . الحاجة سلاح اليأس واليأس يطهره الأمل ، والأمل تغذيه المعرفة ، والمعرفة سلاح الجهل.

ثالث عشر: مشهد المفاجأة الذى يحق الحق ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ **الحق يخلق العدل ويخلص من الظلم ويطهر من الفساد .** الحق صفة معنوية ذات قوة ضعيفة لحقيقة مادية قوية ، والحق هو الحقيقة المخيفة المفزعة معنويا ولكن يتوقف تحقيقها على السلطة القوية، وإلا ما تحقق وصار عاجزا عن الإنصاف ويظل كلمة بدون فاعلية ، ومع ذلك لديه القوة اللينة التى بدورها تحرك الإحساس وتدفعه للفاعلية ليقوم بدوره، ويشعل جذوة المشاعر لتضيء شارع النفس اليائس ، لتدب فيه الحياة بقواها الفاعلة لتحملها على تحقيق الحق وإحياء الأمل ، الذى بدوره المتحقق بفاعلية وقوة فيحقق العدل بأن يعطى لصاحب الحق حقه ويختصم من الظالم بقدر ظلمه ، وبذلك يطهر من الفساد ويجعل شارع الروح مضاء بنور الحق دون انقطاع ، وتحقيق الحق يحقق لنا الطمأنينة والسعادة وراحة البال ويعظم بداخلنا قيمة العدل وقوة الحق .

رابع عشر: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ **الأمانة هى المطهرة من الخيانة والخالقة للرحمة والطمأنينة:** وهى تخص السلوك بأكثر من غيره ، والسلوك يتحكم فيه الأخلاق، فإن لم تكن الأخلاق هى المتحكمة يصبح السلوك هو الحاكم للأخلاق ويسيرها حسب هواه وما درج عليه من بيئة أكسبته هذه المسالك التى تتحكم فى أفعاله وتصرفاته، وإذا ما كان السلوك هو المسيطر فهو بيئة صالحة للخيانة لأن السلوك تدفعه غرائز وشهوات لها من القوة ما لها فى ظل تحجيم الأخلاق التى من المفترض أن تسيطر على هذه القوة وتحولها إلى قوة نظيفة فعند تحييدها لا يصبح أمامها غير الأمانة التى تلجم السلوك.وتحبسه وتهذبه

وتقومه وتعيده إلى صوابه بأن تعيد له صحة اعتقاده فى الأخلاق، وبذلك يفسح لها الطريق لتتبوأ مكانتها على عرش أحاسيسه ومشاعره وعواطفه الذى يسمو بروحه ويعيدها إلى طبيعتها على فطرتها الطبيعية التى فقدتها بسبب ظروف قاهرة جعلت البيئة هى الحاضنة والدالة والراشدة والمعلمة أى تقوم بدور لم يكن دورها بالنيابة عن الأسرة الطبيعية الناشئة للأخلاق ٠

خامس عشر: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ **الوعد يخلق الحافز، ويخلص من اليأس ويصنع الأمل ويعمق الإيمان ويحقق السعادة والرضا.** الوعد هو عهد وعقد بمقتضاه يفي الطرف الأول القادر ويؤدى ما تعهد به لمن اشترط عليه نظير عمل ما ، أداه الطرف الثاني بأمانة واقتدار، فما بالك بأن من قطع العهد على نفسه ووقع معك العقد هو الله رب العالمين الذى لا يخلف وعده أبدا بل يفرح أشد الفرح بوفاء عبده ، وهذا يعمق بداخلنا الإيمان بوعد الله أنه متحقق لا ريب ، وهذا يدعونا للسعادة والطمأنينة عندما نسير ونعمل فى طاعة الله وننفذ كل عمل نقوم به بما حلله لنا ونبتعد عما حرمه ٠

سادس عشر : مشهد التعرف ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ **التعرف يخلق العلم ويزيد من المعرفة ويطهر من الجهل ٠**

التعرف هو إيقاظ المشاعر والأحاسيس وتنبيهها إلى ما غفلت عنه ونسيته ، فيجعلها تستعيد حيويتها ونشاطها وتنقل ما استجد من معلومات ومعرفة إلى العقل الذى سرعان ما يهضمها ويشغل ملفاته القديمة ويظهر ما بها من بيانات حتى يستطيع أن يقدم نتيجة

مفادها الحب أو الكراهية تجاه ما عرف ، وأيضا يمد العواطف بمعلومات قديمة على أساسها تأخذ قرارها بالحب أو الكره أو الحذر أو الخوف أو القرب أو البعُد ، مما يمكن الأحاسيس والمشاعر من كيفية ما يتوجب عليه صنعه، وتمكن الإرادة من كيفية التصرف السليم، كما يقدم لعقل القلب مبررا على صدق حكمه أو خطئه ٠

٢- المكان

هو مسرح الأحداث ٠٠هو الحيز الذى يجرى فيه المشهد ٠٠هو الأرضية التى تجرى عليها الأفعال ، التى إما أن تجرى على الأرض أو فى السماء أو البحار أو الأنهار أو الجبال ٠٠أو فيها جميعا ، حيث لا توجد حدود بين الأمكنة أى عدم الاعتراف بجغرافية الأمكنة ؛ لأن الأمكنة من الممكن أن تكون متفرقة وهذا حتمى حسب مجريات القصة ، وتتحكم في هذه الأمكنة دول ذات سيادة ، ومجريات الفعل تحتم تواجد الأمكنة من غير سدود ولا موانع ، وهى من جملة أدوات المؤلف للإسراع بالفعل ، ويتأتى ذلك من طى الأمكنة أمام الفعل الذى يستغرق وقتا وهميا يقل أو يزيد عن الزمن الحقيقي حسب الموقف الدرامى المشوق أو الغامض ليحدث أكبر تأثير ممكن دون أن يكون ذلك محل نقد للمؤلف٠ ٠ولكل فعل فاعل ومكان للحدوث ، ومكان الحدوث للفعل الواحد يسمى مشهدا ، بعض الأفعال يفرض مكانا بمواصفات ما سواء أكان خارجيا أم داخليا ليعظم من التكثيف الدرامى والحركي ، وبخلفيته يزيد من لهيب الصراع ويحقق أكبر قدر من مطالب البطل التى يريد تحقيقها ، سواء صعب عليه أو تيسر له٠

ومثال ذلك يتأتى من قصة سيدنا موسى عندما اتهمه فرعون أنه ساحر ، وما دام ساحرا فهو سيأتيه بمن ينازله ويبارزه فى فنه وما يمتاز به ، وطلب أنْ يحدد له موعدا فحدد له موسى موعدا يحقق له أكبر قدر من هدفه وهو أن يكشف لأكبر قدر من

الناس أنه ليس ساحرا ، وكذلك ليؤثر في أكبر مجموعة من الناس ليـروا المعجـزة فيؤمنوا ، ولذلك اختار يوم العيد في الضحى بأكبر ساحة في مدينة عاصمة مصـر ، ولذلك حقق كل ما يريده من حسن اختياره لهذا المكان .

وكذلك عندما هرب من مصر خائفا إلى أرض مدين بفلسطين إلى حيث وجد الأمن لاختلاف الحكام ؛ لأن فرعون مصر ليست له سيطرة على فلسطين .

مشهد خارجي نهاراً على الأرض في بدر ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [آل عمران] بدر مكان قريب من المدينة المنورة (السعودية) الآن .

مشهد خارجي وداخلي : ليلاً في الأرض وفي السماء بمكة وفلسطين ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء] مشهد الإسراء والمعراج ، ويعتبر قمة الخيال ما فوق العلمي الذي لا يستطيع بشر مهما أوتي من علم من أقمار صـناعية وسـفن فضائية أن يحققه ، وهو يشترك بين دولتين ، السعودية ، ودولة فلسطين بإذن الله ، فلا حواجز ولا سدود ولا موانع ولا تصريح ولا إذن ولا باسبور ولا أختـام ولا حـدود جغرافية أو سياسية أو طبيعية ولا جانبية أرضية ولا غيرها .

مشهد خارجي وداخلي: نهاراً على الأرض ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

[الأنبياء] الجزء الخارجي من المشهد هو المكان الذى أوقدوا فيـه النـار العظيمـة الكبيرة والناس محتشدون ، منهم المشاهد ومنهم من يساهم في إلقاء سيدنا إبراهيم فى النار، وكذلك المنجنيق الذى سيضعونه عليه ليلقيه فى وسط النار من مسافة بعيـدة ، والجزء الداخلي من المشهد داخل النار وسيدنا إبراهيم يدخل ويستقر فيهـا ، الفعـل مستحيل أن ينقذ من الحرق ، ولكنه صار ممكنا ولم تحرقه بل كانت بردا وسلاما عليه وصار المستحيل ممكننا بإذن الله .

مشـهد خـارجي وداخلـي : فـي البحـر ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ﴾ [الصافات] وهى من قصة سيدنا يونس

وصل سيدنا يونس البحر الأبيض ، ووقف في الميناء ينتظر سفينة تبحر إلى إحـدى الجزر ، وجاءت سفينة مشحونة بالمسافرين ، وركب سيدنا يونس وانطلقت في عرض البحر، وهبت العواصف ، و ارتفعت الأمواج وفيما كانـت السـفينة تمخـر الميـاه المتلاطمة حدث شيء عجيب ، ظهر حوت كبير يرتفع وسط الأمواج ثم يهوي بذيلـه ليضرب المياه ضربة هائلة ، فيصدر صوتاً يشبه الانفجار، وانـدفع الحـوت باتجـاه السفينة ! أدرك ملاحو السفينة أن الحوت يريد تحطيم السفينة وإغراقها ، لم يكن أمـام قبطان السفينة غير طريق واحد هو التضحية بأحد ركاب السفينة ليكون طعاما للحوت لهذا اجتمع ركاب السفينة وأجروا القرعة فمن خرجت عليه القرعه فهـو الضـحية . وخرجت القرعة على رسول الله يونس وتقدّم ليواجه مصيره بشجاعة ، عرف أن مـا يحدث هو بمشيئة الله ، لهذا لم يخف وهو يهوي باتجاه الأعمـاق ، رأى المسـافرون الحوت يتجه نحو الضحية و بعدها لم يروا شيئاً. اختفى يونس واختفى الحوت و نجت السفينة من الخطر ، وابتلعت الأمواج سيدنا يونس عليه السلام ، و فيما هـو يحـاول السباحة والنجاة إذا به يرى الحوت قادماً نحوه يفتح فمه الهائل المخيف ويبتلعـه فـي

بطنه الكبير المظلم ، وفي أعماق الحوت هتف يونس : لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، كان نداء يونس نداء الإيمان بالله القادر على كل شيء سبحانه هو مالك البر والبحر و خالق الحيتان في غمار البحار ، من أجل هذا راح سيدنا يونس يسبح لله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى و تمرّ الساعات ، و يونس في بطن الحوت و تمرّ الساعات و الحوت يطوف في أعماق المياه ، وسيدنا يونس لا يزال يسبّح لله ، كان يهتف : لا إله إلاّ أنت سبحان إنّي كنت من الظالمين ، ويشاء الله سبحانه أن يتجه الحوت إلى شواطئ إحدى الجزر ويقترب من الشاطئ تتقلص معدته وتتدفق من داخلها المياه وسيدنا يونس ، ثم يستقر على شاطئ الرمال الناعمة .

ثالثا : الزمان

الزمان هو الوقت الذى تجرى فيه الأفعال ، سواء أكان هذا الزمن لـيلا أم نهـارا خارجيا أم داخليا ، وهو يجب أن يكون متعاقبا مثل الزمن الحقيقي ، الليل يتبعه نهار ، واليوم يتبعه يوم آخر والأيام يتبعها شهر ، والشهر يتبعه سنة ، والزمن وهمي فـي القصة فتستطيع بسطه أى يستغرق وقتا حتى أكبر من الزمن الحقيقي فى مشهد ما تريد منه صنع التوتر إلى أعلى درجة ممكنة لحادثة تقع تعتمد فى نجاتها على شيء آخـر يلحق بها ليعالجها مثلا أو ينقذها من أزمة ما ، فتقوم بتأخير القائم بالفعـل وتعطيلـه بأسباب كثيرة مما تشعر أن الوقت لا يمر فى حين أننا نريده أن يمر فيظهر لنـا أنـه أكبر من الزمن الحقيقي المستغرق لمثل هذا الفعل .أو تطوى الزمن بمعنى أن تسرع به حتى إنك تقطع السنين وتعبرها بسرعة كبيرة ، من طفل صغير تريده أن يصـبح رجلا أو شابا ولا تحتاج دراميا لفترة من السنين من صغره إلى شبابه فتقطـع هـذا الوقت وتطويه .

والمثال على ذلك فى قصة سيدنا موسى فقد ذكر الله قصته من مولده الذى كان فرعون يذبح فيه الغلمان الذكور ، وهنا موضع حبكة كبرى وحدث جلل ، ثم بسط قصة مولده وإرضاعه ونجاته ، ثم تربية فرعون نفسه له ، ثم بعد ذلك طوى الله الزمن حتى كبر سيدنا موسى إلى سن الأربعين الذى يكلفه الله فيه بالرسالة وهو حال جميع الأنبياء٠

وهو أيضا الزمن المستغرق للفعل أى الوقت الذى يستغرقه الفعل حتى يتم على أكمله وهو يقطع وقتا زمنيا من الدقيقة أو الساعة أو من اليوم ، وهو مالا يجب بسطه أو طيه داخل المشهد الواحد حتى يحقق الإمتاع ويمكن من المشاهدة ، ويؤدى الغرض منه فى سبر أحداث من القصة ويوضحها ونعرف مجرياتها ، وإنما يتم طيه بين المشهد والآخر فى حال انتقال الشخوص من مكان إلى مكان دون أن يكون فيه موضع حبكة درامية تستأهل كشفا وتوضيحا لتؤدى حاجة جلية فى جسد القصة ، ويستطيع المنتج الإفادة منه لملء زمن القصة سواء فى الفيلم أو المسلسل على شريط التصوير الذى سوف يتم عرضه للمشاهدة منا ٠٠حيث القصة محددة بوقت يستغرق عرضه على المشاهدين ، وهو ما يستغرق وقتا من زمن القصة التى لها طول معين من مشاهد كثيرة لابد أن تتم ، ليس كالزمن الحقيقي ولكنه مشابه له ٠

الزمن فى القصة وهمى ٠

سأضرب مثالا حقيقيا كم وكيف استغرق الفعل فى مدة تقاس بالفمتو ثانية الذى اخترعه العالم المصرى أحمد زويل ٠ ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ

أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل] وهو من قصة سيدنا سليمان عندما أخبره الهدهد أن هنالك قوما بمملكة اليمن التى تحكمها الملكة بلقيس التى لها عرش عظيم ، وهى وقومها يعبدون الشمس من دون الله ، فأراد سيدنا سليمان أن يرى عرشها فطلب من جنوده من باستطاعته أن يأتيه به؟ فجاءه واحد من أهل العلم قبل أن يغمض عينه ويفتحها ، انظر إلى الوقت المستغرق لا تكاد تشعر أنه وقت ، ولا أعرف فى الحقيقة إن كان الفمتو ثانية يستطيع قياسه أم لا على وجه الدقة أكرر أنه فعل حقيقى حدث مع سيدنا سليمان ، فى الحقيقة لا يستطيع أحد أن يحققه إلا من خلال التصوير الفنى الذى تصور فيه المشاهد المتفرقة ثم تجمع بواسطة المونتير، ويظهر مشهد إثر مشهد لا يفصلهما أى فاصل زمني على الإطلاق ، ولكن المشهدين المتتابعين لابد أن يكونا مرتبطين بوحدة زمنية واحدة نهارا مثلا أو ليلا لا مختلفان ، إنه فعل مستحيل ولكنه صار ممكنا لأن الفعل نسب إلى الله ، وأداة التحقيق المقنع أن الله قال إن الذى سيفعله ويحققه واحد من أهل العلم ، قال المفسرون إنه كان يعرف اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به استجاب .

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [طه] يقول فرعون لموسى : سوف نأتيك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدًا محددًا لا نخلفه نحن ولا تخلفه أنت ، في مكان مستوٍ معتدل بيننا وبينك . ويرد سيدنا موسى : موعدكم للاجتماع يوم العيد حين يتزيَّن الناس ويجتمعون من كل فج وناحية وقت الضحى ، انظر كيف يكون بناء المشهد؟ وكيف يكون مسرح المشهد للفعل ؟

إليك المشهد الفعلي الذي يشاهد من جمع كبير من الناس وهو مشهد خارجى نهاراً

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه]

رابعا- الزينة (الديكور)

الديكور يبدعه ذلك التخيل الممكن للرمز من الديكور فيما لا يستطيع المؤلف الإفصاح عنه ، إنالزينة تعبير بليغ تشبيهي تعبيري بالرمز عن شيء يراد به التورية عنه لعدم المقدرة على التصريح به ، مثل الإسقاطات السياسية وغيرها . وكذلك تظهر الفوارق الاجتماعية بين الطبقات للشخوص وحياتهم ، وكذلك هى الأدوات التى تجمل المكان الذى تجرى فيه الأحداث ، وتصور فيه المشاهد ، لتساهم فى صورة جميلة ، وتساعد على استكمال الحوار الذى لا يستطيع الإفصاح عنه بصورة علنية واضحة فتحل قطعة الديكور لتكمل المنتقص عمدا ، وتساعد المشاهد على توسيع إدراكه وتخيله ليكون مشاركا للمؤلف في توضيح المستوى الثقافي والتذوق الفني الرفيع من عدمه بين شخوص الفعل ، وكذلك يجود ويحسن من تحقيق الإبهار والإدهاش من خلال تحريك هذه القطع التى من الممكن أن تؤدى فعلا مبهرا أن تقع فجأة لتؤدى حاجة لشخصية

مأزومة ، أو لتصعب عليها وتساهم فى تصعيب عقبة ، ويستغلها المؤلف ؛ لأن وقعها يتم بتحريك قدري أى بواسطة القوة العليا التى هى الله ، وهنا يكون الفعل مباشرا من قبل أمر وقدرته ومشيئته ، مما يسهم فى الإيمان بالله وبمقدرته على إسعاف المحتاج المتضرع له ، أو إنزال عقابه على مجرم يستطيع التهرب من العقاب المستوجب عليه ، ويكون المشاهد فى شوق لأن يرى عدل الله يتحقق فى مجرم يتهرب بأنواع الحيل من العقاب ٠ مما يعمق بداخلنا الإيمان المطلق بعدل الله الكلى الذى لا يجب أن يتأخر كثيرا عن شوق المشاهدين وتمنياتهم ٠

الزينة لها ثلاثة أوجه :

الأول : الزينة بالنسبة للأماكن التى تدور فيها الأحداث ٠

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾

[الكهف] وهى من قصة أصحاب الجنة أى الحديقة التى جاء وصفها على أحسن ما يكون ، فهى أعطت الصورة الجميلة من مكان جميل وصفه الله بالجنة يجرى فيه الحدث ولكن الجمال لم يكن للزينة فقط ، بل كان يمثل اختبارا لشخوص الفعل ، وهم خمسة من الإخوة ٠ قال ابن عباس: إنه كان هناك شيخ له جنة ، وكان لا يدخل بيته ثمرة منها ولا إلى منزله حتى يعطي كل ذي حق حقه ، فلما قبض الشيخ وورثه بنوه - وكان له

خمسة من البنين- فحملت جنتهم في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملا لم يكن قد حملته من قبل ذلك، فراح الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر ، فأشرفوا على ثمرة ورزاق فاضل لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم ، فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا، وقال بعضهم لبعض: إن أبانا كان شيخا كبيرا قد ذهب عقله وخرف، فهلموا نتعاهد ونتعاقد فيما بيننا ألا نعطي أحدا من فقراء المسلمين في عامنا هذا شيئا، حتى نغتني وتكثر أموالنا، ثم نستأنف الصنعة فيما يستقبل من السنين المقبلة • فرضي بذلك منهم أربعة، وسخط الخامس وهو الذي قال لهم : اتقوا الله وكونوا على منهاج أبيكم تسلموا وتغنموا، فبطشوا به، فضربوه ضربا مبرحا • فلما أيقن الأخ أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارها لأمرهم غير طائع ، فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله أن يصرموه إذا أصبحوا، ولم يقولوا إن شاء الله ، فابتلاهم الله بذلك الذنب، وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه• وانتهت القصة بالخسارة والندم لهم •فإن التوظيف لمكان الحدث كان من أصل القصة ويمثل ذروتها •

﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت] وزيّنا السماء الدنيا بالنجوم المضيئة ، وحفظًا لها من الشياطين الذين يسترقون السمع ، ذلك الخلق البديع تقدير العزيز في ملكه ، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء •

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

[آل عمران] حُسِّن وجمل للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين ، والأموال الكثيرة من الذهب والفضة ، والخيل الحسان ، والأنعام من الإبل والبقر والغنم ، والأرض المتَّخذة للغرس والزراعة . ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية ، ولكـن الله عنده حسن المرجع والثواب وهو الجنَّة.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [لقمان] خلق الله السماوات ورفعها بغير عمد كما نشاهدها ، وخلق للأرض جبالا تثبتها ؛ لئلا تضطرب وتتحرك وتهتز فتفسد حياتنا ، وتقلق مضاجعنا ، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب ، وأنزلنا من السحاب مطرًا ، فأنبتنا به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر وتلطف الجو وتغسل هواءه من الأتربة والعوالق ٠

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان] ألم نعلم نحن البشر- خلق الله- أن الله سخر لنا الشمس والقمر والنجوم لننتفع بها ، وكذلك ما فى الأرض من ثمار وأنهار ودواب ظاهرة فى أحسن صورة وتناسق وتسوية أعضائها ، وغير ذلك مما نلمسه ويصل إلينا علمها أى كما يراها ويدركها كل واحد منا ، فمن يراها زينة يتزين ببعضها فله ما يريد ، ومن يراها طعاما حلالا يأكله ويستسيغه فليفعل إلا ما حرم علينا منها ٠ومن أراد بها جمالا فليتجمل وغير ذلك كثير ٠

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف] مَن الذي حرم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟ ومَن الذي حرَّم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟

كل ذلك من حسن خلق الله لنا فى هذه الدنيا ، حتى نستطيع أن نعيش فيها ونستمتع ، ونحتمل ما فيها من صعاب ، ونلبى ونطيع ما فرضه علينا من فرائض

وعقائد وعبادات ، من أولها إعمار الأرض ، وعدم قطع السبيل فى إعمارها ؛ لأن الله جعلنا خلفاءه فى الأرض ، على شرط ألا تغرينا هذه الزينة وتلهينا طوال الوقت عن ذكر الله وعبادته. ولا نكون عبادا مأسورين منها.

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل] من قصة سيدنا سليمان عندما طلب أن يأتوه بعرش ملكة اليمن بلقيس ، قد جاءه الذى عنده علم من الكتاب ، قال ابن كثير :(إنه آصف بن برخيا ابن خالة سيدنا سليمان ، وقيل إنه رجل مؤمن من الجان وقد جاء بالعرش من مملكة اليمن إليه فى فلسطين فى طرفة عين ، فلما رآه بما فيه من جواهر نفيسة وذهب وحلى ومجمل على أعلى درجة من الزينة والجمال قال لهم نكروه أى يغيرون معالمه حتى لا تعرفه ويستطيع قياس ذكائها ، فلما سألها عنه قالت كأنه هو وهو من ذكائها وفطنتها لأنها لم تتخيل أن ينقل عرشها بهذه السرعة لأنها تركته وراءها فى اليمن وفيه من الحرس ما فيه، وكان سيدنا سليمان أمر ببناء صرح من زجاج به ممر من الماء فيه من دواب الماء ما فيه مثل السمك وغيره ، ومغطى بالزجاج الأبيض اللامع وأمرها بدخول الصرح وهو يجلس على كرسيه يشاهدها فلما أقدمت تدخل لم تحسب أن له سقفا ، لذلك شمرت تكشف عن ساقيها اللتان قال له الجن إنهما ذو شعر كثيف منفر حتى لا يعجب بها ويتزوجها ، وهم يعرفون أن أمها من الجن فخافوا منها باتحاد معرفتها بعوالمهم مع قوة سليمان مما يعود عليهم بمالا يريدونه)

الثاني: الزينة بالنسبة للشخوص بحيث يخدم القصة ويعمق الدراما ، ولا تكون الزينة لمجرد إغراء المشاهد وشده وإغراقه في الزينة التي تحرك غرائزه الجنسية ودغدغة عواطفه الحسية ، وخاصة عندما تكون الزينة للمرأة وهو ما يستغله المنتجون والمخرجون لإغراء المشاهدين ، وأول ما يبحثون عنه وهو مالا يجوز فعله على الإطلاق إلا في حدود الإغراء الذي يكون موضع حبكة درامية بمعنى أن يصنع أزمة لشخوص القصة أنفسهم لا لنا نحن المشاهدين، ولكن الزينة تستعمل للشخصية لتغرى شخصية أخرى داخل المشهد ، وتؤدى توترا دراميا وصراعا نفسيا لشخوص الفعل مما تعكس علينا ترقبا وانتظارا وتوجسا ، لأننا من الحتمى إن كان البطل هو الشخصية التي تغريها وتثيرها بفتنتها وزينتها الشخصية الأخرى ، فإننا نستشعر الخطر ونخاف عليه أن يقع في الرذيلة ويستجيب لغريزته التي تبدأ في الفوران من جراء الإغراء له.

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف] من قصة سيدنا يوسف في مشهد المراودة الذي جاء على أحسن ما يكون الإغراء ليوسف من زليخا ، وجاء ليصنع أزمة كبرى وتعقيدا دراميا ما بعده تعقيد ، لقد جاء ابتلاء واختبارا لسيدنا يوسف وهو في قوة شبابه وفوران عواطفه من سيدة لها من الجمال ما لها وقد زينته بكل ما تملك من زينة ، ومن المكانة أيضا ،

وبما لها عليه من سلطة وتعتبره ملكا لها ؛ لأن زوجها اشتراه مما يعني أنه مملــوك ليس حرا في اختياره وفعله .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص] قصة سيدنا موسى وتخص خصمه قــارون ، ذكر المفسرون أنه خرج في تجمل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم ، فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله ، وغبطوا بما عليه وله ، فلما سمع مقالتهم الزهاد والعلماء ذوو الفهم الصحيح ، قالوا لهم : ثواب الله في الــدار الآخــرة خير وأبقى وأجل وأعلى . هاهي الزينة للشخوص تؤدى أزمة دراميــة وفتنــة بــين شخوص الفعل نفسه ، وعقبة في طريق البطل الذى هو سيدنا موسى حيث فتن بعض من آمن به وهو الذى يجاهد معهم من أجل أن يؤمنوا بالله ويعبدوه.

الزينة بالنسبة للشخوص من الممكن أن تساهم في تغيير الشخصية وتنكرها إلى غيــر حالها وطبيعتها بشكلها المعروف . والمثال على ذلك من قصة سيدنا موسى حيث ذكر ابن كثير وقال : عندما قضى موسى عشر سنين بأرض مدين واستوحشه أهلــه أمــه وأخته وأخوه هارون وأراد أن يزورهم وهو عليه حكم بالذبح من قبل فرعون تخفــى حتى لا يعرفه أحد .

الثالث : الزينة بالنسبة للحوار .

نعم للحوار زينة ، زينته اختيار الكلمات والجمل والعبارات العامية الجميلة المحببة الراقية ، لا الدارجة السيئة التى تؤذى الأذن والعين المستغرقة في المحلية المحــدودة غير المعروفة للكثير من أهل اللغة الواحدة ، فلا يجب مثلا أن أســتعمل فــى لهجــة الحوار لهجة محلية من أهل الصحراء في الجزائر مثلا ، ثم أعرض القصة على كــل

دور العرض أو المسرح أو التلفاز للعرب جميعا ٠ كذلك تجميل الحوار بالشعر الـذى يضفى موسيقى ناعمة جميلة متولدة من تبادل الحوار الشعري الموزون المقفى الـذى يخلق موسيقاه من كناياته وسجعه وطباقه وتوريته وحسنه ، مما يكون محببا للأذن أن تسمع ، ومعلما ومدربا للسان أن ينطق ويتجمل ويعتدل ويستقيم ، وبذلك ترقـى لغـة الحوار بيننا وتخرجه من وضاعته وما استجد من تعبيرات وكلمات غريبة حتى عـن اللغة التى تضعفها وتساهم فى محوها ، وتأصيل العولمة بلغة مغايرة وثقافـة جديـدة يريدونها أن تسود وتكون لها الحظوة والغلبة ، ونحن بدورنا نساهم فى ذلك بتغريـب لغتنا عند استعمالنا تلك الكلمات الجديدة بدعوى أنها الواقعية ولغة الشباب الجديـدة ، ولو كانت كذلك فلا يجب عليك الاشتراك فى تغريبها بل فى إحياءها باستعمال مفرداتنا وكلماتنا السهلة البسيطة الميسرة الجميلة بدمجها بأمهـات الكـلام الفصـيح مسـتغلا شخصياتك ذات المكانة العلمية والاجتماعية التى حتما قصتك لا تخلو من واحدة منها ، أو مستغلا قصص الحب التى لا غنى عن أى قصة منها ، فليس هنالك شاب يحب ولا يقرض الشعر بأى شكل من أشكاله حرا كان أم عموديا مقفى ، وإن كنت تفتقد ملكـة الكتابة الشعرية استعن بشعر الشعراء ، وحكمة البلغاء ، وفلسفة الحكماء٠

٥- المؤثرات الصوتية

هي مواد خارجية متنوعة غير مرئية ولكنها محسوسة من خلال صـداها الـذى يسمع ، أو رؤية آثارها ونتائجها ومحدثاتها على شخوص الفعل الذين يتأثرون به سواء كان سلبا بأن يساهم في تعميق أزمة أو مشـكلة أو عقبـة تواجـه الشخصـية ، أو بالإيجاب من خلال التيسير على الشخصية بأن تلهمها بحل ما أو تنبهها بخطـر مـا يهددها فيساعدها على عبوره ، وعلى المشاهد أيضا الذى تلفت نظره إلى شـيء مـا تعينه على فهم أعمق لما يراه ٠ وكذا تكون بمثابـة اسـتكمال حـوار يقـال بـين الشخصيات بصمت تقوم المؤثرات بدور الحوار المكمل بينهمـا ، أو التعبيـر عـن المكنون الداخلي لما يختمر فى العقل و بما يفكر فيه الشخصية ٠ أو إيحاء لشيء مـا

يراد التعبير عنه يؤدى غرضا ما لا يراد الإفصاح عنه لسبب ما من الموانع الرقابية أو الدينية أو السياسية أو غيرها من الموانع التى تتحكم فى المناخ الإنتاجى ، ويتمثل عظم جدواها من التكثيف الدرامى للحدث المشاهد بصورة موحية تعظم من تفعيل الأحاسيس وتنشيطها وإيقاظها لتثير المشاعر وتجعلها على أهبة الاستعداد لتلقى ما يحدث بهمة ونشاط غير عاديين ، مما تعمق الربط بين شخوص الفعل والمشاهدين لهم ، وهذا من شأنه التواصل والارتباط بمن يفعل مما يحقق أكبر قدر من الإمتاع المطلوب .

وتنقسم المؤثرات التى لا يضعها المؤلف بل يشير إلى موضعها عند موضع الحبكة:

١- مؤثرات صوتية طبيعية من مخلوقات الله الجمادية أو الحية العاقلة أو التى لا تعقل.

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ [يوسف] يوسف فى الجب ينتظر فرج الله ، ومن المتوقع أنه هالك لا محالة لأنه فى بئر فى الصحراء التى لا أنيس فيها ولا جليس ، ثم يسمع صوت سيارة والسيارة هنا ليست بالمعنى المعروف ولكنها صوت جحافل قافلة ، والقافلة عادة فى هذا الزمان تكون من الإبل أو الجياد التى تحمل مسافرين ، فنشعر نحن ونحس ببداية الانفراجة المقنعة لنا ، وذلك من غير تفسير من حوار ، بل نحن الذين نصنع الحوار المنتقص والذى نجده يتحقق من خلال استشرفنا من المؤثر الصوتى الذى نسمع .

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ [البقرة] وهو يقصد بالنعيق صوت البوم والغراب المنفر ، وهى تورية بالتعبير بطائر ذى صوت مذموم مكروه عن إنسان غير مؤمن كافر بأنعم الله مذموم ، للحط من قدره

والسخرية منه بأكثر مما تحتمل كلمات الوصف الحوارية ، مما يعني تشبيه الكافرين باللبوم والغربان .

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة] شدة الصوت واللمعان الذي يزجره الرعد يؤثر على السمع ويؤدى غرضا حواريا مؤثرا برسالة ما مخيفة أو مطمئنة ، كمثال حالَ جماعة يمشون في الصحراء ، فينزل عليهم مطر شديد يصب صبا، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض ، مع قصف الرعد ولمعان البرق ، والصواعق المحرقة التي تجعلهم من شدة الهول يضعون أصابعهم في آذانهم ؛ خوفا من الهلاك .

الأصوات المخيفة ،الرعد يؤثر على الإبصار والسمع فيؤدى حوارا مخيفا وإحساسا بالرعب والخوف والتيقظ والاستعداد . يقارب البرق من شدة لمعانه أن يسلب أبصارهم ومع ذلك فكلّما أضاء لهم مشَوْا في ضوئه ، وإذا ذهب أظلم الطريق عليهم فيقفون في أماكنهم . ولولا إمهال الله لهم لسلب سمعهم وأبصارهم ، وهو قادر على ذلك في كل وقتٍ إنه على كل شيء قدير.

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء] الاستفزاز والإخافة والوسوسة والاضطراب توحي بالشيطان الذي هو عدو مبين للإنسان ، وهو إحدى القوى المعلومة المصارعة للبطل ولكنه غير ظاهر .

الأصوات المحببة المطربة المجملة مثل تغريد الكروان وزقزقة العصافير وخلافه والتى من الممكن أن نستنطقها فى مشهد مستحيل ونجعله ممكنا ، مثل الببغان أو التى تقوم بعمل ما وتطيع الإنسان الذي يأمرها مثل مروض الأسود وغيره .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾

[النمل] والمقصود سيدنا سليمان الذي مكنه الله من فهم ومخاطبة الطيور وغيرها ، وكان عنده هدهد متميز معروف فلم يجده فقال : ما لي لا أرى الهدهد الذي أعهده ؟ أستره ساتر عني أم أنه كان من الغائبين عني فلم أره لغيبته؟ ولما جاءه الهدهد قال له لقد عرفت ورأيت ما لم تعرفه ولم تره أنت من مدينة سبأ باليمن بخبر أكيد و خطير الشأن ، وأنا على يقين منه .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف] إنه حال عالم من علماء بنى إسرائيل آتاه الله العلم فلم ينتفع به ، بل كفر بما علم واستعمله فى الشر وكسب منافع الدنيا من أجل المنزلة العالية التى وعده بها الجبارون فهوى ، وشبهه الله بالكلب الذى فى حال الحمل عليه

يلهث ، ومن غير حمل يلهث أيضا ، وهى فى مجملها صورة مقززة للعالم الذى لم ينفع بعلمه الناس والوطن.

﴿ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ ﴾ [الملك]

عبر عن قوة وشدة النار بأن لها صوتا يزمجر كالشهيق الذى يستنشقه متألما لا يستطيع استنشاق الهواء مما يحدث صوتا يوحي بالخوف والألم والصعوبة الشديدة حتى إنه يحدث حشرجة بالحلق يسمع.

٢- مؤثرات صوتية مصنوعة من إبداع الإنسان:

وهى المؤثرات الموسيقية أو الغنائية التى تكمل الحوار المنتقص لتعمقه ، وتؤدى دورا مهما أعمق من الكلمات وما تحمله من معان لتحريك العقل الذى ينشط الأحاسيس ويدفعها إلى استنباط معان أخرى تدفع المتفرج إلى إيجادها حسب تخيله ، مما تساهم على الإثارة والتشويق وفرض الدلالات التى يستنتجها ويصوغها المشاهد فى عقله لما له من إمكانية الحدوث المتوقع وقراءة الأحداث بأكثر من منظور وتجعله يخيل له أنه يساهم فى تأليف القصة بدعوى أنها تسير فى أجزاء منها حسب تخيله وما فكر فيه ، مما تعمق بداخله ميزة الإبداع التى يفتقدها فى الحقيقة ، والتى من شأنها أن تشعره بالتفوق والتشريف ، وتنمى بداخله موهبة الإبداع وتخلقها بداخله مما تدعوه إلى مواصلة المشاهدة باهتمام ونهم ليتعلم كيفية التخيل والإبداع .

المؤثرات من تأثيرها على شخوص الفعل لتيسر عليهم أزمة ما مثل الحزن الذى يغلف الشخصية فيترامى إلى مسامعه صوت حنون دافئ متدفق من مصدر ما فيسمع بتأمل مما يسحب من رصيد الحزن بداخله ويفتت هذا الرصيد بقوة ناعمة ، وتصرف قيمته لها مما يشعره بالراحة أقلها رفع الحزن الوقتي مما يساعده على التفكير السليم ومواصلة طريقه وهو يعيه . أو تصعبه عليه أزمة ما يواجهها كحال من يخاف من

مصارعين يطاردونه وهو يتخفى فيأتي المؤثر ليزيد من خوفـــه ووجلـــه ، وخوفنـــا واضطرابنا نحن أيضا مما يزيد من التكثيف الدرامي .

المؤثرات من شانها أيضا أن تخلق أزمة كبرى لشخوص الفعل نفسه ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأعراف] وهو مشهد من قصة سيدنا موسى ، عندما صنع السامرى من حلى الفرعونيين الذى أخذه بنو إسرائيل عندما أمروا بالخروج من مصر إلى فلسطين – صنع السامرى لهم منه عجلا يصدر صوتا حتـــى يغـــريهم ويضـــلهم ليعبدوه من دون الله ويتخذوه إلها ، وفعلا عبده بعض بنى إســـرائيل الـــذين حكـــم الله عليهم ليتوب عليهم من عبادته أن يقتلوا أنفسهم وقد فعلوا . وتمثل عبادتهم للعجل أزمة بين الشخوص ، وأزمة فى طريق البطل موسى .

الفصل السادس

قواعد القصة الفعلية المأسملهاة

الصراع ـ الحبكة ـ التغير - التحول

الصراع

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة] حتى فى الجنة وبين الملائكة يوجد الصراع ، فسيدنا آدم وحواء كانا يعيشان فى الجنة ملكين مرغدين حتى أذلهما الشيطان ، وهو العدو الأول للإنسان وسبب الصراع الأول لأنه عدو له يظهر عداوته بتحدي له وأمام الله أقسم . تقرير من الله وقضاء وقدر وأمر منه أن خلق وأوجد الصراع بين البشر ، وهو أمر مفروض مستوجب واقع لا محالة فيه ، ولا قبل لأحد بدفعه إلا بمرضاة الله وطاعته بعد تحمل قسط كبير منه لأن الإنسان خلق فى تعب وشقاء ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد] والتعب والشقاء يتأتى من سعى الإنسان وعمله وجهاده من أجل إعمار الأرض ليعيش سعيدا متمتعا بالحياة معمرا ومستخلفا فيها ، وهو هدف الناس جميعا ،

وبما أنه مشترك للجميع وبما أن الإنسان لا يعيش بمفرده بل في وسط آخرين لكونه اجتماعيا بطبعه وهذا يولد الصراع ويخلقه ويزيد من لهيبه • هذا هو الصراع في الواقع ، وكذلك يكون في القصة التي هي جزء من الحياة ومن الواقع لأن شخوصها مفترض فيهم أن يكونوا بشرا من لحم ودم •

﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف]

أوجد الله العداوة بين البشر كما أوجد التعاون بينهم في آيات أخرى ، وحتى التعاون يخلق الغيرة والحقد والتنافس ومحاولة إثبات التميز والتفوق والتسلط والتسيد مما يحيل التعاون الظاهرى إلى صراع خفى ذاتي من الممكن أن يطفح إلى الخارج في أى لحظة يحين فيها الاختلاف ، والعداء يخلق الصراع المستمر على الأرض التى يعيش عليها الإنسان ولا يستطيع أن يعيش بعيدا عنها ، أو على شيء آخر ، لأنها المكان الذى خلقه الله وأعده ليعيش عليه ما خلقه وفضله ، وهو الإنسان الذى زين له هذه الأرض بما تخرجه من بطنها من زرع وماء وغيره ، وأنزل له ماء من السماء ليساعد الأرض على أن تخرج ما فى بطنها من نعم وملذات ينعم بها الإنسان ، وهذه الملذات وتلك النعم هى موطن الصراع وسبب نشوء العداء لأن كل واحد يجب أن يستأثر بها لنفسه دون غيره•

﴿ • • • وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان]

التفاوت الطبقي من حيث المكانة والمنزلة والرفعة والمال والجاه والسلطان ، وبين التدني والحاجة والعوز والفقر والمذلة ، وبين العلم والجهل ، وغيره ، إنما من شأنه أن يخلق عداوة وصراعا ينشب جراء الحقد والحسد والكره والغيرة إلى غير ذلك•

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه] ولكن من يريد أن ينجو من هذا الصراع الحتمى وينجح فى دحره والتفوق على مصارعيه لا يكون إلا بطاعة الله واجتناب نواهيه ، حينهـا لا يضل الإنسان ولا يعيش شقيا ، بل يتمتع بالسعادة والنعيم .

ويعتمد الصراع على :

- الاستمرار من القوة إلى الضعف ، ومن الضعف إلى القوة .
- السجال من الغلبة مرة والمغالبة مرة أخرى.
- التصعيد من الهوادة إلى الاشتعال والذروة ، ثم من الذروة إلى الهوادة والخمول.
- المفارقة فى المكانة بقوة الضعف وضعف القوة .

إذن الصراع هو أساس من أسس استمرار الحياة والبشر بالطبع وسنة من سـنن الله فى خلقه ، ولمن يريد أن يكتب عن الإنسان لابد من الصراع ففى القصة هو مـن بين أهم أسس الفعل فلا فعل بدون صراع ولا صراع بدون حاجات ولا حاجات بدون شخوص ؛ وخير دليل على ذلك أن عدو الإنسان ومصارعه هو الشيطان ومن علـى شاكلته من البشر أنفسهم ، والصراع مع الشيطان صراع خفي باطن ذاتي محصور فى الخير والشر والطاعة والمعصية والإيمان والكفر، والصراع مع الغيـر مـن النـاس صراع ظاهر معلن ذاتي وجمعي فى كل شيء.

إذن الصراع هو وقود وعماد من أعمدة القصة وسبب الإقناع والتشويق والإثارة ، ودفع الأحداث نحو الأمام ؛ لأن الوقود أيا كان من خواصه توليد طاقة دفع

أنواع الصراع:

صراع داخلي ذاتي شخصي • داخل الشخص نفسه فى عواطفه ، ومشاعره ، أحاسيسه ، نزواته ، غرائزه ، شهواته • عقيدته ، معتقده ، عقله ، قلبه•

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) ﴾

[الصافات] وهى تخص سيدنا إبراهيم وواضحة وجلية ، فلم يكن سيدنا إبراهيم ينجب حتى بلغ به العمر الثمانين كما قال المفسرون ، ثم من الله عليه بالولد ، ثم أمره الله أن يذبحه ، وأتركك لخيالك وتصورك فى هذا الصراع الذى لا يوصف ، صراع داخلى بكل ما تحمل الكلمة من معنى يعجز الوصف عن وصفه•

صراع خارجي ظاهر ، فردي ، أو جمعي•

بينه وبين شخص آخر ، أو شخوص آخرين ، ويفضل أن يكونوا متغيرين لا ثابتين من أول القصة إلى آخرها هم هم من يصارعون البطل •

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) ﴾ [الأنبياء]

مسببات الصراع وطرفاه : و يكون بين المثانى المتضادة:

الخير والشر ، العلم والجهل ، الحق والباطل ، الأقوياء والضعفاء ، الحاكم والمحكوم ، المحسنين والمسيئين ، الغيب والواقع ، المتقين والكافرين ، الهدى والضلال ، المفلحين والخاسرين ، الثواب والعقاب ، الصدق والكذب ، الصلاح والفساد ، النور والظلام ، الهدى والضلال ، القطع والوصل ، الوفاء والنقض ، الموت والحياة ، الإنسان والشيطان البناء والهدم ، الصبر والتسرع ، الحب والكره ، النعمة والنقمة ، المنح والمنع ، القبول والرفض ، النصر والهزيمة ، العصيان والطاعة ، القسوة والرحمة ، الطمع والقناعة ، السر والعلانية ، المكسب والخسارة ، العالم والغافل ، الصداقة والعداوة ، القبول والرفض ، الخوف والأمن ، الضار والنافع ، الإظهار والكتمان ، الجوع والشبع ، الخلود والموت ، الحلال والحرام ، البيع والشراء ، العذاب والمغفرة ، القرب والبعد ، الأبيض والأسود ، البؤس والنعيم ، الحب والكره ، التواضع و الاستكبار ، العدل والظلم ، الجحود والوفاء ، الإحسان والإساءة ، الإصلاح والإفساد الإيمان والكفر، الحب والغيرة ، الهداية والمعصية ، التسامح والجبروت ، الأسياد والعبيد ، الوفاء والخيانة ، الغنى والفقر، السخرية والتواضع ، العدل والغش ، الصدق والكذب .

الحبكة

الحبكة هى حسن البيان والترتيب وربط الأحداث والمشاهد بعضها ببعض ؛ بعلة سببية مستحيلة ممكنة، أو حتمية أو محتملة الحدوث والتصديق لحسن صياغتها وإبداعها وأدائها لتلمسها المواجيد النفسية ، وما يتماشى مع المواقف المطوية فى النفس البشرية ، التى تناسب الفطرة السليمة للإنسان الذي ميزه الله بالعقل الحكيم السليم ، وما يتناسب مع القوانين الربانية الكونية ، وتكون سببا وقاعدة ولها تطبيق و نتيجة وشرط وجواب شرط ، لتناسب العقل البشرى وتوافقه وتحكمه ويحكم بها ، الحبكة هى

الإجابة التامة المفسرة الشافية لنا من كل الأسئلة لماذا بكل ما تحمله من تفسير وتعليل ، وتنتظر إجابات ومبررات عما يحدث ولماذا يحدث، وهى المبررة المعللة المقنعة لكل أفعال وأعمال وأقوال الشخوص ، وهى الجاذبة المقنعة الممتعة ، التى توافق الإقناع العقلي والعاطفي والنفسي والسني لنا، وهى المحلل لانتقال الشخصيات من لقطة إلى مشهد ، ومن مشهد إلى آخر ومن سبب إلى نتيجة ، ومن مفعول إلى فاعل ، ومن زمن إلى زمن ، ومن مكان إلى مكان ، ومن ابتلاء إلى زلة ، ومن عقدة إلى يسر، ومن يسر إلى حل ، ومن بداية إلى نهاية ،

إذن الشخصية و الفكر والفكرة هى التى تحدد عظم الفعل أو رداءته ، ونجاح الشخصيات فيه أو فشلها ، وصواب الفكرة أوخطأها، وما يقوم بترتيب الفعل وتنظيمه وتحسينه وتجويده وجعله أكثر إقناعا لنا بربط أجزائه بعضها ببعض برباط قوى مبنى على الاحتمال أو الحتمية ، فإن لم يكن الفعل محتمل الحدوث أو حتمي الوقوع فما قيمته وكيف تنتقل الشخصيات من فعل إلى فعل على أى أساس ، إذن هى الحبكة الجيدة ،

التغير

التغير هو الانتقال من حال إلى حال ٠٠من الشقاء إلى السعادة ، من الأسوأ إلى الأحسن ، من العسر إلى اليسر ، من رد الفعل إلى الفعل ، من الخسارة إلى المكسب ، من الحزن إلى الفرح ، من الفشل إلى النجاح ، من الحاجة إلى تحقيق الحاجة ٠٠فما من شيء عاقل يقوم بفعل وعمل إلا وينتقل من حال إلى حال ، وكذلك القصة الفعلية ، إنه فعل يقوم به شخوص والفعل كفيل بإحداث التغير فى حظ حياة شخوصه ومن يقومون به، ألا ترى أن الأرض الجرداء الصحراء ماذا يحدث فيها إذا نزل عليها المطر أو جاءها الماء من أى مكان ، إنها حتما ستنبت وتخرج ما فى بطنها من خير ،

فهي قبل وقوع الفعل عليها من الماء كانت جرداء لا زرع فيها ولا ماء وتستحيل فيها الحياة ، وبعد الفعل ألا وهو المطر تصير خضراء زاهية بهـا المأكـل والمشـرب والحياة، كذلك حال الإنسان الذي يجلس عاطلا فهو لا يستطيع أن يحقق شيئا سـواء يصل إلى حاجته ؛ لأنه يفتقد الأدوات أو يحقق هدفه فهو يفتقد الهدف ، وعندما يقـوم فالفعل ألا وهو العمل ، تتغير حياته ويصبح قادرا على الحصول على حاجته ويحقق هدفه الذي تولد .

إن من حكمة الله فى القصص التى أنزلها فى القرآن على سيدنا محمـد لتثبـت فؤاده أى تغير حاله من الروع والخوف إلى الطمأنينـة والأمـن . يقـول الشـيخ الشعراوى:(إن القصص نزلت على الرسول لتثبت به فؤاده ؛ لأن الفؤاد عرضة لأن تهزه الأهواء ، وإن الرسول سيواجه أحداثا جساما كثيرة ومع كل حدث ينزل الله عليه قصة أو لقطة من القصص لرسل قبله حتى يثبت فؤاده ويطمئنه وينزع الخـوف مـن قلبه ، أو يقول له سبحانه وتعالى إذا حدث لك كذا فتذكر موسى ، تذكر يوسف وهكذا مع كل حدث يحدث له) وكما القصة حق واقع وأناس كافحوا فى الحقيقة وليس مـن خيال . وهذا يؤكد قولنا أن الفعل إن وقع فهو لابد أن يحدث تغييرا فى حياة من يقـوم به من حال إلى حال . وفى القصة الفنية المأسملهاة يكون التغير الحتمى لا غيره مـن حال الشقاء إلى حال السعادة كما هو حال الأنبيـاء والمرسـلين عنـدما كلفهـم الله بالرسالات وأخذوا يفعلونها ويؤدونها .

بالقيام بالفعل يتغير حال حياتهم إلى :

فمنهم صاحب النفس المطمئنة من تغير حظ حياته من الشقاء إلى السعادة ، وهو حال كل الأنبياء والرسل جميعا - حتى سيدنا عيسى بنص القرآن - وهذا النوع من أفضلهم .

فى يوسف بعد الإلقاء فى الجب والبيع كالعبيد والسجن ، هذا هو الشقاء فى نصف القصة الأول المكون من البداية والابتلاء والزلة ، ثم العقدة التى يتم منها التغير إلى السعادة بالانفراجة والتعرف و النهاية، وزير فى دولة مصر العظيمة الكبيرة ويسجد له إخوته ووالداه ، وينالون المكانة والرخاء والعزة بسببه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [يوسف]

ومنهم صاحب النفس المطمئنة وتتغير حال حياته من السعادة إلى الشقاء وهذا النوع من أردئهم وأسوئهم على الإطلاق ، إلا إذا تحول مرة أخرى من الشقاء إلى السعادة .

أما غير ذلك فهو مستقبح ومرفوض ؛ لأنه لا يرضى ضمائرنا ولا نفوسنا ولا مشاعرنا ولا أخلاقنا ولا إيماننا ، بل يؤذيهم و يصدمهم، ويجعلنا نشك ونستريب فى أفعالنا الخيرة وعقيدتنا السامية ومن نقتدي به لأنه لا يستحق ذلك المصير التعس المؤلم على الإطلاق ويخالف شرع الله لأننا سنشفق ونخاف ونتأثر ونبكى معه وعليه ، ولكن لن يخلصنا ولن يطهرنا من مخاوفنا وآلامنا وأمراضنا بل العكس ،لأننا لن نشعر بالأمان ولا بالاطمئنان ولا بالراحة النفسية ولا بالسعادة ؛ لأن الحزن هو أحد مظاهر الكآبة النفسية وانعكاس عضلي لها يرتسم على عضلات الوجه أو العيون ولو بدون بكاء وتشنج ولربما ينعكس على العاطفة أيضا فيزيدها تأججاً لتفشي وتفضح كوامنها المكبوتة ، وكثيرا ما يقترن ضيق النفس بالحزن والكآبة ويترادفان معا فحيثما وجد الضيق وجدت الكآبة والحزن معا وبالعكس • لن يكون هنا إمتاع ولا سرور ولا غبطة

ولا تسرية ، بل غضب وحزن وكآبة وهي عوامل تصيب بالمرض وتهدم البشرى والسعادة والفرح والتعلم والنصيحة والاقتداء ، وتحقق التنفير ، وهى بذلك أبعد ما تكون من أهداف العمل الفني المأسملهاة على الإطلاق ، حتى ولو كانت مطابقة للواقع لا مشابهة له ، فتبا للمؤلف الذي يأتى بمثلها ويقول إنه الواقع وإن الشر فى بعض الأحيان ينتصر على الخير ويقهره ويذله ، وإن كان ذلك فيه بعض الصحة ، ولكن أنت مخطئ لأنك لا تنقل الواقع بحذافيره بل تمثله وتجمله فى عيوننا حتى يكون لنا القدرة والاصطبار على تحمله فنحن نعيشه ، وسأضرب لك مثلا حيا فى قصة سيدنا موسى فى الجزء الثاني منها، حيث فى الجزء الأول انتصر الخير على الشر وكان مع موسى أخوه هارون وبنو إسرائيل وانتصروا وغرق فرعون وقومه. أما الجزء الثاني منها عندما عصاه قومه وكفروا بأنعم الله أى انتصر شرهم على خير موسى وما يأتي به ومات موسى قبل أن يحقق هدفه ببسطه سلطانه على بيت المقدس ، والله تعالى لم يكتب هذه النهاية لقصته بل قبل أن يموت موسى قيض الله له تلميذا وهو يوشع بن نون وقد أعده موسى وعلمه ورسم له خطط المعركة وكتب له أسماء النقباء وأسماء المقاتلين من بنى إسرائيل الذين سينتصر بهم ، وفعلا انتصر بهم يوشع بن نون للدرجة التى طلب من الله أن يؤخر له الشمس عن المغيب ، وقد استجاب الله له وحبس الله له الشمس حتى يتمكن من دخول بيت المقدس قبل طلوع شمس يوم سبتهم المحرم فيه القتال عليهم وانتصر، وانتصر الخير وبسطوا سلطانهم على بيت المقدس تحقيقا لهدف سيدنا موسى فى حكمة لا يعلمها إلا الله أن موسى نفسه هو الذي لم يحقق ذلك بنفسه. إنني أرى بجلاء أن هذا حدث ليكون عبرة لنا ولمن يكتب القصص كيف ينتصر الخير مهما ذاق من مرارة الشر وتفوقه وانتصاره لكن مآله إلى الخسران فى نهاية الأمر، وكيف تنتهى القصة بسعادة للبطل ولنا نحن،كل ما أريد التأكيد عليه أن الله لم ينه قصة بنى إسرائيل مع موسى إلا بانتصار الخير وانتصار الحق والسعادة والفرح حتى بعد موت الشخصية الرئيسية. وعليك أن تقتدي بذلك وتتعلمه ودع عنك أى مقولات أخرى أو فلسفات من الوجوديين

الذين يتشبثون بالواقع ويدعون أن الواقع فيه الشر ينتصر . أنت تصور الواقع وتحاكيه كما ينبغي أن يكون ، لا إلى ما هو كائن ، فنحن نعيش فى الحياة ونعرفها فما الداعي أن تنقلها لنا فى عمل شاق ويتكلف ملايين ، وما دورك أنت والمخرج والممثلون فلا داعى لكم وليذهب أى واحد محترف للتصوير ويصور الناس فى الشارع والبيوت كما هم ، ثم يعرضها كما هى على الناس ، أيقبل على مشاهدتها أحد ؟!! أيستفيد ويتعلم ويتعظ منها أحد ؟؟!! أجب أنت .

التحول

التحول يُنتَج من التعرف ويكون :

من الكراهية إلى الحب ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

[يوسف] إخوة يوسف يتحولون من الكراهية والحقد والحسد إلى حب وإكبار واحترام لأخيهم الذين أرادوا قتله ، وذلك بسبب الانتقال من حالة الجهل إلى حالة العلم .

التحول يُنتِج الانقلاب من الضد إلى الضد من الشر إلى الخير من الشيء إلى عكسه تماما . ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢)﴾ [الأعراف]

التحول فى القصد والنية من الفعل إلى عكسه :

(قدم عمير بن وهب الجمحى من مكة إلى المدينة ودخل إلى الرسول فى المسجد ليقتله وهو يشهر سيفه فقال له النبي : ما جاء بك يا عمير؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي فى أيديكم فأحسنوا فيه ، قال : فما بال السيف فى عنقك ؟ قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا. قال اصدقنى ، ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك .قال بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بيني وبين ذلك . قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذب بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما آتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق" . هذا فعل حقيقى تحقق فى الواقع مع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ونستخلص ونستدل منه على :

الفصل السابع

قوانين القصة الفعلية

سبب ونتيجة

حتمي ومحتمل

فعل ورد فعل

عقد وحل

السبب والنتيجة

كل فعل لابد أن يكون له رد فعل نتيجة حتمية التحقق ، أو محتملة الوقوع ، سواء كانت فى القريب العاجل ، أو المستقبل البعيد ، وكلما كانت النتيجة بعيدة الحدوث سواء فى الفترة الزمنية ، أو بعيدة تخيل حدوثها ، كل ذلك يخلق جوا من التشويق والإمتاع والغموض المقلق ، الذى يبنى على عكس توقع المشاهد فى بعض الأحايين الكثيرة ، وعلى توقعهم وما يشتهون وما يتخيلون حتى لا تقهرهم ولا تحزنهم ولا تصفهم بالغباء والجهل مما يشعرهم بالنفور والبغض مما يشاهدونه ، فتسرب بداخلهم شعور بسبب يقطعهم من التواصل ، وبذلك تفقد أحد مسببات التأثير والشد والجذب لمشاهديك .

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف] وهو سيدنا موسى وفتاه يوشع بن نون إبان بحثهما عن سيدنا الخضر عند البحر الأحمر، وكانت علامة الاستدلال على

المكان الذي سيقابلان الخضر عندما يعود الحوت المشوي إلى الحياة وينزل إلى البحر ولم يستدلا على المكان بسهولة ؛ لأن يوشع نسى أن يخبر سيدنا موسى ما حدث للحوت هذا سبب ، والنتيجة عادا يمشيان من نفس الطريق الذي أتيا منه حتى يقابلا الخضر .

﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الصافات] وهو سيدنا يونس عندما ألقى فى البحر فبلعه الحوت ، فلولا أنه كان من المسبحين الذاكرين لله والمتضرعين له هذا سبب ، النتيجة أخرجه الله من بطن الحوت وهو ضعيف البدن فى أرض خالية من الشجر وغيره .

الحتمي والمحتمل

قلنا إن القصة مثل القطار تنطلق من محطة إلى أخرى ، والقطار يسير بقوة دفع وهى الوقود الحتمى له ، ولكن بدون وقود هل يسير القطار ؟ ستقولون لا ، ولكنه من المحتمل أن يسير وذلك يتأتى من خلال قاطرة أخرى تجره أليس هذا محتملا ، نعم محتمل بل فى بعض الأحيان أكيد . كذلك الحال بالنسبة للقصة أن تبنى الأفعال التى يقوم بها الشخوص كى تكون هى وقود القصة ومادة الحبكة بها الحتمية ، ويظل تفكير الشخوص من احتمالات أمامهم واختيارات بما يريدون فعله هو محتمل الحدوث فى الحاضر الآني أو المستقبلي القريب أو البعيد ، وهو الأفضل للمؤلف أن يتبعه ويبنى عليه قصته حتى لا يكشف أسرار خيوط القصة ويعريها للمشاهدين ، مما تفقدها عناصر التشويق والغموض والإثارة التى تربط المشاهد بمجريات القصة ، وهذا لا يمنعه من استعمال الحتمي عندما يريد تعزيز موقف درامي مهم يؤدى تعزيزه إلى نتيجة حتمية يريد المؤلف أن يؤصلها لأنه سيبنى عليها أحداثا أخرى حتمية الوقوع يتوقعها المشاهد ويتأكد من حدوثها ، ولكن

حينها يقع مـا لـيس فـى تخيلـه ومـا يتوقعـه ، ممـا يكـون عامـل حيـرة كبيـرة تجعـل المشـاهد يحتار ويعاود التفكير مرة أخرى فيما كان محتملا ولم يعول عليه كثيرا ، فإذا به هو الذى يحدث مما يكون مفاجأة مذهلة له ، تحمله على المشاهدة يتفحص بتركيز فيما يشاهده ٠

الحتمى هو ما يتوجب على البطل فعله من طرق يسلكها أو عمل يعملـه ليحصـل علـى حاجته ويحقق هدفـه ، دون ميل أو مواربة ، ولكنـه لا يكـون أكثـر إقناعـا لأن الطـرق فـى العادة ليست جميعها ممهدة سهلة ميسرة حتى ولو كانت الحسابات فى منتهى الدقة والتنفيذ فى غاية الحزم ، لأن هنالك آخرين يصـارعون البطـل ويحـاولون منعـه مـن الوصـول إلـى حاجته ، ومن الحتمي أنهم لن يتركوا لـه الساحة خالية يصول ويجول فيها ، بـل هـم يقفـون له بالمرصـاد ويمتلكون من التفكير والاحتمالات والاختيارات ما يمتلكهـا هـو ، ممـا يجعـل الطريق ليس ممهدا والحسابات ليست جميعها على صـواب ، حيث يكسرها عامل المفاجأة واختلاف التوقيت ، والإصرار من كلا الطرفين ، ممـا يحـتم التصـادم والصـراع ويغيـر الخطـط وإعـادة التفكيـر واختيـار طـرق أخـرى وتغيـر مـا هـو معـروف إلـى مـا هـو لـيس معروفا ، مستعملا المراوغة والخداع النـابع مـن الاختيـارات التـى أمامـه تتولـد مـن جـراء الأزمات التى يتعرض لها ، ولا بد له أن يتخطاها ويتفوق فيها ٠

المحتمل هو اختيـار مـن الاختيـارات المطروحـة أمـام الشـخوص لا يفـرض علـيهم مـن تفكيـر أو اختيـار أو طـرق يجـب سلكها ، بينمـا تكـون فـى الخلفيـة لاختيـاراتهم فيمـا يجـب عليهم القيام به ، يستعملونه متى تدعو الحاجة لـه ، فهو يعتبـر طريقـا بـديلا ولكنـه واضـح وملحوظ للمشاهد وللشخوص ولكنه مهمل متروك ، ولكن حين استدعائه واستعماله فليس فى ذلك أى غضاضـة بـل هـو عنصـر القبـول والإقنـاع للمشـاهد الـذى يضـعه فـى حسـاباته ولكنه هو الآخر يهمله ، مع أنه فى بعض الأحيان يتمنى علـى البطـل المـأزوم أن يستعمله لأنـه أفضـل لـه حـين يستخدمه ليخرجـه مـن أزمتـه ، ويسـاهم فـى تضـليل المصـارعين ، ويجعله يتفوق عليهم أو يفوت عليهم الفرصـة فى الانقضاض عليه وتعجيزه ٠

- عسى دائما تفيد الاحتمال وهى أداة الحبكة ومادتها وعمادها٠

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف] نعم تحقق المحتمل وهلك عدوهم فرعون فى البحر على يد سيدنا موسى٠

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف] نعم تحقق المحتمل لسيدنا يعقوب وعاد إليه أولاده يوسف وبنيامين ونفتالى ٠

مثال فى غزوة الخنـدق حفر رسول الله خندقا حول المدينة – بعد أن تشاور مع أصحابه - ليكون من المحتمل أن يساعد فى صد المشركين المعتدين الذين يريدون أن يستأصلوا شأفة الإسلام وهم يومئذ كثر، وقد كان ، وساعد مساعدة كبيرة ، وأحاط المشركون به ولم يستطيعوا الدخول ، ولم يدخلوا فعلا إلا بسبب خيانة يهود بنى قريظة بنقضهم عهدهم مع رسول الله ٠وبنى الرسول خطته على المحتمل وليس الحتمي وإلا تكاسل الجميع عن الصد إن حدث غير الحتمى٠

فى غزوة أحد حيث بنى الرسول الخطة تمام البناء والإحكام والعبقرية العسكرية ، وشدد على الرماة أن يلزموا أماكنهم ، و ألا يتركوا رأس الجبل مهما حدث ومهما كان الأمر صيانة لمؤخرة الجيش ، وأوصاهم ألا يبرحوها أبدا ولو رأوا الجيش تتخطفه الطير ، لماذا ؟ لأنه كان يتوقع احتمال أنهم لو غادروا رأس الجبل فليس من المستبعد أى المحتمل

أن يستغله المشركون وينزلوا منه على المسلمين ، وقد حدث الشيء المحتمل فعلا واستغل خالد بن الوليد يومئذ هذه الزلة من الرماة أيما استغلال وأوقع بالمسلمين .

عن عثمان بن طلحة قال : (كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين ويوم الخميس ، فأقبل رسول الله يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلظت له ، ونلت منه ، فحلم عنى ، ثم قال :" يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت ، فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت ، فقال : بل عمرت و عزت يومئذ ، ودخل الكعبة ، فوقعت كلمته منى موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال ، فلما كان يوم الفتح قال : يا عثمان ائتني بالمفتاح ، فأتيته به ، فأخذه منى ، ثم دفعه إلىَّ وقال : خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت المعروف " قال فلما وليت ، ناداني ، فرجعت إليه فقال :" ألم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت فقلت : بلى أشهد أنك رسول الله) .

الفاء دائما تفيد الحتمى والسرعة وهى من أدوات الحبكة ومادتها وعمادها .

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

[يوسف] وقد عاد إلي سيدنا يعقوب بصره ، فعل مستحيل وقد صار ممكننا .

﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الصافات] وألقوا سيدنا إبراهيم بالفعل فى النار (غير مستحيل) ولكن لا تأكله النار بأمر الله (مستحيل وقد صار ممكنا) .

حتى تفيد الاحتمال البعيد

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يوسف] وهى من قصة سيدنا يوسف ، والمقصود من هذا المشهد أن العزيز وأصحابه من بعد ما تبين لهـم الأدلـة على براءة يوسف من التهمة التى ألصقتها به زليخا زوجة العزيز ، وحكم واحد مـن أهل العزيز الذى حكم ببراءة يوسف من أمر المراودة ، رأى العزيز درءا للفضيحة أن تنتشر للعوام أو فى قصور الحكم ، أن يسجنوه حتى فترة تطول أو تقصر حتى تخبـو فيها الفضيحة وتنسى ، ثم يخرج يوسف من السجن • وخرج يوسف من السجن فعلا بعد حوالى عشر سنوات ولكن بسبب آخر لعلمه تفسير الأحلام للملك • والحبكة هنـا تؤدى إلى طريقين الأول من هذا المشهد والذى يبدو فيه الخروج حتميا ولكن بعد فترة مما تعطى المشاهد دليلا مقنعا مسبقا عند خروج يوسف فيما بعد ، وهذا مـا نتوقعـه جميعا ، ولكن ما حدث غير توقعنا الذى استلهمناه من هذا الاحتمـال حتـى حـين ، ويخرج بسبب آخر محتمل أيضا ومقنع تماما عندما يعجز كبراء ووزراء الملك عـن تفسير حلمه وتلبية حاجته ، فيتفجر أمامنا حل محتمل آخر لخروج يوسف من السـجن لأنه الوحيد المتبقى لديه القدرة على تلبية حاجة ملك البلاد الذى تخـول لـه سـلطاته الدستورية أن يخرج مسجونا من سجنه بعفو أو غيره حتى ولو كان الذى أدخله وزير من وزرائه ، وقد أخرجه فعلا إلى قصر الحكم •

الفعل ورد الفعل

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة] كان الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – يتطلع إلى

السماء مرة بعد مرة ويتمنى من الله أن يحول القبلة إلى المسجد الحرام ، فيقول الله له قد نرى تحوُّل وجهك في جهة السماء ؛ انتظارًا لنزول الوحي إليك في شأن القبلة ، فلنصرفنك عن "بيت المقدس" إلى قبلة تحبها وترضاها ، وهي وجهة المسجد الحرام بـ "مكة" - رد الفعل - فولِّ وجهك إليها ، وفي أي مكان كنتم - أيها المسلمون - وأردتم الصلاة فتوجهوا نحو المسجد الحرام .

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [هود] وجاء قومُ لوط يسرعون المشي إليه لطلب الفاحشة – فعل – وكانوا من قبل مجيئهم يأتون الرجال شهوة دون النساء ، فقال لوط لقومه – رد فعل – هؤلاء بناتي تَزَوَّجوهن فهنَّ أطهر لكم مما تريدون ، فاخشوا الله واحذروا عقابه ، ولا تفضحوني بالاعتداء على ضيفي ، أليس منكم رجل ذو رشد ، ينهى من أراد وقوع الفاحشة ، فيحول بينهم وبين ذلك .

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الكهف] خرق السفينة – فعل – بيد سيدنا الخضر، رد الفعل لم يستول عليها القرصان ، وهنا كان الخضر يعلم سيدنا موسى بفعل حقيقي لا تشبيهي ولا مثالي .

إذن السبب والنتيجة ، الحاجة والوسيلة ، الهدف و العمل التعقيد والحل ، السؤال والجواب ، الحدث والحادثة؟؟ والجميع تكون نتائجها إما حتمية الوقوع وإما محتملة الحدوث وقد بيّنا البرهان ، ويجرى ذلك على كل ما يخص القصة و الأحداث ، والشخصيات وغيرها ؛ لتدفع الأحداث المتتابعة الممتعة القابلة للتصديق بسبب مشابهتها للواقع وللحياة ، لتكون متدفقة نحو المنتهى والخاتمة والحل - التى لا بد أن تحقق قدرا من الإمتاع ليرضي ذوقنا الحسي ومتعتنا العقلية ويشبع طبيعتنا المحاكية - والصانعة لجسد القصة وجعلها وحدة كاملة وعظيمة وتعتبر من قواعدها الأساسية ؟؟

الحاجة والوسيلة

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ [يوسف] ولما دخلوا – إخوة يوسف - من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم ما كان ذلك ليدفع قضاء الله عنهم ، ولكن كان شفقة في نفس يعقوب عليهم أن تصيبهم العين بالحسد ،.لأنهم عشرة من الإخوة الرجال ، وإن يعقوب لصاحب علم عظيم بأمر دينه علّمه الله له وحْيًا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء، وما يعلمه يعقوب عليه السلام- مِن أمر دينه.

تأتى من حاجة الشخصية التى تريد أن تحصل عليها فتتبع وسيلة ما ويحدد هذه الوسيلة الفكر، والفكر هو ما تعتقده الشخصية من عقيدة سماوية وقيم أخلاقية وتكون الوسيلة نتيجتها حتمية النجاح أو محتملة الفشل

الهدف والعمل

فى الغلام الصالح فى قصة أصحاب الأخدود فعل الكثير للدرجة التى دفع حياته ليحقق هدفه حتى بعد أن يموت أى أن هدفه سيتحقق بموته ، وقبل أن يقتل من أجل هدفه الذي تحقق فعلا ولكننا نحن الذين أدركناه وعرفناه ، ولم يدركه ويعرفه هو نفسه وذلك فى حكمة بليغة لأن القصص تكتب لنا نحن الجمهور وليس لمؤلفها أو رواتها أو ممثليها .

٤- التعقيد والحل.

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الأعراف] والمعنى رفع الله الجبل فوق بني إسرائيل كأنه سحابة وأيقنوا أنه

واقع بهم لأنهم لم يقبلوا أحكام التوراة من نبيهم موسى ، وأمرهم الله أن يأخذوها بقوة ويعملوا بما فيها من أحكام وفرائض فرضها الله عليهم ؛ كي يتقوا ربهم فينجوا من عقابه وقد قبلوها – مجبرين - وعاد الجبل إلى طبيعته٠

شروط القصة بصفة العموم

١- التضرع إلى الله ٠

وذلك يأتي من المصائب والأهوال التى تحيق بالبطل ، عند العقدة بالذات حيث من المفروض أن يتلوى البطل ويستغيث من شدة ما يلاقيه وما يدفعه من عمل وجهد ، لكى يفك العقدة التى يواجهها ولا يجد من ناصف مغيث مقتدر غير رب الأرباب خالق الأرض والسماء الذي بيده مفاتيح كل شيء القادر المقتدر الذي يقول للشيء كن فيكون سبحانه وتعالى عما يصفون هو الله الواحد القهار الذى أمرنا بذلك أن نتضرع إليه وقت الشدة والبلاء وقال : تدعونه تضرعا وخفية٠٠ مظهر الضراعة وهى شدة الفقر والحاجة والتذلل والابتهال والمبالغة فيه إلى الله ، فهذا واجبك أيها المؤلف ورسالتك التى يجب أن تكون كذلك ، لا تقل عن رسالة شيوخنا وعلمائنا الأجلاء فى كتبهم وخطبهم وأحاديثهم ، فأنت معك المساحة والوقت والتأثير الممتاز والأدوات من الإمتاع و حسن الفن والممثلين ومباهج النفس التى تشد الناس إلى عملك ، فاجعله حسنا مقبولا طيبا يرضى عنه الله ، وقدم وذلل واستغل ما بيدك من تأثير لتثبيت الإيمان بالله والخوف منه والحض على طاعته ، ولا يكون بالطبع بطريق المباشرة بل بحسن صياغة الحبكة و الأحداث والمشاهد لا تظن أنى أطلب منك أن يكون عملك دينيا أى مثل الأفلام والمسلسلات الدينية ، لا بل الاجتماعية والبوليسية والعاطفية وغيرها ، كل ما تسطره حسب ما تجود به قريحتك من إبداع ، فأنا لا أحجر عليك وأوجه إبداعك إلى قبلة واحدة لا ، اكتب ما تريد لكن ضع فى

يقينك – واليقين للقلب - وأنت تكتب ما سبق أن ذكرتك به ، واعلم أن الله أنزل في قصصه عقائد وعبادات وصرنا مأمورين بها ، ومفروض عليك لا رفاهية منك أن تحض على الخير وعبادة الله الذي منّ عليك وخصك دون خلقه بهذه الموهبة التي هي هبة منه وحده ، فاحذر أن يجرك الغرور وتقول إنها من عندي أوتيتها بعلمي وثقافتي واحترافي وخبرتي وألا تكون مثل قارون ، فأنت تعرف ما حدث له خسف الله به وبداره الأرض ، فاحذر أنت أن يخسف بموهبتك وأقلها أن يقطع عنك ذلك النور الذي يرسله من عنده إلى قلبك وعقلك .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنبياء] وهي من قصة سيدنا نوح حين نادى ربه أن يخلصه من الغم الشديد ومن كيد القوم الذين كذّبوا بآيات الله الدالة على صدقه ، إنهم كانوا أهل قُبح ، فأغرقهم الله بالطوفان أجمعين .

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القصص]وهي من قصة سيدنا موسى عندما خرج من مصر هاربا يقصد بلاد "مدين" وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني إلى أحسن طريق إلى "مدين".

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم] وهي من قصة امرأة فرعون ،ضرب الله مثلا لحال المؤمنين الذين صدّقوا الله وعبدوه وحده وعملوا بشرعه

وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم بحال قصة زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله ، وهي مؤمنة بالله ، حين قالت: رب ابن لي دارًا عندك في الجنة ، وأنقذني من سلطان فرعون وفتنته وعذابه وتنكيله ومما يصدر عنه من أعمال الشر وانقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال ومن عذابهم الشديد لي ٠

٢- ذكر الأنبياء ٠

يتحقق من صنع الإدهاش الذي يأتى من المستحيل الممكن المفرح، من المدهش حقا فينا نحن فى الواقع عندما نرى شيئا مدهشا بديعا يقع فجأة ، تجدنا عفويا نقول اللهم صل على سيدنا محمد ، فاجعلنا ونحن نشاهد عملك أن ترسم وتحقق مشهدا مبهرا يفاجأ به البطل المأزوم أصلا ويكون سببا لنصرته أو حل مشكلته فيذكر هو الأنبياء ويصلى عليهم ، ونذكر نحن ونصلى عليهم ، وذلك نوع من العبادات التى نثاب عليها ٠ أليس كذلك ؟ أم لك رأى آخر؟.. لا أعتقد ٠وإن اعتقدت فأنت المخطئ لا أنا ؛ لأن ذلك حال الغالبية العظمى من البشر، هذا غير أنه فرض علينا وهو سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ٠

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يوسف] وهى من قصة سيدنا يوسف إبان محنته الكبرى وهى السجن فذكر الأنبياء وقال : واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فعبدت الله وحده ، ما كان لنا أن نجعل لله شريكًا في عبادته ، ذلك التوحيد بإفراد الله بالعبادة ، مما تفضل الله به علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمة التوحيد والإيمان ٠

٣- تقرير رأى عام :

يقر به المؤلف نفسه على لسان بطله أو أحد شخوصه المهمين ، وهو المعتقد التى يعتقد فى صدقه وصلاحه وصوابه هو نفسه ويطرحه على الناس ، ولكي يكون المعتقد مقنعا مفيدا لا يلجأ إلى المباشرة ، ولكن يجعلها تتحقق من خلال القصة كلها و من خلال رحلة البطل التى خاضها ونجح فى تحقيق حاجته والوصول إلى هدفه بصحة ما يعتقد ، وقد رأيناه نحن وشاهدناه فيحق له أن يقرر فلسفة ما عاشه من تجربة ناجحة براي صواب قد جربه على نفسه وأفاده، ويفضل أن يكون ذلك المعتقد وتلك الفلسفة من الدين ؛ لأن الله ورسله قد أفادونا بكل ما هو صالح لنا فى دنيانا وآخرتنا٠ ولا بأس على المؤلف إن أبدع معتقدا جديدا بشرط ألا يخرج عن تعاليم الدين أو يتناقض معها وإلا يكون بذلك زل زلة كبيرة تحتم عليه العودة إلى رجال الدين لينظروا أمره وما يجب عليه فعله ، وإن لم يعدهم يجب عليهم التدخل وإصلاح ما فسد ؛ فليس كل ما يبدعه العقل ويرضى عنه قلب مؤلفه يكون صوابا خيرا نافعا طيبا٠ لأن القلب غير المؤتمن على عقيدة سماوية عرضة لأن تهزه الأهواء من الشيطان ومن الآخرين من الناس المفسدين الفاسدين الذين لهم أهداف فاسدة ويريدون إفساد الناس وهدم القيم والمعتقد لجملة من الأغراض ، أولها المال والمكانة وربما الإجبار أو الخوف والتهديد فليس أمامهم غير المؤلف يدفعون له ليحقق لهم أغراضهم الفاسدة ٠إذ ليس كل ما هو في الواقع يصلح أن يكون قصة وفنا بحجة أنه واقع ومعيش ، فلو ناقشت مثلا قضية مثل السحاقيات أو المثليين فهل بوسعك أن تخلق لهم بنهاية قصتك علاجا أم لا ، وإذا لم تستطع خلق علاج لهم فهل بوسعك أن تحق الحق عليهم بقتلهم وإبادتهم من الأرض ، أعتقد أنك لا تستطيع ذلك وما دمت لا تستطيع فلا تقترب من هذه القضايا الشائكة ، لأن الله عندما عالج هذه القضية من فساد قوم لوط أرسل لهم نبيا يرشدهم ويعلمهم وعندما لم يرتدعوا أبادهم جميعا من على وجه الأرض ؛ لأنهم قطعوا السبيل لإعمارها ، وأتوا الشهوة فى غير مكانها الذي خلق لها وهو فرج المرأة٠ فهل تستطيع أن تقول أنت ذلك الحل أم ستخاف على نفسك من منظمات حقوق الإنسان ومن التغني بالدعوة للحرية التى صارت عندهم أهم من العقائد السماوية التى حددت مدى

الحرية التى يجب أن يتمتع بها البشر، وكيف نكون أحرارا تمام التحرر ونحن عبيد لله ، سبحان الله إن تمام التحرر يأتى من تمام العبودية ٠

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف] وهى من قصة سيدنا يوسف عندما دعا ربه ثم قال : أنت متولي جميع شأني في الدنيا والآخرة ، توفني إليك مسلمًا ، والحقني بعبادك الصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار ٠ وخلاصتها أن الله يتولى شأن جميع العباد ، وعلى العباد أن يولوا أمرهم لله ٠

٤- تأصيل حقيقة عامة ٠

والحقيقة العامة لكى تكون مضمونة وموثوقا منها ، فعلى المؤلف أن يستخلصها من الدين ، لأن قولي حقيقة عامة ربما تنصرف إلي البشرية كلها ، أو أقلها إلى قوم يربطهم العرق أو اللغة أو العقيدة السماوية ، أو المعتقد البشرى ، وقولى ذلك لا يحجر على المؤلف فبوسعه أن يقر بما يفيد العالم من قضايا مثل التلوث أو السلام أو الأمن أو التعاون أوالتراحم أو البحث عن قواسم مشتركة للبشرية كلها على شرط ألا تخص طائفة وتظلم أخرى مع أنى أعتقد فى صعوبة ذلك ؛ لأن القادر عليه هو الله وحده وبما شرعه ، فاستخلصها من الدين السماوى وخاصة القرآن أو السنة المحمدية اللذين لم يتركا أمرا من أمور العباد ولا الدنيا إلا فنداه وذكر ما ينفع الإنسان وما يجب أخذه وما يتوجب عليه تركه لأن الله هدانا النجدين ولا أعتقد أيها المؤلف أنك ستعرفنا أكثر مما عرفنا الله من طريقين معلومين واضحين تامين ٠

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف]

وهى من قصة سيدنا يوسف ، ولكن الله هو الذى يقرر ويقول : كثير من الدلائل الدالة

على وحدانيتي وقدرتي منتشرة في السموات والأرض ، كالشـمس والقمـر والجبـال والأشجار والأنهار والبحار والمطر، يشاهدونها وهم عنهـا معرضـون غـافلون لا يفكرون فيها ولا يعتبرون ، مع أنها أدلة عقلية واضحة وضوح الشمس تدل علـى الله ووحدانيته وتفرده واستحقاقه للعبادة ، ولا تحتاج الى جهد الفلاسفة فى ابتكـار أدلـة عقلية على وجود الله ووحدانيته ، إذ يكفى ما نراه من تنظيم محكم لحركة الكون مـن تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر دون خلل يذكر ، وكذلك المحيطات على حالها لا تقل ولا تزيد رغم أن المطر يسحب منها من خلال التبخر وغيره الكثير ،

أهداف القصة الفعلية

١- **السلامة النفسية** : وتتحقق بعلاجها من بعد نزع المرض فتكون الراحة والبهجة والأمن ، وكذلك من التضرع إلى الله وهى نوع من العبادات التى تطهر من الخوف لأن ذكر الله يطمئن القلوب ،

٢- **الإمتاع والتسرية** والسرور بالترويح عن النفس بما يسرها ويغبطها ويبهجها ويفرحها، ويتحقق من الأفعال المستحيلة التى تتحقق وتصبح ممكنة ، وتعتمد على الخيال أولا ، وثانيا أن تكون مفاجئة للشخوص أنفسهم وغير متوقعة ولكنها محتملة من جراء إسنادها إلى الله مفرج كرب المكروب وحزن المحزون وهو البطل النبيل فيفرح ويسر ونفرح ونسر له كما فرح ،

٤- **العظة والنصيحة والعبرة** : تأتى من النصح والتذكير بالعواقب ، هو تذكيرك لنا بما يلين به قلوبنا من ثواب وعقاب ، حبب الخير وحسنه وجوده ووضحه ، اجعل

الله هو محقق الآمال ، محقق كل شيء فى كل أزمة أو ضيق أو بلية ٠وأداة تحقيق العظة رقة القلب وإخلاصك وصدقك أنت فيما تكتب ٠

٥- التعلم

أدوات تحقيق القصة الفعلية الدرامية

مؤلف – منتج – مخرج – ممثلون – الخ من إضاءة ومونتاج ومكساج وطبع وتحميض والجميع فى الحقل الفني أدري بشئون حرفتهم ، ولهم فيها معاهد وجامعات تستوفى ما نطلبه٠ بينما المؤلف كتبنا له هذا الكتاب ٠ويتبقى المنتج أهم العوامل لتحقيق القصة فلا تنفق أموالك ابتغاء الشيطان ، بل أنفقها ابتغاء مرضاة الله ، وبها تكسب فى الدنيا وفى الآخرة إن شاء الله ، واقرأ هذا الكتاب جيدا ، وبه تختار وتميز ما يقدمه إليك من المؤلفين ، فلم يعد بعد الآن لك عذر ، وقد وجدت من يستوضح لك الصالح من الفاسد اعلم أن الوجه الحسن – الذي تحرصون عليه - يأتى من تخفى بعضه ، لا الكشف الكامل عن مفاتنه فيتحول إلى مستقبح مشمئز نظرا للإسراف فيه وجعله مشاعا ، فلا شيء مشاع إلا ويكون منتقص القيمة وبعضه بلا قيمة تذكر ٠وما استثنائي إلا من أجل الماء والهواء٠ والله الموفق لما فيه الخير والصلاح٠

وسائل القصة الفعلية الفنية :

١- المسرح ، فى حالة عرض القصة بممثلين عرضا مباشرا أمام الجمهور ، وتكون المشاهدة مباشرة ٠ ذلك هو أقرب أداة لتحقيق الفعل المشاهد ؛ لأن المشاهدة فيها مباشرة لكنه لا يتحقق فيها الإبهار الكامل لنقص الأدوات المؤثرة ، لذا ينتقص كثير من فرائض القصة ، ولا تبلغ سموها الكامل ، اللهم إلا إذا لجأ المخرج للاستعانة بمشاهد مصورة من

خارج خشبة المسرح ، ليتمكن من إظهار وإحداث الإبهار المطلوب ، وتحقيق مشاهد المستحيل الممكن ، كما فعل المخرج المتميز جلال الشرقاوى فى واحدة من مسرحياته – انقلاب - ربما تكون الوحيد ، لأن المسرحية يجرى عليها نفس الأصول والمكونات والأسس والقوانين والقواعد والشروط والأهداف الملزمة لبناء القصة فلا مسرحية بدون قصة ، وقصتها تتكون من سبعة فصول ، كل فصل يتكون من ثلاثة مشاهد ، أدرى أنهم سيقولون إن المسرح صار علما كاملا وله مدارسه ومعاهده التى تصل به إلى درجة من الكمال ، ربما يكون ذلك صحيحا فى أى شىء يخص المسرح ، عدا قصة المسرحية ، فهى التى لم يبلغوا فيها العشر من الكمال ، وما أتحدث عنه فى هذا الموضع أعنى بها قصة المسرحية المأسملهاة التى يجب أن تبنى كما سبق أن أسلفنا فى هذا الباب ، بينما قصة المسرحية الملهاة (الكوميديا) سيأتى ذكرها فى موضعها مع القصة الفعلية الفنية الملهاة٠

٢– **شاشة السينما** ، وهى تخص عالم الفيلم السينمائي ، وشاشة العرض إحدى وسائل

عرض القصة الفعلية الفنية ، ولكن بطريق غير مباشر ، ما بين الممثلين والجمهور٠ ولكن شرط الفعل موجود وشرط المشاهدة موجود٠ والفيلم يعتبر واحدا من الوسائل الممتازة لتحقيق عظم القصة الفعلية ، حيث يمتلك صانعوه من الوسائل ما يمكنهم من تنفيذ كل ما يكتبه المؤلف ، ونخص ونؤكد على مشاهد المستحيل الممكن ، فلا قصة فنية أو روائية من غير أن تبنى على المستحيل الممكن ، إنما البناء على الممكن غير المستحيل ، كما يطلب الرقباء والمقيمون والمتحكمون بحجة وذريعة الواقعية ، فهذا هراء وعدم فهم لعالم وعلم القصة ، لأن الممكن غير المستحيل ليس به إبهار لأنه حاصل ، فأين الصنعة ؟ أين الفن ؟ أين الصنع ؟ ما دور من نخلع عليهم أعظم الألقاب من نجوم وشهب ، وربما نيازك فيما بعد ، ولا أعرف لأى حد ولماذا ؟ إذا كان ما يقومون به لا يخرج عن كونه عملا وحرفة يحترفها ليكسب قوت يومه مثله مثل كل الناس ، بينما يستحق الألقاب إذا قام

وأدى ما لا يستطيع غيره فعله ، كممثلين فى الهند وأمريكا ، للأسف بغباء صرنا نسخر منهم ، يدعوى أنهم لا يشبهوننا ، بل هم أقوى منا ولديهم ملكات ليست فى البشر، مع أن ما يفعلونه هو الصحيح من حيث حرفية الممثل ، وتنفيذ المخرج الذي ينفذ بأداته الفعالة الأولى وهو النجم مشاهد المستحيل الممكن • ومن عجب أن ينصرف جهد المخرج عندنا ومن معه فى تجميل الممثل لا تجميل القصة التى لا تحتاج إلى تجميل منهم إلا التنفيذ الاحترافى الأمين ، دون تدخل لحذف أو إضافة فيما يسطره المبدع الموهوب المؤلف ــ وهذا هو المفروض الذى يستحوذ على جل اهتمامهم لا الممثل الذي له عمال محترفون يقومون بتجميله • ومن عجب أن (الدبلير) الذي يؤدى المشاهد الصعبة التى إلى حد ما نعتبرها من المستحيل الممكن ، بدل النجم ، ربما لا يذكر اسمه حتى فى التترات حتى لا ينتقص من قدر النجم ، مع أن الدبلير الذي من الممكن أن يضحى بحياته هو من يستحق التقدير والثناء والإعجاب والبطولة لا المرفه الناعم ، فمن يؤدى الأصعب من اليسير أن يؤدى السهل أليس كذلك ؟!! أم الشكل والهيئة هى المحددة ؟!! كان ذلك فى الماضى ولكن الآن الوضع اختلف ، فليس الفن بالوسامة فقط ولكن بمن يقدر على القيام بالفعل الحقيقي وهو يمثل•وانظر إلى بعض الأفلام الأمريكية فى بعضها ــ حسب الدور ــ تجد البطل لا يتمتع بأى وسامة ومع ذلك فهو بطل ومقنع وناجح ومبهر •

٣- **تليفزيون ، أو كمبيوتر أو فيديو ، أو أى وسائل تستجد**، من أجمل وسائل مشاهدة القصة الفعلية الفنية ، وأكثرها انتشارا وتأثيرا وله يصنع المسلسل الطويل الذي يحقق للقصة الملحمية والقومية ما تحتاجه من طول يشبع محتواها الجامع المعقد الشاسع ، ويعطى للمؤلف مساحة لا طويلة يستطيع بها بسط قصته فى حلقات متصلة ، وأجزاء متقطعة مكونة من حلقات متصلة • ولا يحق للناقد أن ينتقد ويلوم المؤلف على البسط والإطالة ، على شرط تحقيق الحبكة وقوتها والمشاهد وتماسكها بغرض الإمتاع والتشويق والإثارة لا التنفير ، فعندما يحققها المؤلف لا يسأل عن البسط والتطويل ، كما يلوم بعض

الفصل الثامن

أنواع القصة المأسملهاة

المعاناة

السلوك

الشخصية

الأخلاق

القيم

القومية

مأسلهاة المعاناة

(قصة سيدنا أيوب عليه السلام)

المعاناة هى ابتلاء كبير ، وامتحــان عظــيم ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ [ص] من الله الذى هو القوة العليا التى لا تغالب ، واقع بفعل مؤلم ، مثير ومدهش ومفزع وغامض وهالك ، يسبب تعبا وشقاء وآلاما فى الجســد ، واعتلالا فى الصحة ، ونقصا فى المال ، وبغضا من الأهل وفقدا فى أسباب السعادة ، واضمحلالا فى أدوات القوة يقع على شخصية عظيمة ونبيلة ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ فيقاوم ويصارع ويفعل المستحيل من أجل النجاح ، فيصبر ويحتسب ، له حاجة عظيمة يريد أن يحصل عليهــا ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء] أن يكشف الله عنه هذا الضر ، وهدف يريد تحقيقه يتعارض مع حاجة نفسه

فينشأ الصراع الداخلي النفسي المرير ، ما بين الطاعة والصبر والاستغفار والذكر والحمد والتسبيح ، وما بين الكف عنهم والعصيان . ثم صراع خارجى مع آخرين لا يحتملونه ولا يريدونه بينهم ، فيقومون بفعل مفزع للوقوع به يهددون حياته ، يقول ابن كثير (حيث ألقوه على مزبلة لبنى إسرائيل تختلف الدواب فى جسده)- فنخاف عليه ويزداد الصراع إلى أشده الابتلاء يصيب الإنسانة الوحيدة التى تعينه وتكون له السند وهى زوجته التى تعوله وتقوم بمصلحته تضعف وتعتل صحتها ، ويقل مالها ، فتلجأ إلى الخدمة فى البيوت. فيتآمرون عليها للوقيعة به ، فيرفضون استخدام زوجته عندهم لعلمهم بمرضه وخوفا أن ينالهم بلاءه ، أو تعديهم بمخالطته . فيضعون له العقبة في طريقه فيصبح في أزمة يحاول التغلب عليها ويلتمس الأسباب والسبل الممكنة المحتملة أمامه وفى حدود مقدرته العقلية والجسدية فيصبر ويحتسب وهو يعانى قمة المعاناة ولسانه لا يكف عن ذكر الله ، حتى جاء أخوان له يوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا ، فجزع أيوب من قولهما ، وحزن حزنا شديدا، وزوجته لا تجد ما لا تشترى له به طعاما طيبا ، ويحاول أن يجتاز هذه العقبة بكل السبل ، فتبيع زوجته ضفيرة شعرها بطعام طيب ، فيضعون أمامه عقبة أخرى في مكان آخر بدهاء ومكر وحيلة فتبيع ضفيرتها الثانية . فيمتحن في أخلاقه وقيمه وقوته وعقيدته ويسأل زوجته من أين لك بثمن هذا الطعام ، فتقول له : خدمت عند أناس ، فأنكره وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام ؟ فتكشف خمارها عن رأسها ، فيرى رأسها محلوقا ومع ذلك ينزع إلى الزلة بأن يقسم أن يضرب امرأته عند شفائه مائة سوط . فيدعو الله ويصطبر ويتحمل ويذكر الله ويشكره ليستجيب له الله ، ليحقق حاجته بدون ضرر ومع ذلك يوقعون به أذى نفسيا يعانى منه طويلا بلغ سنين وهو يصطبر ، وتنسد أمامه كل الطرق حتى من أخويه اللذين قالا : لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا .

ويضعونه في أزمة نفسية أخرى خانقة تكون العقدة . ويحاول التغلب علي آلامه وبعد الناس عنه ، ووسوسة الشيطان ، فيصبر ويداوم على الذكر والاستغفار ، ليخرج منها منتصرا فينازع وينازل ويحاول فى حدود مقدرته وما تبقى له من قلب ولسان يذكر ، فيلجأ إلى الله، ويقول : اللهم إن كنت تعلم أنى لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكـان جائع فصدقني ، اللهم إن كنت تعلم أنى لم يكن لى قميصان قط وأنا أعلم مكان عـار فصدقني ، وخر ساجدا فقال : اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدا حتى تكشف عنى ، يأتي الحكم من الله ويستجيب له وتحدث الانفراجة فما رفع رأسه حتى استجاب الله لـه ، وصار يستطيع بعض الحركة ، و يسمع صوت الوحي من الله يقول له﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص] فيمتثل لأمر الله فيضرب الأرض برجله فأنبع الله عينا باردة من الماء يدرك أن بها العلاج الكامل ، فيغتسل فيها ويشرب منها ، فيذهب عنه الله ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذي كان فى جسده ظـاهرا وباطنا ، وأبدله الله صحة ظاهرة وباطنة ، وجمالا تاما ومالا كثيرا ، حتى صب لـه من المال صبا ، وتغير مجرى طريقه نحو هدفه وألبسه الله حلة من الجنـة، فتنحـى أيوب وجلس فى ناحية ، فجاءت امرأته فلم تعرفه ، فتقول : يا عبد الله ..أين ذهـب هذا المبتلى الذي كان ها هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب ، وجعلت تكلمه ساعة التعرف . فقال : ويحك أنا أيوب ، قالت : أتسخر منى يا عبد الله ؟ فقال : ويحك أنا أيوب قد رد الله عليَّ جسدي وعافاني الله – عز وجل– ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ص] كشفنا عنه ضره وأكرمناه ووهبنا له أهله من زوجة وولد ، وزدناه مثلهم بنين وحفدة ، كل ذلك رحمة منّا به وإكرامًا لـه علـى صـبره، وعبرة وذكرى لأصحاب العقول السليمة ؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفـرج وكشـف

الضر ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص ٤٤] ولابد أن أفي بقسمي ولا أحنث و قد أفتاه الله أن يأخذ ضغثا وهو كالعقال الذي يجمع به الشماريخ ، فيجمعها كلها ويضرب بها زوجته ضربة واحدة ، إذ أقسم ليضربنَّها – إبان مرضه – مائة جلدة إذا شفاه الله ، لـمَّا غضب عليها من أمر بيع شعرها، وكانت امرأة صالحة، فرحمها الله ورحمه بهذه الفتوى ويفعل ؛ فيقربه –عدم الحنث – وإطاعة الأمر والوفاء بالقسم كل التقرب من حاجته وهدفه وتكون النهاية الوصول إلى هدفه بعدم انقطاعه عن الذكر ، وعدم كف لسانه عن الاستغفار والعبادة ، ويمن عليه الرحمن بالرحمة الكبرى العظيمة ويشهد له أنه نجح فى الابتلاء وتحمل الصبر المرير ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص] دون أن يكفر أو يتململ ، فقال الله نعم العبد أيوب ، إنه مداوم على طاعة الله .

نستنتج من القصة :

- تحققت فيها كل شروط وأصول وقواعد وقوانين وأهداف ومكونات ونتائج القصة المأسملهاة .

بالنسبة **للبداية** فى هذه القصة لم يوضحها القرآن ولم يبسطها تمام البسط لأنها تفهم من سياق القصة كلها ، ولكن المفسرين منهم ابن كثير قال إن سيدنا أيوب كان رجلا غنيا بالمال والأرض والزرع والولد وموفور الصحة ، وهو من أنبياء الله مختار من قبله تعالى مما يحقق له منزلة رفيعة ومكانة سامقة دينية ودنيوية .

الابتلاء والذى بدأت به القصة ، وهو يعتبر الوحدة الثانية من أسسها ولكن انظر تم تحديد حاجة البطل أن تعود إليه أدوات قوته من شفائه من المرض الذى سلبها منه ،

وهدفه من استعادة مكانته وعزه وغناه بالمال والولد كما كان ٠٠وقد حصل على حاجته وحقق هدفه عندما نجح في الابتلاء ٠

الزلة وهي الوحدة الثالثة وقد تحققت عندما أقسم على زوجته أن يضربها حال شفائه وهي لم تخطئ٠

إن البطل لا بد أن يكون من أصحاب النفس المطمئنة٠ الابتلاء يكون مضاعفا وقاسيا إلى أكبر حد ، الزلة رغم فقدانه القدرة على الفعل إلا أنه في سبيله إلى حاجته الماسة القوية والكل يصارعه ويبتعد ، لأن البعاد عنه يزيد من معاناته فالإنسان بطبعه مخلوق اجتماعي ، ولا يعاونه إلا أقرب الناس له الذى يظلمه ، ثم يكتشف أن هذا الظلم ليس في محله وتكون مبعث غلطته الوحيدة فليس هنالك أحد معصوم من الزلة ، وقد شك سيدنا أيوب في زوجته من تعوله وأقسم أن يضربها مائة ضربة عند شفائه وقد أفتاه الله الرحيم بمن عاونه ويعلم أنه ظلم ولا يستحق العقاب – أفتاه أن يضربها بعرجون من شماريخ النخل ، وأوفى بقسمه ٠

- **التعرف** على حقيقة القدرة الإلهية ، وحقيقة الماء ، والتحقق الكامل للوعد من أن جزاء الصابرين على شدة البلاء المحتسبين الذاكرين ، كيف يفي الله بوعده ويتحول حالهم من الشقاء إلى السعادة والنعيم المقيم في الدنيا والآخرة ٠ وأداة التعرف هي الماء الذي حوله من مريض كامل لا يقوى على شيء إلى صحيح معافى شاب ، والتعرف هنا تعرف بالاستنتاج واليقين وأنتج تحولا٠ من المرض إلى الصحة ، والتعرف على حقيقة الماء كعلاج٠

- أنها اشتملت على التغير في حال الشخصية من حال التعاسة والبؤس إلى حال السعادة والنعيم٠

- من ضمن عظم مأسملهاة المعاناة أن من الأفعال فعلا مطمئنا لا مفزعا ، مع أنه بدا مفزعا ، عندما يخرج الماء وينتشر ويحاط من لا يستطيع الحركة ، ولكن التعرف

بالاستنتاج ، تحول الماء من قوة هالكة – فى بعض الأحيان – وتعداه إلى غير طبيعته ليكون علاجا وهو مستحيل وصار ممكنا ·

- اعتمدت جميعها فى النصف الأول من القصة على المعاناة الباعثة على قمة الشفقة التى تحض على التضرع إلى الله بابتهال وإذلال من البطل ، ومنا نحن الجمهور المشاهد ·

- حاجة واحدة ، وهدف واحد ·

- التغير من الشقاء إلى السعادة ولا يصح غير ذلك ·

- النهاية الواحدة ولا تكون إلا سعيدة ·

- خلق المعاناة بكل أنواعها النفسية والجسدية ، ومن العوز والحاجة والفاقة والعمل ومن الأولاد والمال وغيرهم ·

- أن المعاناة لا تشمل البطل وحده فمن الممكن أن تشمل تابعيه من الدرجة الأولى ·

- تعتمد على الصبر وقوة التحمل · وعدم معاندة القوة العليا والرضاء بقضائها ومشيئتها ·

- لا تعتمد على رد الفعل وهو الانتقام ، بل التسامح فى أعلى درجاته والعفو.

- أن التعرف لا يشترط أن يكون بين شخص وشخص ، بل بين الشخص وأي فعل آخر يكون الفعل ينتج له مثل تعرفه على شخص ، حيث يكون الفعل أو الشخص أداة مساعدة كبيرة تعينه على الوصول إلى حاجته وتحقيق هدفه ·

تعريف مأسملهاة المعاناة

هى ابتلاء كبير وامتحان عظيم ، من الله ، أو من واحد من الناس ذى شأن عظيم ، باختيارها شخصية عظيمة ونبيلة ، ليمتحنها فى نبلها وعظمها هل تستحقه أم لا ، من أجل مكانة كبرى ومنة عظيمة ، وتكون البداية بفعل مؤلم ومثير ومدهش ومفزع وغامض وهالك ، تقضى على أسباب سعادته ، فتصبح حاجته التى يريد أن يحصل عليها ، وتفقده

أدوات قوتـه ، فيصـبح هدفـه الـذى يريد تحقيقـه • فيحـاول التحمـل والصـبر والمثـابرة والانتصـار على نفسه التى تكاد تنهزم وتتقهقر نحـو اليـأس والقنوط والعصيان ومعاونـة الشـيطان الـذى يمـد لـه يـد العـون مـن دون الآخـرين الأقـربين الـذين يتخلـون عنـه بـل ويصـارعونه ، فينشأ الصراع النفسي المرير ، ما بين الرفض والضيق والعصيان ، ومـا بين الطاعة والاحتساب والاصطبار • •مابين الصبر والتسرع • •مـا بين النجاح والفشل ما بين الأمل واليأس • والصراع الخارجي مع آخرين لا يحتملونه ولا يمدون له يد العون بل يجابهونـه ويصـارعونه ويضيفون إلـى آلامـه ومعاناتـه آلامـا جديدة ، فيقومـون بفعل مفزع للوقوع به يهددون حياته وهو الذى لا يقوى على مجابهتهم وهو يحاول خلق أدوات قوة تعينه على ما هو فيه ، فيجابه نفسه ويحاربها ألا تنهزم وألا تقهره وتحمله نحو اليـأس والسقوط وهو الذى يريد أن ينجح ، فنخاف عليه ، ويزداد الصراع إلى أشده ويتأمر عليه الشيطان ليشده نحو طريقه مستغلا ضعفه وحاجته إلـى المعاونـة التـى يعده بهـا ، وهـو يعرف أنها ستكون السبب فى سقوطه فى الامتحان فيقاومه بكل ما تبقى له من قوة يحسبها تتبقـى لـه وهـى عزيمتـه التـى لا يريـد لهـا أن تنهـزم ، ممـا تزيـد فـى معاناتـه لأن احتمالهـا صـعب جبار، ولكنه يقاوم ويجابه ويلتمس الأسباب والسبل الممكنـة المحتملـة أمامـه وفـى حدود مقدرته العقلية والجسدية ، ويحاول أن يجتاز هذه العقبة بكل السبل وينجح فـى ذلـك وينتصـر علـى الشيطان الـذى يريـد أن يقهـر قوتـه الداخليـة اللينـة فيزيـدها قـوة وإصـرارا وعزيمة ، فيضعون أمامه عقبة أخرى فـي مكـان آخـر بدهاء ومكر وحيلـة ، وهـو الـذي يحاول تلمس طريقه الصحيح ؛ ومن شدة وقوة المعاناة التى تستنزف قواه الداخليـة ، وهـو الذى يريد أن يحافظ عليها ويقويها فـلا يحسـب حسـاباته جيدا ويغيم الطريـق أمامـه ويقدم على خطوة يأمل فيها الخير ويظن فيها الصـواب فيتقدم يفعلهـا ، فيكتشـف أنهـا تعـود عليـه بالوبال ويدرك أنها كانت خطوة خاطئة ممـا تزيد من معاناته إلـى أقصـى حـد ، وهـو الـذي لا يتحمل مـا هـو فيـه وواقـع بـه فيدعو الله ويتضـرع إليـه معترفـا بضـعفه أمـام قوتـه التـى يطلب منها العون ، ويصطبر ويتحمل ليحقق حاجتـه بـدون ضـرر ومـع ذلـك يوقعـون بـه

أذى نفسيا ، ويضعونه في أزمة نفسية أخرى خانقة فتتعقد أمامه كل الحلول ويصبح أمام عقدة مستحكمة ، ويحاول التغلب عليها والخروج منها فينازع وينازل ويحاول دفع الأذى وفك خيوط تلك العقدة فلا يستطيع ، فيلجأ إلى الله الذي يستجيب له بحدث يقع بالقرب منه فيسارع إلى استغلاله ، وتكون الانفراجة إذ يساعد في حله بعلمه وخبرته وعزيمته ، ويستطيع الحصول على حاجته ، ويسعد بها سعادة غامرة ، مما يخلق بداخله قوة دفع أخرى ويستشعر النجاح الذى يتمسك به ، ويتمسك بالأمل ويشكر الله ، ويحسن إلى من يحتاج إليه قدر الإمكان ولا يبخل على أحد ، فيجد أمامه نصرة أحسن وأقوى و ييسر الله عليه أكثر ويقيض له التعرف على شخص - أو عن شيء ما - كان يعرفه منذ زمن بعيد يساعده في الوصول إلى حاجته برفع المعاناة عنه ، وما كان يجده من الأذى والسقم والمرض ، ويتغير مجرى حياته من الشقاء إلى السعادة ، وتكون النهاية حيث يستطيع الوفاء لمن أحسن إليه ويرد الجميل ، ولا يفكر في الانتقام ممن آذوه بل يسامحهم ، ويواصل طريقه بنجاح حتى يصل إلى هدفه ويمن عليه الرحمن بالرحمة الكبرى العظيمة ويحكم له أنه نجح في الامتحان وتحمل الابتلاء ، ومن حقه أن يعيد له أدوات قوته وأسباب سعادته ومنعته ، ويحقق هدفه وينال السعادة والمرتبة العالية والمكانة السامقة التى كان فيها قبل الابتلاء ونزعت منه بقوة كبرى مهولة مشرفة ويقرر رأيا صوابا ، ويحق حقيقة عامة وهو أهل لها ٠

مأسملهاة السلوك

(قصة سيدنا لوط عليه السلام)

البدايــــة ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف] فعل مثير مشين ، ومدهش مستفز ، ومفزع مجزع ، ومنكر قبيح ، من انحراف كبير فـى السلوك البشرى لفئة من الناس ضد ما عليه الناس وجميع المخلوقين ، فيقوم شخصية عظيمة ونبيلة﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ [النمل٥٤] يفعل فعلا بديعا طيبا مـؤثرا مشوقا مثيرا مقنعا ، أو مرعبا مفزعا مخيفا · لتؤدى حاجة جليلة وهدفا ساميا ، بفكر من عقيدة سماوية رفيعة ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الشعراء] يكشف

عن فكرة رائعة من خلل في سلوك الناس وفساد في دنياهم وأخراهم ؛ ليعالجها ويحذر منها ويوضحها ، وتكون تلك حاجته التي يريد أن يحصل عليها ليغير سلوك البشرية من الانحراف والفساد والشقاء إلى الاستقامة والتقى والفلاح ٠وهدف يريد تحقيقه ﴿ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [العنكبوت] بإقناعهم بالطريق السليم الذي يحصلون به على شهوتهم دون أن يفسدوا في الأرض ويقطعوا السبيل في إعمارها ، وأن يعدلوا مسار أخذ الشهوة لا من الرجال ولكن من النساء ، وهو الأمر الطبيعي كما خلق الله وأمر وكما ينبغي أن يكون ٠ يتعارض مع حاجات وأهداف شخوص آخرين لهم حاجاتهم وأغراضهم الدنيئة ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ [هود] ؛ فتنشأ المشاحنة والمجابهة والبغضاء للوقوع به ، فيقومون بعمل مفزع يهددون حياته فنخاف عليه ، فينشأ الصراع على أشده ،﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الشعراء] فيتآمرون عليه للوقيعة به وإبعاده عنهم والتغلب عليه في مكان معلوم فيضعون له العقبة في طريقه ويصبح في أزمة﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأعراف] يحاول التغلب عليها لأن آخرين لهم حاجاتهم وأهدافهم ورسالتهم الوضيعة من فكر مضلل وفكرة فاسدة ، من الممكن أن

يوقعوا به أو يعطلونه عن طريقه ويضعون أمامه العراقيل والعقد التى تصعب عليـه عمله. فيكذبونه ويضطهدونه ويتصادمون معه ، و يقفون له بالمرصاد ويحاربونه بكل الأنواع ، ويصمم على توصيل رسالته فيلجأ إلى التحذير والتنبيه بترهيب وترغيب ، ولكنه يلقى المواجهة والمصارعة القوية ، وهو يواجههم بقوة وبسالة....

الابتلاء يمتحن فى قوته وإيمانه وتمسكه بعقيدته وهدفه﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩ ﴾ [هود] قال المفسرون : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم – وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل – أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم ، فى صورة شبان حسان ، اختبارا من الله – تعالى – لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم ، فاستضافوا لوطا – عليه السلام – وذلك عند غروب الشمس ، فخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم غيره ، وحسبهم بشرا من الناس ، وشديد بلاؤه ، وذلك لما يعلم من مدافعته الليلة عنهم ، كما كان يصنع بهم فى غيرهم ، وكانوا قد اشترطوا عليه ألا يضيف أحدا . فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، فقالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط. فجاءه قومه يهرعون إليه يريدون الفاحشة مع ضيوفه ؛ لأنهم كانوا يأتون الفاحشة بإتيانهم الرجال شهوة دون النساء وهذه ذنوب عظيمة وكبيرة وكثيرة . ويحاول معهم أن يثنيهم ويبعدهم عن ضيوفه بأن يعرض عليهم الزواج من بناته فذلك أطهر وأعف وأشرف ومشروع من الله ،ولكنهم يرفضون الشرعي ويصرون على الفاحشة بإتيانهم ضيوفه الرجال ، فيحاول معهم مرة أخرى ويجابههم باللين وبالتي هى أحسن ويقول لهم : هل من المعقول ومن المستحسن ومن

المستفضل أن تأتوا الشهوة من الذكور؟! ، إن ذلك شيء لم يحصل في العالمين من قبل ، وتتركون وتستقبحون ما خلق لكم ربكم من النساء اللاتي من المفترض الحتمي أن تتخذوا منهم أزواجا ؛ لتقيموا معهم علاقة شرعية حيث أمركم الله أن تأتوهم في مكان المصرف الطبيعي للشهوة والإنجاب ، وبذلك لا تقطعون السبيل لعمارة الأرض التي خلقت لكم ومع ذلك يرفضون عليهم لعنة الله الحميد المجيد ويقولون له : يا لوطا لا رغبة لنا في نسائنا ، وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا ، ونحن أولو قوة وعزوة ومكانة وسلطة وسطوة وأنت لا قبل لك بنا ، فلا يجد لوط أمامه غير إسداء النصيحة بشيء من اللين والتذلل لضعفه من قوتهم ويقول : إن ما تريدونه من تعاطى ما لا يليق من الفاحشة لا يليق برجال أخيار ذوى أخلاق ودين وشهامة ، أم أنكم جميعكم سفهاء أراذل فجرة كفرة أغبياء ، تغترون بقوتكم ، أليس فيكم رجل حكيم ؟ أليس فيكم رجل خير ، أليس فيكم رجل عنده أخلاق وقيم وشرف وكرامة ، ولكن دون مجيب ، ولذا يغيم الطريق أمامه وهو الذي يريد إخراجهم بالقوة ولكنه لا يستطيع ، وفي نفس الوقت يريد حماية ضيوفه منهم فيأتي ....

الزلة ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود] غير المقصودة منه ولا بنية سيئة ولا بمعصية بل لحرصه على حاجته وتحقيق هدفه فيناله عقاب شديد ولوم أليم – فنعطف عليه ونأسى له ، وغلطته أنه لم يلجأ إلى الله مباشرة لينصره ويكون سنده وسبب خروجه من ورطته ، ولكنه قال : يا ليت لي من قوة ومنعة من عشيرة أو أهل ينصروني عليكم ، ليحل بهم ما يستحقون من العذاب("عن أبي هريرة : أن رسول الله قال : " رحمة الله على لوط ، إنه كان يأوي إلى ركن شديد – يعني الله عز وجل – فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه ") فإن الزلة من لوط الذي تمنى القوة والمنعة من قوم مثله ولم يطلب القوة والمنعة من الله ، وكذلك زلة من امرأته عندما خرجت تخبر أهل المدينة عن ضيوف لوط الحسان فيلاقي من العناء

والألم من مجموعة من الرجال قليلة العدد فإذا به محتم عليه أن يقابل ويواجه ويصارع ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٠ ﴾ [الحجر] يأتيه أهل المدينة بالطبع من الرجال وتكون **العقدة** يريدون ضيوفه الحسان الرجال ، وكلما نهاهم بالغوا فى تحصيل ضيوفه ولا يأبهون من شيء ، لم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ، ولم يتركوا ما عنه نهوا بل استمروا على حالهم وموقفهم ولم يرجعوا عن غيهم وضلالهم ، ويهمون بإخراج رسولهم لوط من أرضه ومدينته ، فجعلوا غاية المراد من العناد واللجاج إخراجه من المدينة كلها وإتيان ضيوفه الحسان ، فيلجأ إلى الله فليس أمامه من طريق غيره يخرجه من هذه العقدة التي هو فيها ويقول : ﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٦٩ ﴾ [الشعراء]

الانفراجة حتى يسوق له الله قبسا من انفراجة لحدث قريب منه يقع يكون له أمل فيه فنستبشر خيرا– وتكون الانفراجة ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣ ﴾ [الحجر] يقسم الخالق بمن يشاء وبما يشاء – أما نحن فلا يجوز لنا القسم إلا بالله – وقد أقسم الله تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له ، إن قوم لوط في غفلة شديدة يترددون ويتمادون فى الرذيلة والفحشاء ولا يقبلون نصح ناصح ، ولا رشد رسول ، فعليهم اللعنة ولهم عذاب واقع ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ

وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾

[القمر] أعماهم الله وخرجوا يتحسسون الجدران بالليل في أوله . ثم ييسر الله عليه ويمن عليه **بالتعرف** ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود] هنا يحصل التعرف المباشر من ضيوفه الذين كان لا يعرفهم ، ولا يعرف حقيقتهم ، فيعرفونه بأنفسهم من يكونون وماحقيقتهم إنهم ليسوا بشرا بل هم ملائكة مرسلون له من عند ربه ، وقد جاءوه على هذه الهيئة لينظروا ماذا يفعل بهم السفهاء الفجرة الفسدة ، حتى تكون الحجة عليهم .والتعرف هنا ينتج تحولا من الخوف إلى الأمان والطمأنينة ، ويساعد على حل المشكلة ويعرف منهم أن قومه سينالهم العذاب والعقاب الذي يستحقون وإن الصبح لقريب ، وها هو أول العذاب ، ويتوعدون لوطا ويقولون : إذا كان الغد يكون لنا وله شأن، الملائكة تتقدم إلى لوط تطلب منه وأهله أن يغادروا المدينة عند أواخر الليل ، لأنهم سينالهم عقاب شديد عند الصبح **النهاية** للأخيار ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الشعراء] الفضلاء الطائعين المؤمنين الصادقين ، النهاية للأشرار ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [الشعراء] الفاسقين الكافرين المتردين في الرذيلة من غير توبة . ويحقق هدفه بالحق والعدل للأولين وهو منهم وإما العقاب والثبور وعظائم الأمور للآخرين في الدنيا والآخرة فتقتدي به. وتكون النهاية كذلك سعيدة فتفرحنا للأولين. حزينة مأساوية للتالين فلا نأسف عليهم ولا

نحزن بل نفرح فيهم ونشمت لأنهم معاندون للقوة العليا مخالفون لها ومتحدون مشيئتها وإرادتها ٠

مكونات القصة

١ـ الفعل ويتمثل فى حال الناس الذين يفعلون :

كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء ، ويقطعون الطرق لإعمار الأرض ، ويعيثون في الأرض فسادا ، يخونون الرفيق ، ويأتون المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافها علانية في المحافل العامة ، ولا يستنكفون ولا يرتدعون ولا يرجعون للحق ، ولمن يوعظهم ، ولا نصيحة من عاقل ينصحهم ، وكانوا كالأنعام وأضل سبيلا ٠ فساد فى فساد وإفساد ٠

٢ـ من هى الشخصية الرئيسية البطل ؟ إنه نبي الله لوط ٠

٣ـ المكان ، أين تدور الأحداث؟ فى مدينة سدوم بأرض غور زعر ٠

٤ـ الزمان ؟ فى يوم بنهاره وليله وصبحه٠

قواعد القصة وتتمثل فى :

١ـ الفكر، ما الفكر أى ما عقيدة طرفي الصراع ؟

٢ـ ما الفكرة ؟ ما القضية التي يود كشفها وتعريتها وبحثها، ما أسبابها ؟ وما نتائجها على الناس والمجتمع ؟ وما طرق علاجها ؟

الأسباب

لوط عليه السلام نبي من أنبياء الله ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهاهم عن تعاطى ما ذكر الله عنه من الفواحش ، من إتيان الرجال شهوة من دون النساء وهذا مخالف لطبيعة الله فى الإنسان ؛ لأنهم يقطعون الطريق على بقاء النوع وهذا مخالف لسنن الله لبقاء النوع وخلافة الأرض ٠

قوم لوط وكانوا ذوى عقيدة فاسدة كافرة ٠

إنهم يأتون الفاحشة ويشيعون الفساد بين الناس • يقطعون الطريق لإعمار الأرض التى خلقنا الله لنعمرها ونرثها• وهم يهددون الكون – من فعلهم المنكر هذا - بفناء النوع الذي له أجل معلوم ومتاع إلى حين الموت ، وقطع خليفة الله الذين استخلفهم فى أرضه لعمارتها وعبادته •

قوانين القصة:

– الصراع ، ويتمثل فى طرفي الصراع لوط عليه السلام وقومه•

- الحبكة ، والحبكة تعتمد على :

– التغير، حدث للوط التغير من الشقاء والفشل إلى السعادة والنجاح من منتصف القصة ، ومن السعادة إلى الشقاء والهلاك لقومه•

– التعرف ، وتم بين لوط والملائكة ، وكان التعرف مباشرا•

– التحول ، وفيه تم التحول للوط من الخوف إلى الأمان والاطمئنان•

– الأهداف : إن فيها عبرا وعظات لمن عنده الفراسة والتوسم والاستشراف والتعلم فى تغيير الله لتلك البلاد وأهلها، وكيف جعلها بعد أن كانت آهلة عامرة هالكة غامرة • وإنها لبطريق مهيأ مسلوك إلى الآن عبرة وعظة لمن يخاف عذاب الآخرة ، ويخشى الرحمن بالغيب ، ويخاف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى بعدم انجرافه فى محارم الله ومعاصيه ، ويخاف أن يتشابه مع قوم لوط ومن تشبه بهم فهو منهم• وعلى ذلك ما يسمونهم الآن الشواذ جنسيا من الطرفين ، المثليين من الرجال ، والسحاقيات من النساء ، أن علاجهم يكون إما بالتمسك بالقيم وما حرم الله ويجبرون أنفسهم بطاعة الله والتمسك بكتابه ، وإن لم يعتصموا ويتمسكوا فيكون عقابهم القتل والنفي من الأرض لا يستحقون الحياة التى لم تمنح لهم عبثا ليقطعوا ويعبثوا بإعمارها كما أمر الله وخلق ، فهم ليسوا مفسدين لأنفسهم فقط بل سيعكسون فسادهم بغواية آخرين •

تعريف مأسملهاة السلوك

البداية فعل مثير مشين ، ومدهش مستفز ، ومفزع مجزع ، ومنكــر قبــيح ، مــن انحراف كبير فى السلوك البشرى لفئة ضد ما عليه الناس وجميع المخلوقين •يكشــفه شخصية عظيمة ونبيلة ، يفعل فعلا بديعا طيبا مؤثرا مشوقا مثيرا مقنعا ، أو مرعبــا مفزعا مخيفا • لتؤدى حاجة جليلة وهدفا ساميا بفكر من عقيــدة ســماوية رفيعــة ، يكشف عن فكرة رائعة من خلل فى سلوك الناس وفساد فى دنياهم وأخراهم ؛ ليعالجها ويحذر منها ويوضحها ، ويرغب فى خير وإيمان وصلاح ، وتكون تلك حاجته التــى يريد أن يحصل عليها ليغير سلوك البشرية من الانحــراف والفســاد والشــقاء إلــى الاستقامة والتقى والفلاح وهدف يريد تحقيقه بتقويم لهذا السلوك المنحــرف بإقنــاعهم بالطريق السليم الذي يحصلون به على حاجاتهم بسلوك راق حميد ، دون أن يفســدوا فى الأرض ويقطعوا السبيل فى إعمارها ، وأن يعدلوا مسار أخذ الحاجات من طرقها الصحيحة السليمة ، وهو الأمر الطبيعي كما خلق الله وأمر وكما ينبغــي أن يكــون • يتعارض مع سلوك وحاجات وأهداف شخوص آخرين لهم حاجاتهم وأغراضهم الفاسدة المعيبة ؛ فتنشأ المشاحنة والمجابهة والبغضاء للوقوع به ، فيقومــون بفعــل مفــزع يهددون حياته فنخاف عليه ، فينشأ الصراع على أشده ، فيتآمرون عليه للوقيعة بــه وإبعاده عنهم والتغلب عليه في مكان معلوم ، فيضعون له العقبة في طريقه ويصــبح في أزمة ؛ لأن لهم حاجاتهم وأهدافهم ورسالتهم الوضيعة من فكر مضلل وفكرة فاسدة من الممكن أن يوقعوا به أو يعطلوه عن طريقه ويضعوا أمامه العراقيل والعقد التــى تصعب عليه عمله• فيكذبونه ويضطهدونه و يتصادمون معه ، و يقفون له بالمرصاد ويحاربونه بكل الأنواع ، ويصمم على توصيل رسالته فيلجأ إلى التحــذير والتنبيــه بترهيب وترغيب ، ولكنه يلقى المواجهة والمصارعة القوية ، وهو يــواجههم بقــوة

الابتلاء يوقعون به ويجبرونه على تغيير مسار خط سيره ويحاول تلمس طريقه مرة أخرى ويمتحن في قوته وإيمانه وتمسكه بعقيدته وهدفه فيبتلى بلاء عظيما فيحـاول معهم مرة أخرى ويجابههم باللين وبالتي هى أحسن وبالإقناع ومع ذلك يرفضـون و يعتمدون على قوتهم ويهددونه ويتغلبون عليه ويضعونه فى أزمة كبـرى ، يريـد أن يخرج منها ، ويغيم الطريق أمامه فيأتي٠٠٠**زلـة** غير مقصودة منه ولا بنية سيئة ولا بمعصية بل لحرصه على حاجته وتحقيق هدفه فيناله عقاب شديد ولوم أليم – فنعطف عليه ونأسى له – فيلاقى من العناء والألم و محـتم عليـه أن يقـابلهم ويـواجههم ويصارعهم وهم يشددون عليه الحصار ، وتكون العقدة لا يستطيع أن يجتـاز هـذه العقدة لأنهم أغلقوا كل الطرق أمامه ٠ فيلجأ إلى الله فليس أمامه من طريـق غيـره يخرجه من هذه العقدة التي هو فيها ٠٠٠**الانفراجـة** حتى تسوق له الأقدار قبسا مـن انفراجة لحدث بعيد عنه يقع ، يكون له أمل فيه – فنستبشر خيرا– وتكون الانفراجـة حدث يستغله ويعود به إلى خط سيره الصحيح ويستطيع أن يحصل علـى حاجتـه ، ويريد أن يحقق هدفه ، فيمن الله عليه ب٠٠٠ **التعـرف** بمـن لا يعـرف حقيقتـه ، فيعرفونه بنفسه ويساعد على تحقيق هدفه ، وتكون النهاية للأشرار العقـاب بفجيعـة يترددون فيها ٠ حزينة مأساوية فلا نأسف عليهم ولا نبكي ولا نحـزن ، وتكـون٠٠٠ **النهايـة** للأخيار الفضلاء الطائعين المؤمنين الصادقين التـائبين ، فيـنجح ويتفـوق ويحصل على حاجته ، ويقرر رأيا فنتعظ منه ونتعلم ، ويحقق هدفه بالسعادة والهنـاء والرفاهية والحق والعدل وتكون النهاية كذلك سعيدة فتفرحنا ٠

أصل المأسملهاة الشخصية

المأسملهاة الشخصية لا تتحقق إلا من ولى أمر ، أو من حاكم ، أو رئيس ، أو وزير أو صاحب عمل ، له أو لهم هدف واحد هو الاختيار لشخص يريدون له أن يكون قائدا ومسئولا عن تكليف وتأدية ما يسند له ، أو يُطلب منه من مهام خطيرة تتطلب أكبر قدر من الكمال ، والكمال لا يأتى إلا من تمام القيم حيث الأخلاق والسلوك والأمانة المتحققة من تمسك الشخصية بعقيدة سماوية ٠ والمقابل مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة وأجر عظيم وجاه وسلطان وولاية ٠ ولذا هو أو هم لابد أن يختاروا من بين شخوص متقدمين لشغل هذا المنصب الذى أعلن عنه بالصفات السابقة والمقابل أيضا٠ ومن أجل التفضيل والاختيار لابد من الاختبار التحريري الفعلي الواقعى٠ ويأتي الدور على الشخص الذي هو محل الاختبار لا تكون له إلا حاجة واحدة ألا وهى النجاح فى هذه الاختبارات ، ولا يكون له إلا هدف واحد ألا وهو تحقيق وتنفيذ ما طلب منه على أكمل وجه ٠ وعند النجاح من حقه أن تكون له حاجات جديدة يريد الحصول عليها وأهداف يريد تحقيقها ٠ومن يشهد أنه نجح فى تحقيق هدفه هو من اختاره أو من اختاروه لهذه المهمة التى كلفوه بها وحق عليه أو عليهم - أن ينفذ ما سبق أن وعده به من مكانة ومنزلة ومال وجاه وسلطان وسيادة ويساعدونه في الحصول على حاجاته وتحقيق أهدافه٠ لا يتحقق عظم مأسملهاة الشخصية إلا بهذه الاختبارات الجبارة المهولة التي لابد للبطل أن ينجح فيها ، حتى يستطيع أن يحصل على حاجته العظيمة ويحقق هدفه الكبير السامي النبيل العظيم ٠ إذ يجب أن تنتهي نهاية سعيدة لا غيرها على الإطلاق ، فلا تحمل أى احتمال آخر ، أو نهاية مفتوحة ، وعليه أيضا تستوجب أن يبدأ التغير كما هى العادة من بعد العقدة أى منتصف القصة ولا يحتمل التغير إلا جانبا واحدا فقط – التغير من الشقاء إلى السعادة ٠

(قصة سيدنا إبراهيم)

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل]

ما تحمله سيدنا إبراهيم من بلاء واختبار ومعاناة وآلام ، لا تتحمله أمة بكاملها ، فما لا تطيق على تحمله أمة تحمله شخص ونجح فيه نجاحا باهرا ، لذا حق له أن يطلب ما يشاء ويحصل عليه.

فى إبراهيم يكون المختبر والممتحن هو الله ، والممتحَن الواقع عليه الاختبار هو إبراهيم عيه السلام مصداقا لقوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة] يختبر الله إبراهيم بهذه التكاليف ، وهى ما سماها الله بالابتلاء ، والابتلاء يكون خيرا عندما ينجح فيه الإنسان ، ويكون شرا إذا فشل أو رسب فيه . ولكن الله يعلمنا كيف يكون الاختبار ليس ظالما ، إذ ليس من المعقول أن تمتَحن فى شيء ليس لك به سابق علم أو معرفة ، وعليه فالله - تعالى يُعلم من وقع عليه الامتحان حتى يستطيع الإجابة ، فليس بعد التعليم والمعرفة حجة أمام الشخص الممتحن ، فإن أجاب إجابة صحيحة فقد نجح من نفسه وحق له الثواب والمنزلة الرفيعة ، وإن لم يجب الإجابة الصحيحة فقد سقط ولا يستحق أى منزلة وعليه يكون :

التعليم من القوة الممتحنة للممتحن

الدرس الأول : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ

ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام]

الدرس الثاني : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾[مريم] المعنى هو التمهيد والتوضيح أن العبادة لما لا ينفع ولا يضر لا فائدة منها ومادام لا فائدة منها فلا تستحق أن تعبد ، بل من يستحق العبادة هو من ينفع ويجيب السائل والمحتاج وغير ذلك مما يفيد المحتاج .

الدرس الثالث : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم]

وما دام الشيطان لله عاصيا ومن يتبع الشيطان الذي هو عدو للإنسان يكون عدوا لله

ومن يكون عدوا لله وجب عليه العقاب واستحقه وهو نازل به لا محالة إلا من تـاب وآمن من بعد كفره ٠

الدرس الرابع : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبـراهيم]

إن هناك بعد الموت بعثا وحسابا عسيرا من الله للكافرين ، وفى الدنيا أيضا ٠

الدرس الخامس : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الشعراء] وسبق أن وضح لوالده وهنا وضح لقومه ، وهو يسخر مما يعبدون ، إذ لا تنفعهم ولا تضرهم ٠

الدرس السادس : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾

[الشعراء] يبين عظمة ربه الذي يعبد ، يستحق العبادة ؛ لأنه المستجيب القادر علـى أن يلبى جميع مطالبه فى السراء والضراء ، وهو الذي بيده الأمر والقادر عليه وكـل شيء بيده ٠

الدرس السابع : ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنبياء] المواجهة الحاسمة واليقين التام أن الله – لا ما تعبـدون – خـالق السماوات والأرض وما بينهما من كل شيء ٠

الدرس الثامن : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء]

الابتلاءات من القوة الممتحنة للممتحن

- ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم]

هاهو أبوه يقول له مهددا ومتوعدا : أمعرض أنت عن عبادة آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن سبِّها لأقتلنك رميًا بالحجارة ، واذهب عني فلا تلقني ، ولا تكلمني زمانًا طويلا من الدهر.

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الصافات]

القوم جميعا يلقونه فى النار ليتخلصوا منه ويحرقوه وينجى منها بإذن الله.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة] وهذا الملك يمنع عنه الطعام ويكون سببا فى هجرته إلى مصر بحثا عن حياة كريمة.

- وفى مصر التى هاجر إليها ابتغاء العيش يجد حاكمها يطمع فى زوجته ويدل عليه سياق الآية ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة] وكذلك **الحديث : عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إلا ثَلاثًا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ**

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام إلا ثَلاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ إِنِّي سَقِيمٌ وَقَوْلُهُ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، وَقَالَ بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَا هُنَا رَجُلا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَ أُخْتِي ، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي ، فَلا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ فَدَعَتْ اللَّهَ ، فَأُطْلِقَ ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ فَقَالَ إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَا قَالَتْ رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ وَأَخْدَمَ هَاجَرَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ٠ [صحيح البخارى ، أحاديث الأنبياء ، رقم : ٣١٠٨]

﴿ رَّبَّنَا إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم] يأمره الله أن يسكن ولده الوحيد الذي رزقه به على كبر ، بعد أن كانت زوجته الأولى سارة عاقرا – أن يسكنه وأمه هاجر فى مكان بوادٍ ليس فيه زرع ولا ماء ويطيع وينفذ ويتركهما فى هذا المكان الموحش الذي ليس فيه أنيس ولا جليس ولا طعام ولا شراب ولا ماء٠

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات] فلما كبر إسماعيل وصار شابا فتيا

رغم الظروف التى تركه فيها وهو صغير فى ذلك الوادي الموحش فترة من السنين ، يعود إليه بطلب لا يصدقه عقل ولا يقبله منطق ولا يرضى عنه أى ضمير ولا يوافقه أى قلب ، فبأي حق يذبحه وهو ولده الوحيد ولم يبذل مجهودا قط فى تربيته وإعالته كما هو دور الآباء ، ولكنه أمر الله وهو يريد أن ينفذه ، ويقول لولده : فما رأيك ؟ فقد رأيت ذلك الأمر فى منامي (ورؤيا الأنبياء حق) فقال إسماعيل مُرْضيًا ربه ، بارًا بوالده، معينًا له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به مِن ذبحي ، ستجدني -إن شاء الله- صابرًا طائعا محتسبًا ، وهذا القول الجميل من ابنه لا يعطيه أى ذريعة فى التراجع وهو عاقد العزم على التنفيذ وينفذ .

النتيجة والجائزة من القوة الممتحنة للممتحن

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة] عندما نجح اختاره الله ؛ وجعله من أحسن الناس فى الدنيا وسيكون كذلك فى الآخرة .

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عمران] أمر كل الناس أن يسيروا على نهج إبراهيم وملته .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء] صار خليل الله ، ومن يريد أن يكون خليلا لله فيعمل كما عمل إبراهيم ، جعله مثالا ومثلا أعلى لما يجب أن يكون عليه من يطلب مصاحبة الله .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام] جعله أعلى منزلة من كل قومه الذين تآمروا عليه وأرادوا الخسف به وإحراقه.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود] كثير الحلم والصبر لا يحب الاستعجال ولا يحب الانتقام وكثير التضرع إلى الله والدعاء له ، تائب يرجع إلى الله في أموره كلها ، وهم ما يجب علينا جميعا إن أردنا الخير والصلاح لأنفسنا.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل] كان إمامًا في الخير ، وكان طائعا خاضعًا لله.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحديد] جعل النبوة فى ذريته الخيرة .

مطالب الناجح فى الاختبارات

إذ يجب أن تنفذ بالكامل وتتحقق على يد من اختبره ونجح وكلفه بالمهام وقام بها على أكمل وجه فيحق له تنفيذ مطالبه:

الحاجة العظيمة التى يريد الحصول عليها أن يتحقق له الأمن لمن أطاع الله وآمن به وكان دستور حياته ، فمن حقه أن ينعم به بعد الخوف والهول الذي عاشه من هول الاختبارات ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنعام] إن من يفشل أو

يرسب فى الاختبار لا يحق له أن ينعم بالأمن والأمان مادام بعيدا عن نواهي الله وأوامره إلا إذا تاب وعاد إلى الله ٠

الهدف النبيل المشروع ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة] ويريدها لذريته من بعده أن يكونوا أئمة ورسلا ونبيين للناس ، وقد استجاب الله لطلبه وجعل الأنبياء جميعا من ذريته وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه سلم الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم وأمه السيدة هاجر المصرية ، ويا للعجب يأتى هذا الزمان من يقول لسنا من العرب ، إذا كان العرب أصلهم إسماعيل ولد هاجر المصرية ، أى نحن المصريين أخوال العرب إن لم تكن من العرب ٠

الاستثناءات للناجح وهى الزلة

الزلة الأولى ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الصافات] كان قوم إبراهيم يخرجون فى عيد لهم خارج البلدة أو فى مكان ظاهر منتزه معلوم كبير مجمل ، مكان احتفالهم بالعيد ، فطلب منه أبوه أن يذهب معه فتعلل إبراهيم أنه مريض ولم يكن كذلك بدليل أنه استغل غيابهم وبعدهم عن قلب المدينة ودخل مكان أصنامهم التى يعبدها قومه فكسرها تكسيرا ولم يبق لهم غير كبيرهم ٠

الزلة الثانية ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

[الأنبياء] إنه كان يسخر منهم ولذا حطم آلهتهم ، وعندما سألوه كذب عليهم ولم يعترف على نفسه من أنه الذي كسر . فناله عقاب وآلام كبيرة عظيمة لا يتحملها بشر عندما بنوا له بنيانا من كل ما يحرق لكي يحرقوه ، وقد فعلوا ولكن الله أبطل فعلهم وعفا عنه ، حيث أمر النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم ، في أكبر مشهد للمستحيل الذي صار ممكنا وتحولت النار بإذن ربها من طبيعتها المعروفة بها إلى عكسها تماما بردا وعنصر أمان ، يا سبحان الله. إن أي زلة غير مقصودة من الحتمي أن تنتج آلاما ومعاناة ، وهما مبعث الشفقة بداخلنا على من يعاني ويتألم وهو في حقيقة الأمر لا يستحقهم.

الزلة الثالثة : عندما كذب وقال للجبار الذي طمع في زوجته سارة إنها أخته لا زوجته والدليل حديث أبي هريرة وقد سبق ذكره .

من الزلات نستنتج قاعدة عامة

أن الزلة غير المقصودة هي المتسببة في المعاناة والآلام ، وهي المعقدة لانطلاق فعل البطل نحو مسعاه ، وهنا أمر حتمي الوجوب أن يتضرع – البطل من زل – إلى الله ويندم ويطلب منه الغفران ؛ لأن ما يتبع الزلة هي العقدة ، والعقدة لا يحلها إلا الله لمن تضرع وأفرط في التذلل له.

أصل تعريف المأسملهاة الشخصية

البداية مشاهد مثيرة ومشوقة ومدهشة وجذابة وممتعة ومخيفة ومفرحة ومؤلمة وموجعة يكون بناؤها على المستحيل الممكن المقنع من مجموعة من الاختيارات ، لشخصية عظيمة ونبيلة ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم]

البطل له حاجات يريد أن يحصل عليها :

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت]

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الذاريات] حيث كبر فى السن وزوجته سارة عقيم لا تلد ،

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم]

﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات] يتمنى أن يكون له ذرية من البنين والأحفاد صالحين أخيار ،

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة]

وأهداف يريد تحقيقها :

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة] أن تكون النبوة من ذريته شرط الصالحين الخيرين منهم .

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة] . هذه الحاجات وهذه الأهداف تتعارض مع حاجات وأهداف شخوص آخرين﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الشعراء] لهم حاجاتهم وأهدافهم . فتنشأ المشاحنة والمجابهة والصراع والبغضاء ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن

كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنبياء] فيقومون بعمل مفزع يهددون حياته فنخاف عليه ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الصـــافات]

ولكن الله ينجيه وينجح وينجو من موت محقق بالحرق ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء] فيشتد لهيب الصراع و يتآمرون عليه للوقيعة به وإبعاده عنهم والتغلب عليه في مكان معلوم ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم] فيضعون له العقبة في طريقه ويصبح في أزمة يحاول التغلب عليها ويتلمس الأسباب والسبل الممكنة المحتملة أمامه وفى حدود مقدرته العقلية والجسدية ويكون الابتلاء ...

الابتلاء ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة] ويحاجج هذا الطاغية المتكبر المتغطرس النمرود بن كنعان ويتفوق عليه فى المناظرة ويثبت له جهله وكذبه وبطلان ما يدعيه من أشياء لا يستطيع تنفيذها ، حتى لم يبق لهذا المتكبر كلام يجيب به وهو

مستغرق في الذهول والتعجب والموقف الصعب الذي بجهله حشر نفسه فيه أمام قومه وكبرائه وحاشيته ، فما كان منه ليرد كرامته وينتقم لغروره وكان الناس تأتيه لتأخذ الطعام ، وكان إبراهيم منهم فمنع الطعام عنه ٠ ويصبح في مأزق شديد ومعاناة من أجل الحصول على الطعام وتوفيره لنفسه وأهله زوجته سارة ، فيقرر أن يهاجر إلى مصر بعد أن ضاق به الحال ومنع الجبار صاحب البلد عنه الطعام ، وإنهم مكيدون له ، ويحاول أن يجتاز هذه العقبات بكل السبل حتى يجتازها ويصل إلى مصر بزوجته الجميلة العاقر هاجر ٠ فيضعون أمامه عقبة أخرى في مكان آخر بدهاء ومكر وحيلة ، ويحاول التغلب عليها ، فيستغرق منه وقتا ليعد عدته ويجهز أدواته جيدا ، ويقطع فيه زمنا يتعلم فيه ويتدرب ، ويحسب حساباته جيدا لينجح ويواصل طريقه نحو مسعاه ، فيمتحن في أخلاقه وقيمه وقوة عقيدته ومدى تحمله ، حيث يطمع الجبار في زوجته سارة ، فينزع إلى الصواب والصبر، ليحقق حاجته بدون ضرر فيأتي ٠٠٠

الزلة كذب ، وقال للجبار إنها أخته بينما هي في الحقيقة زوجته ، ويجتازها ومع ذلك يوقعون به ويضعونه في أزمة أخرى ويحاول التغلب عليها والخروج منها منتصرا ، فينازعهم وينازلهم ويحاول دفع الأذى عن نفسه ويتخطى تلك العقبة ، ولكنه ما إن يجتازها حتى يجد أمامه عقبة أشد وأقوى ، العقدة عندما ولدت له هاجر ولدا واشتدت الغيرة من سارة زوجته الأولى ، حيث طلبت منه أن يغرب بها عن وجهها إلى مكان لا تراهما فيه ، وكذلك جاءه الأمر من الله أن يذهب بولده الذى رزقه الله به على كبر أن يسكنه ويتركه في واد بلا زرع ولا ماء ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ، فلا يستطيع مخالفة أمر الله ويمتثل له وينفذ رغم سنه المتقدمة وتتعقد أمامه كل الحلول أكثر عندما ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ

أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الصافات] ويصبح في ...

العقدة ، كبرى مستحكمة ، ما لها قرار ولا حل وخارجة عن إرادته وإرادة البشر جميعا حيث يأتيه الأمر من الله أن يذبح ابنه فيستعمل كل أدواته وما يملك من علم وخبرة وحيلة وإيمان وصبر واحتساب ، يحاول التغلب على هذه العقدة المستحكمة وينتصر على الشيطان الذي يحاول أن يغويه عن ذبح ولده ، ويجاهد نفسه جهادا عظيما ، ولكنه يتفوق وينتصر على كل شيء ويعقد العزم على تنفيذ أمر الله ، فنشاركه حيرته ومصابه وألمه وندعو له ونتضرع إلى الله ليقيه هذا المورد الذي لا يستطيع أحد تحمله ، وخاصة مع وجود ولده البار به الذي لا يخالف أمر الله وأمر أبيه ، رغم أنه يواجه الذبح لا شيئا آخر فيه شيء من النجاة ·ويستجيب الله لدعائنا وابتهالنا وتضرعه وامتثاله ولكنه الشيطان يتآمر عليه ويحكم عليه الحصار فينتصر على نفسه بقوة إيمانه وثقته فى خالقه · وينجح فى ذلك ويتفوق على نفسه وهفواتها ونزعاتها وأهوائها وفتنة الولد ·وتكون ...

الانفراجة ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الصافات] فيقع حادث قريب منه يكون سببا فى نجاته ونجاة من قدر عليه القدر الهلاك ، ويفرج الله عنه ويناجيه ربه : قد نجحت فى الاختبار نجاحا كبيرا وأديت ما عليك ، ويفدى ولده من الذبح ، ليتلمس طريقه مرة أخرى· ويتغير حظه من حال الشقاء والمعاناة ، إلى حال السعادة والنجاح ليكمل خط

سيره وقد حصل على حاجته ، بعلمه وعمله ونجاحه في الاختبارات ، وبشهادة ربه من رباه وعلمه ، ويمن عليه ب...

التعرف بولد آخر من زوجته العاقر سارة ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) ﴾

[الذاريات] طلب واجتهاد منه ، ولكنه لم يصل إلى كل أهدافه بعد ، فيعمل من أجله دون هوادة ولا كسل ولا تراخ بل بعمل وجهد وصبر فقد دفع الغالي والنفيس ويطلب من الله أن يحقق له أهدافه ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة]، وهو شرط على الله الذي اختبره ونجح في الاختبار حق على الله أن يستجيب لطلبه وجعل من ذريته الخيرة النبوة ويواصل عمله وجهده ويواصل طريقه ليحصل على حاجته ، ويصل إلى هدفه حتى يناله ويحققه في ٠٠٠

النهاية المطاف وتكون النبوة في ذريته كلها ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ [الأنعام] وجميعهم رسل وأنبياء من نسل ابنه إسحاق من بني إسرائيل ، ولذلك يطلب حاجة أخرى يريد أن يحصل عليها ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة] أن يمن الله عليه بالنبوة من ذريته من العرب وقد استجاب الله له ، وجعل خاتم الرسل محمدا- صلى الله عليه وسلم - من ذرية ابنه إسماعيل (أبو العرب) ٠

ويقرر رأيا صوابا لا لبس فيه ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران]

ويقرر حقيقة عامة واضحة ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة] **وتكون النهاية سعيدة مفرحة ٠**

الاستنتاج والتميز:

بها أكثر من فعل مفزع مفرح ، ولقطة مفزعة مفرحة٠

الفعل المفزع المفرح الأول:

أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ،.ويعرف حقيقته ويقوم بكمال الفعل ، ثم يكتشف بعد فوات الأوان حقيقته ٠ ولا يكون إلا فى المأساة السوداء ، ولكن هنا جاء فى المأسملهاة رغم وقوعه وتمامه إلا أنه أحزن ثم أفرح ، أحرقوا إبراهيم لكنه نجا منها ٠مع أنهم فى هذا المشهد قاموا بتمام الفعل المفزع ، ولكن البطل نجا من الموت المحقق بإرادة الله ومشيئته ، حيث بنى الفعل على المستحيل الذى صار ممكنا وهذا لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى ٠ لكن فيما تسطره أنت أيها المؤلف فلابد لمن يقع عليه الفعل المفزع ويتمه الفاعل لابد من أن يموت ،.إلا إذا توقف فى اللحظة المناسبة يكون بذلك فعلا مفزعا مفرحا ، بينما لو أتمه لا يكون مفزعا مفرحا بل يكون محزنا ، وهذا لا يتحقق إلا فى القصة المأساة السوداء الذى يكون بطلها غير نبيل ولا فاضل من أصحاب النفس الأمارة بالسوء ، حيث يكتشف حقيقة صلته بمن وقع عليه الفعل بعد فوات الأوان ، مما يخلق له خسارة كبيرة وندما عظيما ٠ بينما لو أردت

أن تحقق وتكتب مشهدا كهذا هالك فيه البطل حيث الفاعل أتمه فيه وتريد ألا يموت مع أن ذلك حتمى ، فكما ذكرت فى السابق عليك أن تنسب الفعل لله وتمهد لذلك أنه رغم ما سيحدث للبطل من هلاك وفاجعة محققة ، أن نجاته لا تكون من بشر ولكنها من الله حينها يكون فعلك مقنعا مع أنه مستحيل ولكنه يصير ممكنا ومقنعا لأن الفاعل هو إرادة الله القادر على كل شيء .

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنبياء] هى لحظة اتخاذ القرار بأن يحرقوه بالنار . وهى الطريقة التى سيلقونه بها ، والطريقة الحرق وهى جحيم النار التى شرعوا يجمعون لها حطبا من جميع ما يمكنهم من الأماكن من جمعه ، ويمكثون مدة يجمعون لها ، حتى النساء تجمع الحطب لهذه النار من أجل ألا تبقى عليه ولا تذر منه قيد أنملة ولا عظمة . يضعون إبراهيم على المنجنيق ويقيدونه ويكتفونه ، وهو يقول : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك ، لا شريك لك . يلقون إبراهيم من خلال رافعة وقاذفة آلة المنجنيق حتى يلقى إلى داخل النار المشتعلة المستعرة . وبينما هو فى الهواء فى طريقه إلى النار يعرض عليه جبريل ويقول له: ألك حاجة ؟ فيقول : أما إليك فلا! ويلقى إلى داخل النار حيث يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل له﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران] ويقول إبراهيم : اللهم إنك فى السماء واحد ، وأنا فى الأرض واحد أعبدك . ويأتيه جبريل – عليه السلام – يمسح العرق عن وجهه وهو داخل النار . ثم يخرج من النار سالما معافى.

الفعل المفزع المفرح الثانى :

إبراهيم يذهب بهاجر وولدها الرضيع إلى حيث مكة اليوم ، وتتعلق بثيابه وتقول له : يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا هاهنا وليس معنا ما يكفينا ؟ فلم يجبها ، وهى تلح عليه حتى تقول له : آلله أمرك بهذا ؟ يقول : نعم ٠ قالت: فإذن لن يضيعنا ! وتعانى هاجر ورضيعها بعد أن خلص منها الطعام والشراب واللبن لإرضاع ولدها ، وتصير تعانى من الجوع والعطش وتجرى وراء السراب بين جبل الصفا وجبل المروة ٠ فى أكبر محنة إنسانية ، أم ووليدها فى مكان موحش لا زرع فيه ولا ضرع ولا ماء ولا أنيس ولا جليس ولا زوج ولا عائل غير الله ، حيث أمر إبراهيم أن يسكنه وأمه فى واد غير ذي زرع صحراء قاحلة ليس بها ماء ولا زرع ولا طير ولا حياة ، ويمتثل لأمر الله ويسكنهم حيث أمره الله ويتركهم هناك ثقة فى الله تعالى لا شيء آخر ؛ لأنه لا يجد شيئا آخر من الممكن أن يثق فيه غير الله ؛ لأن المكان لا ينبئ بخير ولا حياة على الإطلاق بل هلاك أكيد والنجاة منه محتملة إلا إذا رحم ربى ؛ ويترك ولده الوحيد إذ ذاك وهو فى هذه السن المتقدمة وبعد أن كان لا ينجب ، إنه أمر لا يطيقه ولا ينفذه إلا شخص كامل الإيمان بالله وكامل الثقة فيه ٠ حتى أن امرأته أيضا كاملة الإيمان والثقة فى الله ٠ ويتركهما إبراهيم ثقة فى الله الذي لم يخيب هذه الثقة من عبده فيه تعالى ويحفظهما ويجعل لهما فرجا ومخرجا ، ويرزقهما من حيث لا يحتسبان ٠

الفعل المفزع الثالث :

أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ، ويعرف حقيقته ، ويتوقف عن الفعل فى اللحظة المناسبة ، وهو من أجملها وأحسنها ٠

يعود إبراهيم إلى امرأته ، وولده الذي صار شابا ، حيث يرى إبراهيم عليه السلام فى المنام أنه يؤمر بذبح ولده العزيز الذي جاءه على كبر ، وقد طعن فى السن ، ولم يكن

يتعجب ، ثم رزق به ، ويذهب إليه فيجده قد صار شابا يافعا ، يأتيه الأمر من الله أن يذبحه ويأتى ولده ثم يعرض عليه ما هو مأمور به ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسرا ويذبحه قهرا ، ويقول له إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فماذا أنت فاعل ؟ فيجد الولد المطيع الحليم البار المؤمن يقول لوالده : افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، لا ممانعة ولا استعطاف ولا إذكاء للشفقة ولا إدرار للعطف ؛ لكي يثنى أباه عما يريده منه وهو أن يذبحه ، ما هذا الإيمان ؟ ما هذه الطاعة ؟ ما هذا البر بالآباء ، لم يعط أباه فرصة واحدة لكي يفكر فى التراجع أو حتى التفكير لأنه مطيع ، لم يعط أباه ذريعة من الممكن أن يتذرع بها تعينه على ألا يقدم على الفعل وهو عنده سبب واحد من ابنه يدعوه حتى لمجرد التفكير فى عدم تنفيذ الفعل المفزع ؛ بينما لو كان الابن عاقا فإنه ربما يجد من المبررات ما يجعله يقدم على تنفيذ الفعل ٠ لكن الولد إسماعيل نعم الولد الصالح المطيع لأمر أبيه وأمر ربه ؛ لأن إسماعيل يدرك ويعرف أن رؤيا والده ما هى إلا وحى من الله له بأن يؤدى هذا الفعل المفزع ، ويتله للجبين ويلقيه على وجهه حتى لا يتطلع إلى عيني ولده فيرق له حاله فيكف عن أمر الله ، ويرفع السكين ويسمى باسم الله ويكبره ، ويشهد الولد للموت ، ويمرر السكين فلم تقطع ٠فناداه ربه أن يا إبراهيم لقد أطعت أمر الله وقد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك إلى أمر الله وبذلت ولدك للقربان ، وهذا اختبار ظاهر بين وقد نجحت فيه وتفوقت٠

ما تحمله سيدنا إبراهيم من معاناة لا تتحمله أمة كاملة أى جماعة كبيرة من البشر ، فما تتحمله أمة تحمله إبراهيم بشخصه فى أكبر مأسملهاة يعرفها ويحتملها بشر ٠ ومع أن المأسملهاة مع إبراهيم تتوزع على أمة تكفيها تحملها شخص بمفرده ، ولذلك أسميتها مأسملهاة الشخصية ؛ لأن الكل فى شخص ، عكس المأسملهاة القومية أو الجماعية أو الأمة ، والتي تحملتها أمة ، مثل قوم بنى إسرائيل الذين جاء بطلهم أكثر من نبي ٠

أول ما نستدل منه فى المأسملهاة الشخصية أنها تتحقق كالآتى :

- يجلبها المصارعون والمجابهون له٠

- تأتي من الشخص نفسه بسبب الزلة ، وجاءت هنا ثلاث مرات ٠

- تحيق به من قبل الأقدار أى القوة العليا التى هى الله تفرض هذا على القوة الضعيفة التى هى الإنسان ٠ مما يجعل هذا الإنسان البطل يفعل المستحيل ويجاهد جهادا عظيما من أجل ألا يخالف القوة العليا ويكسب رضاها وعطفها ومنتها وخيرها وجائزتها الكبرى فى الدنيا والآخرة ، وهو من أنبل وأجل وأحسن أنواع الصراع ٠

- التعرف بالشيء المادي المحسوس ، إنزال كبش فداء له ويعتبر علامة التعرف بالاستنتاج٠ وقول الله له هو تعرف مباشر٠ بالوحي أن يا إبراهيم لقد صدقت الرؤيا٠

- الصراع ويتمثل فى الصراع النفسي المرير ما بين حب ولده وحب الله ، ما بين الطاعة والمعصية ، ومجاهدة نفسه والشيطان ، ما بين الغريزة الفطرية التى فطر الله الناس عليها وهى حب الولد لأنه زينة الحياة الدنيا ، وما بين طاعة الله فى الذبح ، وأن طاعة الله فى الذبح مخالفة لما أوجده الله تعالى فى الإنسان أن يعمر الأرض ويعبد الله ، فإن أطاع الله فى الذبح ، خالفه فى أمر إعمار الأرض من التناسل والحفاظ على النوع ٠، الصراع النفسي القاسي المرير مابين متناقضات جميعها فى شكلها الخارجي مخالفة لشرع الله ، وتنفيذها أيضا طاعة لله٠ صراع وابتلاء فى غاية الحيرة ٠

٢- الحبكة وتتمثل فى :

١- التغير من حال الشقاء والمعاناة إلى حال السعادة والراحة ٠ ولا تكون غير ذلك أبدا٠

٢- التحول فى القصد والنية من الفعل إلى عكسه ، من الذبح إلى الكف والتوقف عنه٠

٣- الحتمي والمحتمل ، وجاء هنا مستحيلا محتملا٠

السبب مجهول لا يعلمه إلا الله وحده فهو له فيه الحكم والتصريف ، النتيجة إثبات الطاعة لله وإخلاصها له ٠

تعريف المأسملهاة الشخصية

ولى أمر أو حاكم أو رئيس أو وزير ، أو صاحب عمل ، أو جماعة من الناس ، له هدف واحد هو الاختيار لشخص يريدون له أن يكون قائدا و مسئولا عن تكليف وتأدية ما يسند له أو يطلب منه من مهام خطيرة تتطلب أكبر قدر من الكمال ، والكمال لا يأتى إلا من تمام القيم حيث الأخلاق والسلوك والأمانة المتحققة من تمسك الشخصية بعقيدة سماوية ، والمقابل مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة وأجر عظيم وجاه وسلطان وولاية ٠ ولذا هو أو هم لابد أن يختاروا من بين شخوص متقدمين لشغل هذا المنصب الذى أعلن عنه بالصفات السابقة والمقابل أيضا ٠ ومن أجل التفضيل والاختيار لابد من الاختيار التحريري الفعلي الواقعى٠ ويأتي الدور على الشخص الذي هو محل الاختبار لا يكون له إلا حاجة واحدة ألا وهى النجاح فى هذه الاختبارات ٠ ولا يكون له إلا هدف واحد ألا وهو تحقيق وتنفيذ ما طلب منه على أكمل وجه ٠ وعند النجاح من حقه أن تكون له حاجات جديدة يريد الحصول عليها وأهداف يريد تحقيقها ٠ومن يشهد أنه نجح فى تحقيق هدفه هو من اختاره أو من اختاروه لهذه المهمة التى كلفوه بها وحق عليه – أو عليهم - أن ينفذ ما سبق أن وعده به من مكانة ومنزلة ومال وجاه وسلطان وسيادة ويساعدوه فى الحصول على حاجته وتحقيق هدفه٠ ولايتحقق عظم مأساة الشخصية إلا بهذه الاختبارات الجبارة المهولة ، والتي لابد للبطل أن ينجح فيها حتى يستطيع أن يحصل على حاجته العظيمة ، وتحقق هدفه الكبير السامي النبيل العظيم ٠ وتكون البداية اختبار بأفعال مثيرة ومدهشة ومفزعة ومؤلمة ومهلكة وخالقة للمعاناة والشفقة والخوف الرهيب لشخصية عظيمة ونبيلة ، له حاجة يريد أن يحصل عليها ويحددها من البداية ، وهدف يريد تحقيقه ، يتعارض مع حاجات وأهداف شخوص آخرين ؛ فتنشأ المشاحنة والبغضاء

والمجابهة للوقوع به ، فيقومون بعمل مفزع يهددون حياته فنخاف عليه ــ فينشأ الصراع على أشده ويكون الابتلاء يحاول التغلب عليها ويتلمس الأسباب والسبل الممكنة المحتملة أمامه وفى حدود مقدرته العقلية والجسدية ، وهو الذي أجبر على تغيير خط مساره الصحيح، ويحاول أن يجتاز هذه العقبة بكل السبل ، فيضعون أمامه عقبة أخرى في مكان آخر بدهاء ومكر وحيلة، ويحاول التغلب عليها ، فيستغرق منه وقتا ليعد عدته ويجهز أدواته جيدا، ويقطع فيه زمنا يتعلم فيه ويتدرب ، ويحسب حساباته جيدا لينجح ويواصل طريقه نحو مسعاه ، فيمتحن في أخلاقه وقيمه وقوة عقيدته ومدى تحمله فينزع إلى الصواب والصبر، ليحقق حاجته بدون ضرر، ومع ذلك يوقعون به ويضعونه في أزمة أخرى ويحاول التغلب عليها والخروج منها منتصرا ، فينازعهم وينازلهم ويحاول دفع الأذى عن نفسه ، ويتخطى تلك العقبة ، ولكنه ما إن يجتازها حتى يجد أمامه عقبة أشد وأقوى وتكون الزلة ، التى تزيد فى معاناته وآلامه ، وتصعب عليه حاجته فينتصر عليها بقوة إيمانه وثقته فى خالقه ٠ وينجح فى ذلك ويتفوق على نفسه وهفواتها ونزعاتها وأهوائها ، وينجح بكل الطرق ، ومع ذلك تتعقد أمامه كل الحلول ، ويصبح في **عقدة** كبرى مستحكمة ، وعقدة ما لها قرار ولا حل ، وخارجة عن إرادته وإرادة البشر جميعا ٠ فيستعمل كل أدواته وما يملك من علم وخبرة وإيمان كامل لا يتزعزع ، يحاول التغلب على هذه العقدة المستحكمة وينتصر على كل مجابهيه من الإنس ومن الجن ، و يتفوق وينتصر على كل شيء ، فنشاركه حيرته ومصابه وألمه وندعو له ونتضرع إلى الله ليقيه هذا المورد الذي لا يستطيع أحد تحمله ٠ويستجيب الله لدعائنا وابتهالنا وتضرعه وامتثاله ونجاحه فى الاختبار الأليم ، **الانفراجة** فيقع حادث قريب منه يكون سببا فى نجاته ونجاة من قدر عليه القدر الهلاك ، ويتم التعرف ويمد له يد العون ويبشره ليتلمس طريقه مرة أخرى ، ويتغير حظه من حال الشقاء إلى حال السعادة ليكمل خط سيره ليحصل على حاجته ، بعلمه وعمله وبشهادة الآخرين و بسعي و طلب واجتهاد منه ٠ ولكنه لم يصل إلى هدفه بعد فيعمل من أجله دون هوادة ولا كسل ولا تراخ

بل بعمل وجهد وصبر ويدفع الغالي والنفيس حتى يحقق هدفه • فيحارب من أجله ويستعمل كل سلطاته ووسائله وأدواته وقوته وصبر ومثابرة فيحل الكثير من خيوط تلك العقدة وتكون **النهاية** يواصل عمله وجهده ويواصل طريقه ليحصل على حاجته ، ويصل إلى هدفه حتى يناله ويحققه في نهاية المطاف ويقرر حقيقة عامة ورأيا لا لبس فيه وتكون النهاية•

المأسملهاة القومية

من قصة بنى إسرائيل ، انظر فى كتابى (أسس وقواعد الأدب والرواية من القرآن الكريم) القصة القولية الملحمية والقومية •

مأسملهاة الأخلاق

من قصة سيدنا يوسف وقد سبق شرحها بتوسع فى كتابى أسس وقواعد الأدب والرواية من القرآن الكريم •

مأسملهاة القيم

انظر فى أصل تعريف الفعل • وهى من سيرة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث أجملنا قصة المأسملهاة فى بداية الكتاب ،

الفصل التاسع

القصـــة الفعلية المأســـاة

(التراجيديا)

مفهومالمأساة من القرآن

نوعا المأساة

وجها المأساة

التفاسير الأربعة للمآساة

مفهوم المأساة من القرآن

يتجلى مفهوم المأساة من هذا التناول فى الحقيقة وفى الواقع وفـى أنفـسنا نحـن البشر، من مأساة صغرى حتمية ، ومأساة كبرى محتملة ، كما أخبرنا الله بها ويعرفهـا البعض من الناس الطائعين منا والعاصين ، بشكل لا لبس فيـه ، وبعيـدا عـن سـر المأساة للقصة نبتغيها لا تحمل غير نهايتها مما لا تسمن ولا تغنى مـن جـوع لـسبر أغوار ودهاليز القصة المأساة بوحداتها السبع ، بل سنناقش المأساة فى حياتنا ودنيانـا التى من الممكن أن تتحقق لأى واحد منا ويكون بطلا لها ، وبذلك نعكسها على القصة من مشاربها وأصولها الحقيقية من أنفسنا ، لأننا كذلك بالفعـل نـسير ونعمـل ونجـد ونجتهد فى دروب الحياة نبتغى السعادة وننشد الراحة وتحقق الأهداف والآمال ، ونحن لدينا تخوف من أن تنزل بنا نازلة تضرب أسباب سعادتنا وتقضى علـى أدوات قوتنـا التى تحصلنا عليها من بعد جهد جهيد وعرق أكيد ، ولكنها مؤجلة لموعد غير معلـوم، مع أننا متأكدون من ذلك ، ولكنها لا تظهر بوضوح للبعض منا وربما لا ينـشغل بهـا الكثيرون ومعهم بعض الحق بدعوى أنه ما من قضاء لله إلا وينفذ وليس بوسـع أحـد صده أو منعه أو الهروب منه ، ولا ننكر عن مثل هؤلاء الناس إيمانهم وعدم انشغالهم بما لا يعرفونه على وجه الدقة والحقيقة ، ولكن معرفتهم بشكل عام بأن أمر الله لا يرد أبدا إلا بشىء يسير لا يكلف شيئا ولا جهدا ولا عناء ولا يستحق من أن نجـيش مـن أجله الجيوش لأنها ليس بوسعها صد عدوانه أو منعه إلا بالدعاء ، وهـذا غايـة مـا نستطيعه وما نمتلكه ، وهو السلاح الوحيد الفعال الذى لا يصد البلـوى ولكنـه فقـط يخفف منها على القدر الذى يأذن به الله فارضها ومقررها وميـسرها أو مـصعبها ، بينما العامة من الناس الذين هم السواد الأعظم منا ، والذين يعانون أصلا من الصراع

في دروب الحياة الشاقة المجهدة ، من أجل استيفاء حاجـاتهم الـضرورية ، والقيـام بأعبائهم العائلية ، ومتطلباتهم العقائدية التى نلتزم فيها بـالطرق المـستقيمة ، والتـى تفرض علينا صراعا آخر مع أنفسنا التى لها مادة وهى الجسد وعاء الروح ، والجـسد له احتياجاته وضروراته وفرائضه الكثيرة الضاغطة بقوة علـى (بوصـلة) ضـبط الروح وهو عقل القلب المتقلب القابل للتغير لا الثبات التام الـذى تـأمن لـه ، إلا أن المؤمنين منا الثابتين على إيمانهم هم وحدهم الذين يسلمون من ضغوط وهوى وتميـع البوصلة الموضحة وهو القلب الذى يمرض ، وعند مرضه لا يكون للروح مرجع ولا محدد ولا منظم لأوامرها وفرائضها والتى تسوق النفس إلى طرق عدة يستفرد بقرارها عقل المخ الحر مستغلا فقدان البوصلة أو تعطلها أى حين إصلاحها ، وتدخل الـروح النفس في العصيان والعناد وعدم الانصياع للأوامر والنـواهي الربانيـة تلهـث وراء حاجياتها التى لا تحدها حدود ولا تمنعها موانع ، تلك الروح المتمـردة الحـرة التـى تسكن الجسد وتفعله من قوى شهواتها وغرائزها وحاجياتها الداخلية ولهـا فرائـضها ومتطلباتها . وكذا قوى الشيطان الذى يريد أن يضل النفس عن جادة الطريق القـويم والنهج المليح ويضغط , ليضلل عقل القلب ويلوث الروح النقية الشفافة التى تتوق إلـى العلاج بعد ذلك إن اهتدت ، كل ذلك يزيد من أوار الصراع النفسي الـذى إن انفلـت يعاند القوة العليا سيتحدى مشيئتها وذلك هو الخسران المبين . بينما الوجهاء والأمـراء والوزراء وأصحاب المكانة والحظوة والمال والسلطة والنفوذ ومـن فـى مـستواهم ، يظهر بوضوح لديهم هذا التخوف من أن تنزل بهم نازلة أو تحط عليهم مصيبة تـسلب منهم ما هم فيه من عظيم النعم ، وجلال المكانة ، ونبل الوجاهة ، وحـلاوة النجـاح ، ومتع النفوذ ، وطراوة السيادة ، وجمال السعادة ، وقهر الشقاء ، مما يصيبهم بـالتوتر والقلق والضيق من جراء الهم من بلية منتظرة ليس على الأعتاب قـدومها ، وربمـا تكون بعيدة مما تجعل البعض منهم يسترخي مستبعدا حدوثها الآني مما لا يجعلها فـى

بؤرة الاهتمام ، ولكنها كامنة فى وجدانه وراء خطوط الدفاع ، مما تساعد على عدم الاستعداد لها أو الانشغال بها تمام الانشغال ، تستدعى إلى بؤرة الاهتمام حين التعرض لأى مخاطر تلوح فى الأفق ، ولكنها سرعان ما تهمل إلى ما وراء خطوط الدفاع الواهية عندما لا تحدث ، لمتانة المكانة للبعض منا الذى يخيل إليه أنه بوسعه أن يكون فى مأمن إلى حد ما منها ، ويتخيل بعدها ، بناء على تعقل وفكر رشيد يجعله يجيش لها ما يستطيع تجييشه من ماديات وخلافه ، وتوثيق أواصر الروابط بكل الأدوات ما بين المال والسلطة ، والبعض منهم من له بصيرة يجيش إلى جوار السابق أفعال الخير والبر التى تقربه من الله تخفف عنه عند البلية بتبسيطها لا رفعها بالكلية ، وهؤلاء الفئة منا هم الراشدون فعلا والمستعدون حقا لما نستطيع الاستعداد له من بلوى لا نعرف لها موعدا ولا مكانا ولا غيره ، مع إدراكنا جميعا على السواء أنها مهما تطول فهى نازلة لأنها فرض من الله علينا يعرفه الطائعون أكثر من العاصين ، ولكنها مجهولة الموعد والميقات والمكان وهذا سر بلائها وتفوقها وانتصارها وجبروتها من أنها لا تقاوم ولا ترد حتى ولو كان هنالك استعداد كما قلنا ووصلنا إلى أكثره نفعا ، وحينها يتأكد الساهون والمستعدون من بطشها ويستبينون حقيقتها ويعرفون شدة وقعها وبأسها وفعلها المزلزل ، حسب مكانته ومنزلته تقضى على بعض أسباب سعادته ، وإما تسلب بعض أدوات قوته ، مما تسبب الألم الشديد والخسران الكبير والمعاناة العظيمة والحزن العميق ، وهنا يتبدى عظم المجابهة بالرضي وعدم العناد ، ونبل الصراع بالصبر وعدم التسرع ، وطهر المحاربة ليس بالرفض بل بالقبول والشكر ، مما تتطلب أكبر قدر من السيطرة على النفس الثائرة المنكسرة المغلوبة التى تبحث عن جبرها ودوائها بكل السبل ، وهى ما يجب كبحها والسيطرة عليها حتى لا تذهب بك إلى المهالك الحقة التى تجعلك تعاند القوة العليا وترفض مشيئتها المتحققة فيك ، فلا تستبين الطرق السليمة التي يجب عليك أن تسلك ، ويغيم

الطريق وتندفع نحو الخطيئة التى لا تغتفر تظنها المخرج لك مما أنت فيه وهـو لـيس حقيقة ، وإن لم تتريث وتعاود التفكير وتتحمل الصبر المرير وتشكر الله على ما ابتلاك لن يهتدى قلبك إلى السبيل الذى تستعيد منه أسباب قوتك وأدوات نجاحك ، بل ستستمر تتحدى الله ومشيئته وقضاءه وقدره ، مما يحملك على العصيان التام والعنـاد الأكبـر والتحدي الذى لا تقدر عليه وترتكب الذنب تلو الذنب ، حتى يصدر الله حكمه المهلـك فيك ٠ وهو الذى لا يعاند ولا يرد بأسه ولا بلاؤه إلا بالاستعانة به علـي مـا قـضى وفرض وأمر وهو غاية الجهاد من الصالحين منا ، مما يحمله على الرحمة والاستجابة واليسر والتبسيط والتهوين من وقع البلوى ، ويعوضنا بأسباب سعادة أخـرى أو أدوات قوة جديدة ؛ لأن ذلك ليس نهاية الدنيا وليس نهاية النفس لأن البلوى هدفها لا تقـضى على النفس بل لتمتحن صاحب النفس أيستحق السعادة أم يستحق الحـزن ؟! أيـستحق الحساب أم يستحق المكافأة ؟! أيستحق النجاح أم يستحق السقوط ؟!! أيزل زلة متعمـدة أم يزل زلة غير متعمدة ؟! ومن خلال النتيجة يتحدد مصير الإنسان وتتحدد نهايتـه ، إن كانت بفاجعة مسببة تقضى على المادة الحاملة للروح وهو الجسد وتفنيه وتحطمـه وتكسره ، أم بنهاية طبيعية تفارق فيها الروح المادة الحاملة لها , ممـا تتركهـا تفنـى وتتحلل ويأكلها الدود ، وتذهب هى إلى حيث مستقر حسابها أو عقابها ، إلى الجنـة أم إلى النار ٠ ولذلك سنصوغها بشكل مفصل من زاوية قوة الضعف المخلوقة ، وقـدرة القوة الخالقة ، والعلاقة بينهما المولدة للمأسـاة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾

[الذاريات] إن الله هو القوة الكبرى المقدس عن الضعف ٠٠والقـوة العليـا الجبـارة المهولة المنزه عن النقص ، والقوة المسيطرة المتحكمة المهيمنة التى لا تقهر، والقـوة الخالقة التى لا تدانيها ولا تساويها قوة أخرى فلا يغالب ؛ لأن له القدرة والقـوة كلهـا

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ

ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر] وهو الإله الذى لا اله إلا هو ، الملك الحاكم المتحكم فى جميع الأشياء ، المالك لها والمتصرف فيها كيف يشاء ومتى يشاء بدون أدنى ممانعة أو مقاومة أو مدافعة ، ولا يحتاج إلى مساندة ولا معاونة لكى يتفوق وينجح ويسود لأنه سلم من كل عيب وكل نقص وكل ضعف ، الرقيب على كل خلقه فلا تخفى عليه خافية مهما تدنت وصغرت وأخفيت ، العزيز الذى لا يغالب ولا يقاوم ، الجبار الذى لا يقهر بل هو الذى يقهر جميع العباد ، المتكبر الذى له الكبرياء والعظمة لأن أمره من قوته لا يرد ولا يهزم أبدا ، يتكبر ويتعالى على من يخالفه ويعانده ، وليس له نهاية ينتهى عندها ولا تحدها . ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة] وهو الذى خلق جميع ما فى الأرض ومهدها وثبتها وزينها وجملها ، وكذلك خلق سبع سماوات ، عليم بكل شيء يحدث فيهم ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنعام] وهو الذي خلق أبا الإنسان آدم من طين وأنتم أيها الناس سلالة منه ، ثم كتب مدة بقاء الإنسان في هذه الحياة الدنيا وقيد عمره بمدة محددة متفاوتة ومختلفة من واحد لآخر ، وكتب له أجلا آخر محدّدًا لا يعلمه إلا هو جل وعلا عندما يعيده إلى الحياة مرة أخرى يوم القيامة الذى يتم فيه الحساب ، ثم أنتم أيها الناس بعد هذا تشكّون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ

ﭐلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ [الروم] الله الذى هو القوة العليا هو الذى خلق الإنسان الذى يمثل القوة الصغرى الضعيفة التى تقوى ، ولكنها تظل القوة الأدنى الضعيفة بالنسبة للقوة العليا ، ولذلك تحتاج إلى المساندة والمعاونة مهما بلغت من قوة حتى تستطيع التفوق والنجاح ، ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد] لأنها خلقت فى تعب وعناء وجهد مما يحد من اكتمال قوتها إلى أوجها الذى به تستطيع المواجهة والوقوف أمام أى قوة ، ومع ذلك تستطيع أن تطور نفسها وتصل إلى درجة من القوة التى بها تتفوق وتنجح وتستطيع أن تسير فى الحياة وتحقق الكثير وتصل إلى درجة كبيرة من النجاح والسعادة والغرور ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق] بعد أن علمتها القوة العليا ومكنتها من حسن إدارة شئونها وبسطت لها الأرض ومهدتها وزينتها وجملتها وأمرتها أن تخرج خيرها ونفعها له ، لتعينه على الحياة ليحقق المطلوب منه وهو إعمارها ويكون خليفة للقوة العليا فيها ، فهى لم تخلقه عبثا ولم تزين له الدنيا لهوا ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل] ولم تتركه فى حيرة لا يعرف ماذا يصنع وماذا يعمل وما المطلوب منه ، وقد خلق وأعد الله له هذه الدنيا الواسعة وجملها وحسنها لتكون فى خدمته يعيش فيها ويأكل من خيرها وينعم بما فيها بدون أن يعلمه ويعرفه ماذا يريد منه؟! بل ينزّل الملائكة بالوحي من أمره على مَن يشاء من عباده المرسلين الذين يختارهم من بين الناس

ويعهد إليهم برسالته وما يطلبه من توضيح وإعلام وإخبار للناس ، ومن أولها بأن خوّفوا الناس من الشرك بمن خلقهم وجعلهم فى أحسن صورة , وأنه لا معبود بحق إلا هو ، فاتقوه وخافوه بأداء فرائضه التى يطلبها منكم وفرضها عليكم ، من إفراد العبادة والإخلاص له وحده . ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة] وقد أرسل رسله مبشرين لمن يطيع الله ومنذرين للذين يخالفونه ولا يطيعونه وذلك بعد أن أنزل مع كل نبى كتابا منه يوضح فيه ويعلم ما يتوجب عليه فعله ، وما يتوجب عليه تركه ، وهو المرجع الحاكم لما يشب بين الناس من خلاف وصراع ، وألزم الناس أن تطيع أنبياءه ورسله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء] وقرن طاعته بطاعتهم ليكون كلامهم موضحا وشارحا وهاديا وملزما لجميع الناس ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد] وقد وضح لهم الطريقين طريق الخير والطاعة وطريق الشر والمعصية ، وترك لهم حرية الاختيار ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب] لما فضلهم به عن سائر المخلوقات من عقل فى المخ يمكنهم من اختيار ما يفعلونه سواء كان طاعة أو معصية ، ولكنه تعالى قرن هذا الاختيار بحساب ، ولكى يكون عادلا فى حسابه ليعرف المطيع من المذنب

فرض على الإنسان الابتلاء الذى هو امتحان عظيم شاق صعب ، تنزل بالإنسان بليـــة عظيمة ومأساة تسبب الألم الشديد والمعاناة العظيمة والحزن الكبير ، لتجازى وتكـــافئ من ينجح فى الابتلاء ويتحمل نتائجه بصبر وعزيمة يسير فى طاعته راضيا بما حدث له ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [النساء] مصدقا بوحدانيته وأقرّ بنبوّة رسله أجمعين ولـــم يفـــرق بين أحد منهم وتمسك وعمل بشريعة الله ، أولئك سوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على إيمانهم به وبرسله، وكان الله غفورًا رحيمًا لمن يزل منهم زلـــة غيـــر مقـــصودة ولا متعمـــــدة﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل] تغفرها له القوة العليا وتجعلـــه يـــستمر يعيش حياته بسعادة ، وتعاقب بقوة وقسوة من يخالفها ويعاندها ويكفر بها ويزل زلـــة مقصودة ومتعمدة ومتواصلة بدون رجعة ولا توبة تحول حياته إلى بؤس وشقاء وفشل وعنـــاء ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ [المائدة] لأنهم جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين ، وكذّبوا بأدلته التي جاء بها الرسل ، هم مذنبون ومن أهل النار الملازمون لها ،

نستنتج مجموعة من الاستنتاجات وهى أن المأساة تتولد وتنـــتج وتتحقـــق مـــن خلال العلاقة بين القوة العليا : الله ، والقوة الضعيفة : الإنـــسان ، ســـواء بالاتحـــاد والتوافق من القوة الضعيفة بطاعة القـــوة العليـــا ، أو التحـــدي والـــصراع معهـــا وعصيانها ، ونصل إلى المعنى المطلوب توضيحه ، ما المعيار المحـــدد للمأســـاة ؟ حيث تظهر على وجهين ، وتحمل على ثلاثة احتمالات ، وتفسر على أربعة تفاسير ،

وتتحقق على أربعة أنواع ، وهناك قاعدتان حاكمتان لها ، كما تشمل صنفين إما شخصية وإما قومية ، وكلها صحيحة الاستنتاج لأن لها أدلة من قصص القرآن سنوردها فى موضعها بما هو مباح لنا وميسر لنا فهمه وإدراكه لأنه من المعلوم لنا وهنالك نوع غير معلوم من الغيبيات لا نعرفه ولن نستطيع أن نعرف أسبابه ولماذا يحدث .

المعيار المحدد لعظم المأساة

المعيار الوحيد تحدده العلاقة بين القوة العليا – الله – والقوة الضعيفة – الإنسان – هذه العلاقة تتجلى فى الطاعة أو المعصية ، وتفرز ثلاثة أنواع للنفوس البشرية ، كما حددها الله – تبارك وتعالى – وهو العليم بكل شيء والمحيط به ، وهو الذى خلق النفس ويعرف أسرارها ويحدد أطوارها ويكشف مكامنها المعلنة والمخفية ، وبالتالي يحق له أن يحددها ولها ثلاثة وجوه لا ثالث لها ، إما الطائع ، وإما العاصى ، وأما المزاوجة بينهما . ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء] من يطع الرسول الذى أرسله الله للناس من أجل أن يحدد لهم ما يتوجب عليهم فعله وما يتوجب عليهم تركه ، ويبين ووضح لهم الطريقين اللذين رسمهما الله وحددهما ووضحهما الرسول الموكل والمختار من قبل الله وأيها يسلك وأيها يترك ، فمن يطع هذا الرسول يطع الله وهو من أصحاب ﴿ ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفجر] النفس المطمئنة العامرة بالإيمان ، الآمنة من عقاب الله لأنها طائعة لله محبة له ولرسوله الذى أرسل مصدقة له غير معرضة عنه ، لأن الرسول ما هو إلا بشر، وواحد من الناس اختاره الله بناء على مشيئته وخصه برسالته وحفه بالعناية والرعاية والعصمة

وأيده بالمعجزات الخوارق للعادة ، حتى لا يشك المتجبرون ولا يرفض المتكبرون ولا يقتنع المعاندون ، والتى تؤكد صدق رسالته وحقيقة دعوته وسر علاقته بالله الذى أمـر فيجب الطاعة والانقياد لما أمر ، والإعراض عما نهى عنه ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ [التغابن] فيما بلغكم به عن ربه ، فإن أعرضتم أيها الناس عن طاعة الله ورسوله ، فليس على الرسول ضرر في إعراضـكم وإنما عليه أن يبلغكم ويوضح ويشرح لكم ما أرسل به من تعاليم من عنـد الله بلاغـا واضح البيان ، وأنتم أحرار فيما تختارون من بين طريقين بما أنتم مميزون بـه مـن عقل فى المخ وعقل فى القلب ، سواء اخترة الطاعة التى تفوزون بها برضي الله وهـم أصحاب النفس المطمئنة العامرة بالإيمان ٠ أو تعرضوا وتخالفوا فتنالوا عقابه الـشديد وسخطه الكبير وغضبه العظيم فى الدنيا والآخرة ، ويتحمل كل واحد نتيجـة اختيـاره وعمله وفعله وقوله فكل شيء سيحاسب عليه ﴿ ٠٠٠ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنفال]من يخالف أمر الله ورسوله وهو مـن أصـحاب الـنفس الأمارة ﴿ ٠٠٠ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] يعاند ويعصى ويذنب ويصر عليه فإن الله شديد العقاب له فى الدنيا والآخرة ٠ وأما من يزاوج بين الطاعـة والمعـصية صاحب النفس التى أقسم الله بها ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [القيامة] لحبـه لهـذه النفس الصالحة التى تحاسب صاحبها تلومه على ترك الطاعات وارتكاب المعاصـي ، واعدا إياها بالعفو والسماح والغفران حال الرجوع إليه بالتوبة عن المعـصية ﴿ إِلَّا مَن

تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان]

وما يثبت صحة ما أوردنا من اجتهاد وتحليل من هذا المنظور العقلاني بالقياس والاستنتاج المؤيد بمنظور دينى ، ما قصه الله تعالى يؤكد هذا التطابق وهو يشرح نفسه بدون ترتيب منى , كما فى الجزء السابق بل هو ترتيب الله العلى القدير ، فى قصة شهيرة جدا لشخصية أشهر وهو فرعون مصر العظيمة ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص] فرعون عندما كتب الله عليه هذا القضاء وهذا الحكم وهذا التحدي لم يكن يعرف الله ولا يعلم ما فى الغيب ؛ لأنه أولا لم يكن فرعون يعرف أن للكون إلها ، وثانيا كان يظن نفسه هو الإله الحاكم المسيطر ولا أحد غيره ، ولذلك كان يفعل ما يريد يحب من يحب ويستذل من يريد ، فأحب قومه من المصريين الفراعين ، وكان يكره ويستعبد الإسرائيليين الذين ليسوا من أصل قومه بل من أرض كنعان وقدموا إلى مصر واستوطنوها إبان تولى واحد منهم سيدنا يوسف وزيرا فى عهد استعمار مصر من الهكسوس الرعاة , كما أثبت علماء التاريخ وأكد على ذلك دكتور زغلول النجار (جريدة الأهرام) ولذلك فرق فرعون الذى تتحكم فيه النزعة العرقية والاستعلائية فى المعاملة بين قومه وقومهم واستعبدهم وعندما عرف أنهم يتناقلون ويتواصون فيما بينهم أنهم أولاد وأحفاد أنبياء الله وهم فعلا كذلك – بالنسبة لنا لا له – وإن واحدا منهم سيكون زوال ملكه على يديه ، بل وهلاكه نفسه ، مما أشعل النار فى جوفه ، يريد أن يتحدى تلك المقولة التى أقلقت

مضجعه إلى أبعد حد وأراد أن يحترز تمام الاحتراز ؛ لأنه يواجه خطرا شديدا سيهلك فيه ويفجع فى حياته ، لذلك صراعه من أجل ما يتهدد حياته صراع به من النبل ما يحملنا على الإشفاق والعطف والخوف والاحترام ، ويحملنا على المؤازرة والرأفة وهو يجاهد ويصارع من أجل سلامة نفسه ويجابه ما يتهدده من بلوى ، رغم أنه ملك لدولة كبيرة ويمتلك من الأدوات من جيش وشرطة ، ولكننا بشعورنا الإنساني النبيل نتعاطف معه لأنه رغم ما يتمتع به من مكانة وقوة إلا أن هنالك جهة ما تهدد حياته . فأمر بقتل أى ولد يولد لبنى إسرائيل من الذكور ، وهو الذى يأمر فيطاع ، أصدر أمره وهو فى كامل وعيه وبنية كاملة وعزم صادق بذبح كل الغلمان ، وهى جريمة كبرى لا تغتفر ومن أولها قطع الشفقة والعطف والخوف والمؤازرة منا عليه ؛ لأننا أدركنا وتأكدنا من مدى جرمه وذنبه الذى ارتكب ، ومتحديا المشيئة الإلهية التى لم يكن يعرفها ، ولكنه تحدى النبوءة ، فماذا حدث ؟ تحدى فرعون من لا يستطيع بشر تحديه ، وولد الغلام موسى ، والأنكى أن جعل فرعون نفسه هو الذى يربيه فى قصره حتى صار شابا قويا ، وبما أن الله عادل وعدله مطلق لا ينزل غضبه ولا يحق عقابه إلا على من يعرفه وينذره ولا يطيعه ويقيم البينة عليه ، لذلك كبر موسى وعرفه الله على ذاته العلية ، وأيضا على حقيقة فرعون ومن سواه من البشر أن لا أحد منهم إله بل هو إله لهذا الكون الخالق له والمتحكم فيه ، وليس لأحد فيه مشيئة تعلو غير مشيئته هو تعالى ، فأرسله لفرعون ليعرفه ما يتوجب عليه فعله وما يتوجب عليه تركه ، وأنه ليس إلها ولا تجوز العبادة له ، وليس من حقه أن يفرق بين رعيته مهما كانوا ، وأنه يريد أن يسمح له بخروج من يستعبدهم إلى حيث أمره الله بالعودة إلى بلادهم بيت المقدس التى كتب الله لهم ، ولكن فرعون عاند الله بعد أن أراه سيدنا موسى المعجزتين ثم بعد ذلك معجزته على انتصاره على السحرة ، ولكن فرعون لم يرتدع ولم يتراجع ولم يطع الله الذى صار يعرفه وأصبح معلوما بالنسبة له من خلال موسى ، وأقام

الحجة والدليل على نفسه من استحقاقه غضب الله وعقابه ، ففجعه الله في حياته وأغرقه فى البحر الأحمر .

وجها المأساة

الوجه الأول : المأساة الصغرى وهى مفروضة على الناس جميعا الطائع منها والمذنب .

وتعنى الألم الشديد والمعاناة العظيمة والحزن الكبير الذى لا يستطيع كائن من كان رده أو منعه أو عناده أو مقاومته أو الوقوف ضد مشيئته ، وينتج من الابتلاء المفروض من الله على جميع الناس ، والعناد فيه لا يفيد ، والصراع من أجله لا يجدي وتحديه مستحيل ؛ لأنه من الله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك] الذى خلق الموت والحياة ؛ ليختبر الناس أيهم يعمل خيرا ويخلصه ، وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء ، الغفور لمن يتوب منهم ويتمسك بطاعته . وليس بوسع أحد أن يهرب من هذا الاختبار لأنه واقع به ومتحقق لا محالة ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت] حتى لا يظن الناس أن بوسعهم أن يقولوا آمنا دون امتحان واختبار لقولهم هذا ، ولكن الاختبار لا يفقد فيه الإنسان حياته ، ولكن النجاح فيه ليس صعبا مع أنه مكلف تكلفة كبيرة يخسر فيه الإنسان إما أسباب سعادته وإما أدوات قوته ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ

﴿ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة] والتى بإيمان وصبر وجهد وعزيمة وتمسك بطاعة الله ، وطلب المعاونة منه تعالى﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة] يستطيع أن يستعيد أسباب سعادته ، أو أدوات قوته ويواصل حياته نحو السعادة حتى منتهاه الطبيعي الحتمي الذى ينتهي إليه جميع الناس وجميع الخلائق وهو الموت ،ويتجلى الصراع كما سبق أن قلنا ليس فى صدد ما يتهدد بعض سعادته أو بعض أسباب قوته ، ولكن الصراع النبيل يتجلى فى الكيفية التى تجعله ينجح فى تحمل آثار البلوى ، وكيفية الخروج منها نحو اكتساب واستعادة أسباب سعادته وأدوات قوته دون أن يخطئ الخطأ الكبير العظيم بنية وتعمد ، مما يحمله على عدم الرجوع ويلتزم جادة الصواب من طريق مستقيم غير معاند للقوة العليا ولا متحد لمشيئتها بدعوى أنه أخطأ وواصل الخطأ الذى يوصله إلى الضلال ويورده مورد الهلاك ، ولا تساعده القوة العليا بكشفه له هذا الضلال بل تزينه وتجمله له ، مما لا يعرف للحق طريقا ولا للهدى سبيلا ولا للنجاة سلاحا مرة أخرى ، ويظل الأمل فى النجاح والنجاة معقودا على قمة المحاربة والانتصار والتفوق ألا يدخل نفسه فى صراع هو لا يقدر عليه ، يتأتى من عناد ومجابهة القوة العليا نفسها ، مما يحتم ويستوجب على نفسه الهزيمة والبلية العظيمة التى لا تبقى ولا تذر عليه ،

الوجه الثانى : المأساة الكبرى وليست مفروضة على الجميع : التى تعنى الطامة الكبرى والبلية العظيمة والفاجعة المهولة التى تنهى الحياة ، **وهى تخص بطل المأساة الشخصية السوداء ، والمأساة القومية السوداء ،**

من الله على إنسان خالفه ولم يطعه ففجعه فى حياته وسعادته وأسباب قوته بأسباب مقنعـــــــة ٠ ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المرسلات]

من أجل الله فى إنسان لم يخالفه وأطاعه ففجع فى حياته وسعادته وأسباب قوته بأسباب وجيهة ونبيلة وعظيمة ٠

وعلى ثالث لم يخالف الله وأطاعه أو كان بمنزلة بين الطاعة والمعصية ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [آل عمران] ومع ذلك فجعه الله فى حياته دون أسباب واضحة وهى من الغيبيات التى لم يطلع عليها أحد ٠

الاحتمالات الثلاثة للمأساة

الاحتمال الأول للمأساة : ليست قدرا محتما لا مهرب منه :

المأساة تعنى الطامة الكبرى ، والبلية العظيمة ، والفاجعة المهولة والخسارة الجسيمة، للإنسان الفاضل النبيل المؤمن المطيعالذى هو القوة الأضعف تفعل المستحيل من أجل رضى وطاعة القوة العليا وعدم مخالفتها ولا الصراع معها ولا الخروج عليها ولا عنادها وهو الذى يسير فى الطريق الشاق المحفوف بالأمان من القوة العليا ،﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقــــرة] المحفـــــوف بالمخاطر المهولة والأشواك العظيمة والموانع الكبرى من الشيطان ومن أعوانه من

الإنس الذين يصارعونه ويعارضونه - يسير بكل ثقة وعناد وصبر وعزيمة قوية وعمل مخلص ومقاومة عظيمة ، وتحد كبير وصراع مرير من أجل ألا يتصادم أو يخالف أو يصارع أو يعاند القوة العليا التى هى الله ، لينجو من عقابها وغضبها ويكسب رضاها ويفوز بجائزتها الكبرى ، مستعدا فى ذلك أن يدفع عمره موافقا أن ينجح فى حياته على ألا يخالف هذه القوة العليا مهما حدث ، والتى لا تتركه يفعل ذلك دون أن تختبره اختبارا عظيما وشاقا ومكلفا مفروضا عليها ، لتعرف المطيعة من العاصية ، المحسنة من المسيئة من تستحق الثواب ممن تستحق العقاب ، من تستحق السعادة ممن تستحق الحزن ، من تستحق النجاح ممن تستحق السقوط ، من تستحق الرضي ممن تستحق الغضب - امتحان لا يستطيع تحمله إلا من كان صادق العزم شديد الطاعة قوى الإيمان يستحق أن يكون بطلا ، فيتحمل الاختبار ويدخل فى غماره متحملا كل نتائجه مستعينا بالقوة العليا على نفسها وفرضها ، يبذل فى سبيل ذلك تمام البذل مستعدا بالتضحية بنفسه ، متسلحا بالصبر والعزيمة الفولاذية ، مصمما على النجاح الذى يتجلى فى عدم التذمر أو التمرد أو العناد او التحدي ولا العصيان للقوة الكبرى ، ويستطيع أن يقاوم ويبذل عظيم الجهد والعرق ، ويستعيد أسباب قوته وأدوات نجاحه بدون عصيان القوة الكبرى التى تغفر له غلطة قد يفعلها بغير معرفة ولا قصد ولا عمد ويرفل بسببها فى معاناة كبيرة يحاسب نفسه حتى يكتشف خطأه فيسارع بالتوبة والتذلل بطلب الصفح والغفران حال اكتشافه أنه فى سبيل رضى الله أخطأ، وهو الذى يجاهد من أجل عدم عصيانها وكسب عداوتها ونيل عقابها الشديد الذى يعرف أنه لا قبل له على تحمله ، ويظل يقاوم عداوة الشيطان الذى يشده نحو المعصية ، ويصارع شهوات نفسه ومطامعها وغرائزها وتمردها وتكبرها ، ويصد كل من يحاول استمالته نحو المعصية بقوى الإغراء والفساد والمكانة والمال ، ويحدوه أمل أن ينجح ويتفوق ويتغلب على كل من يصارعه ويقف فى طريقه ويحاول أن يدخله أتون عصيانها والتصادم معها ويصده عن كسب رضاها والفوز بجائزتها ووعدها ونعيمها غير مخالف لمشيئتها التى لا يعرفها ، غير مستحق غضبها وانتقامها ، ويصارع ويجابه

ويحارب حتى ولو فقد نعيم الدنيا وسعادتها ، ببلية عظيمة وفاجعة كبرى من قوى الشر التى لا تبقى عليه ولا تذر ، تتغلب عليه وتنهى حياته التى لا يندم على فقدانها وخسارتها لأنه ضحى بها ولم يخالف القوة العليا التى وعدته بالنعيم المقيم والجزاء العظيم ، ويتجلى عظمها ونبل بطلها أن ما اختاره من طريق ليس قدرا محتما عليه ، لا مهرب ولا مفر منه مجبرا أن يسير فيه حتى النهاية ، بل هو اختيار بإرادة حرة كاملة ، لأنه بوسعه أن يختار غير ذلك ، **وهى تخص بطل المأساة الشخصية الإلهية ، والمأساة القومية الإلهية .**

الاحتمال الثانى للمأساة : قدر حتمى لا مهرب منه :

للإنسان الذى هو القوة الأضعف يخالف الله الذى هو القوة العليا أو يتحدى مشيئتها ، ولا يظهر ذلك جليا من البداية التى قد نرى فيها هذا الإنسان السعيد ذا المكانة الكبيرة أو حتى المتواضعة يقاوم شرا أو خطرا أو بلية ما ، هو يعد لها ويقاومها من أجل ألا تقع به وتسبب له التعاسة والحزن والألم أو تفجعه فى حياته أو تهدد سعادته أو تضرب أسباب قوته ، مما يحملنا على الخوف على مصيره المرير الذى من الممكن أن يلاقيه حال فشله فى دفع الضر عن نفسه ، لأننا في بداية الأمر نتوهم ونحسبه ونعده أنه فاضل ونبيل وبريء ومطيع لله ، ولكن مع توالى أعماله التى تكشف فعله وتستبين جوهره نعرف أنه يخالف الله ويعاند مشيئته ويخالف أوامره ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) ﴾ [غافر] ويصر على عناده وتكبره وغروره مختالا بقوته معتمدا عليها يعاند من لا يعاند ، ويصارع من لا يصارع ، ويغالب من لا يغلب ، ويتفوق على من لا يستطيع التفوق عليه ، ويكسب من الذى لا يخسر أبدا ،

و يدخل فى حرب خاسرة.لا يستطيع كسبها أبدا ، ومع ذلك يعاند ويكابر ويدخلها على أمل ، مخيلا إليه أنه باستطاعته منازلتها ومغالبتها يقبل الصراع معها وعنادها ، وهو الذى يسير فى الطريق الشاق المحفوف بالمخاطر المهولة والأشواك العظيمة والموانع الكبرى بكل ثقة وعناد وصبر وعزيمة قوية وعمل مشين ومقاومة جبارة لكل قوى النبل والرحمة ، وتحد كبير وصراع مع القوة العليا ، يشترى عداوتها ويجلب غضبها ويثير سخطها ويستنفد شفقتها ويفقد رحمتها ويخسر كرمها ، وهو ما يسحب من رصيد العطف والرحمة والمؤازرة والشفقة والخوف والحزن عليه ، تلك المشاعر الإنسانية الطبيعية التى تتجلى بوادرها وتتولد فعالياتها من مبعثها وتولدها وإثارتها من مكامنها داخلنا نحن ، من أجل قوة ضعيفة إنسان مثلنا لم نعرف حقيقته بعد ، تدخل فى صراع مع قوة عليا كبرى تفوقها ، ولكن سرعان ما ينسحب هذا الرصيد وتتبخر تلك المشاعر المتولدة إلى عكسها من الذم والقدح ،عندما ندرك أنه هو نفسه الذى لديه ميل بقبوله دخول الصراع بنية مبيتة وعزيمة غير مهتزة مخالفا لما هو عليه سائر القوى الضعيفة التى تطلب مساعدة القوة العليا لا الصراع معها ، وهو الذى لا يقدر عليه حتى لو بذل عظيم البذل ، وليس لديه أى ميل أن يخسر أمامها أو أن يتصالح معها ويعترف بقوتها وسطوتها وتسيدها وتفردها ، وهى التى تصطبر عليه وتمد له فى غيه مدا عساه يتراجع أو يتوقف أو يتوب عن عنادها ، تفرد له جناح الرحمة وتمد له يد الصلح وتفتح له باب التوبة ، وتخلق له جسور الرجعة ، ولكنه يواصل عناده وصراعه متخيلا أن بمقدوره مجابهتها ومصارعتها والتفوق عليها والنجاح بدونها ، فتمتحنه لتذكره وتنبهه بعظيم قوتها ومقدرتها وسكوتها وإرادتها – تمتحنه فى أسباب سعادته وأدوات قوته ، توقع به ألما شديدا ليعيد حساباته ، وتمنيه بخسارة كبيرة فيهما أو فى إحداهما ليحزن ويستفيق من عناده ويعرف قدر نفسه ، كما تؤكد على نيته السيئة وعزمه الخائب لتقدر عليه العقاب من عدمه ، مع أن علمها مسبق ، تعرف كل

تحركاته وسكناته وحتى ما يفكر فيه من حديث سرى بينه وبين نفسه تطلع عليه وتعرفه قبل أن يفعله ؛ لأن علمها محيط بكل شيء ، فيسقط في الامتحان ولا يصبر على ما أصابه فيهب يستعيده ، مستغنيا عن القوة العليا متحديا لها ، مستعينا بقوى أخرى ضعيفة تزيده في عناده وضلاله ، ولا تتركه القوة العليا يفعل ما يشاء دون أن تنازله وتصارعه وتخاصمه وتكرهه وتعانده وتوقع به فتنزل غضبها وعقابها، ومن ثم تفرض سيطرتها وقوتها وجبروتها تقسمه ، وتفجعه في نفسه فجيعة كبرى تقضي على حياته ، وإن أمهلته متسعا من الوقت والعمر والجهد والصحة تؤلمه أشد ألم وتحزنه أشد حزن لتجعله يعترف بخسارته ويقر بندمه ، ليعترف قانعا ومرغما ومجبرا بتفوقها وقوتها وسطوتها ، طالبا صفحها وغفرانها ورحمتها ، ولكنها لا تمهله فسحة أخرى ليعرف رأيها .

وبذلك تكون مأساة ليس لبطلها أى نوع من النبل والعظم والاحترام والتبجيل والتهليل والمدح ؛ لأنه هو الذى عاند وكابر وقبل أن يدخل في صراع قوى هو لا يقدر عليه آملا أن يفوز فيه ويحقق فيه الانتصار ، وهذا مبعث العطف والشفقة والحزن من الذين لا يعرفون الله ولا يؤمنون به ولا بعدله ورحمته وغفرانه وصبره فلا يفوز ولا ينتصر ويقهر ويغلب وهو يستحق ذلك بكل تأكيد وهذا من وجهة نظرنا نحن المؤمنين بالله المطيعين له ؛ لأنه لم يتحل بالعقل الرشيد ولا الروية المطلوبة ولا الخلق الرفيع ولا الاحترام الواجب ولا الإيمان المطلوب ، ولا الصبر العظيم ، وهذه الصفات مبعث عدم العطف ولا الشفقة ولا الحزن عليه – منا نحن المؤمنين – ولو بدرجة من ذلك ؛ لأننا ندرك من داخلنا أنه يستحق ذلك نتاج عمله ، وأن ما حدث لم يكن مفاجأة له ولا لنا ، لإدراكنا أنه ولا غيره بوسعه أن يكسب أو ينجو من هذا المصير التعس الذى جنته يداه بنية مبيتة منه لم تكن قدرا محتما عليه ، بل هو الذى

استدعى هذا القدر الحتمى وفرضه على نفسه . **وهــى تخــص بطــل المأســاة السوداء بنوعيها .**

الاحتمال الثالث للمأساة : قدر محتمل على البعض دون الآخر:

وهى قدر محتمل على بعض الناس ، ولا يستطيع الإنسان المقدر عليه ذلك الفكاك منه على الإطلاق فهو نازل به لا محالة مهما فعل ومها أوتى من قوة ومــن أسـباب نجاح وتفوق غير مدرك ولا عارف به ، ولكنه يستطيع أن ينجح فى الابتلاء ويتحمــل آثاره التى يرفل فيها أن يدحرها ويلتمس طريقا للنجاة منها بمجهود جبار وصبر عظيم ونية صادقة وعمل نبيل وطاعة كبرى ، ويسير بهذا العزم الكبير فــى طريــق غيــر محفوف بالمخاطر لأنه يتجنب الصدام مع القوة العليا غير معاتب لها على ما أنزلته به مستعينا بها على ما قدرته وفرضته عليه ، متذللا لها أن تساعده لترفع عنه آثار البلوى والطامة الكبرى التى حلت به ، وهو لديه يقين أنها لن تبخل عليه بالمساعدة والمساندة ولن ترده خاسرا ولا نادما ، مادام معترفا بتفوقها وقدرتها وتفردها وغلبتها ، مقــسما متعهدا ألا يعاندها أو يخرج عليها أو يصارعها أو يجابهها ، والانسحاق أمام سطوتها وجبروتها وتسيدها ، شاكرا لها على ما أنزلته به ، راضيا بحكمها وقضائها ، آمــلا أن ينال رضاها وعفوها وسماحها ، عن طيب خاطر وبدون تذمر ولا غضب ولا عصيان فينال مساعدتها وشفاعتها ورحمتها ومؤازرتها ورضاها ، فتخفف عنه ما هــو فيــه ، وتعيد له أسباب سعادته وأدوات تفوقه أو تعوضه بغيرهم ، وبــذلك يــستطيع معــاودة استكمال حياته وما كان عليه من سعادة ونجاح وتفوق ، ويواصل طريقه نحو الحاجــة التى يريد أن يحصل عليها والهدف الذى يريد أن يحققه ، وتساعده القوة العليا فى ذلك أيما مساعدة ، ولكنها بغير أسباب معروفة تفجعه وتنهى حياته بطامة كبــرى ونهايــة مؤلمة . إنه قدر من الله عليه ، والقدر من الله من أسراره العليا ، ومن الغيبيات التــى

ليس لنا الحق فى الجدال ولا حتى السؤال فيها ، وذروة الإيمان فيها أن نسلم بها ، **وتخص بطل المأساة الإلهية بنوعيها .**

التفاسير الأربعة للمأساة :

التفسير الأول : إنسان يميل أن تنتهى حياته بفاجعة .

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة] هل كان هابيل لديه ميل نحو أن تنتهي حياته بفاجعة ؟؟! نعم ؛ لأنه لم يقاوم التهديد ، ولم يدافع عن نفسه مع أن ذلك مشروع ومباح من الله لكن انظر كيف تصرف هابيل ، أفرط فى المسالمة والتسامح وعدم الممانعة بقناعة وتقوى غير عاديين إلى أبعد حد فى أشد المواقف ، بتهديد صريح وواضح وجدي لحياته بالقتل . وهل كان قابيل يتحدى مشيئة الله وحكمه ، نعم .

وهو الإنسان المسالم الخير الذى لا يرد الظلم عن نفسه بظلم مثله ، آثرا عدم غضب الله متسامحا فى أعلى درجات التسامح ، غير مشته للانتقام أو رد الأذى بأذى مثله ، نبيلا إلى أعلى درجات النبل . وهو الذى يحافظ على طاعة الله وعدم مخالفتها مهما حدث وتعرض له ، ويدخل فى صراع مع قوة أخرى لها من المكانة والقوة والجبروت والطغيان والتمكن والحقد والحسد والكراهية والبغضاء ، وبأنواع كل الحيل الممكنة والإغراء ، مما يجعل مجابهتها والانتصار عليها به من الصعوبة ما به ، ومع ذلك لا يتراجع بل يصر ويبذل فى سبيل ذلك تمام البذل ، ويقاوم فى ذلك تمام المقاومة سواء مقاومة متطلباته وشهواته وغرائزه التى تخالف أوامر الله ونواهيه وتحضه على

التراجع ، ولا يتحصل عليها إلا بما يرضى الله ويوافق شرعه ومنهاجه ، ويقاوم قوى الشر الأخرى مثل الشيطان الذى هو عدو مبين للإنسان وظاهر عداوته يريد أن يشده إلى طريق الغواية والضلال ومعصية الخالق ، فيواصل المقاومة والصراع ويتمسك بطاعة الله ونيل رضاه ، مستعدا أن يضحى بنفسه فى سبيل ذلك على ألا ينال عقابه ، آثرا مشتهيا جزاءه الجميل وأجره العظيم المستوفى لجميع من يطيعه ويتمسك بالإيمان به ، مؤمنا بوعد الله الذى لا يخلف ، وعهده الذى لا ينقض ، مفضلا خسارة الدنيا مكتسبا نعيم الآخرة . **وتخص بطل المأساة الإلهية بنوعيها .**

ومثله انتهت حياة سيدنا عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وهم من هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون العدول الثقاة ، انتهت حياتهم بفاجعة كبرى وهى القتل أو الطعن بالخنجر أو بالسيف وبخيانة كبرى وغدر عظيم ومكر دفين .

التفسير الثانى : إنسان لديه إصرار أن تنتهى حياته بفاجعة :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران] وهو المجاهد فى سبيل الله تجد بداخله إصرارا وعزيمة ونية صادقة ، وأن غاية ما يتمنى أن يستشهد فى سبيل الله ، أو سبيل الوطن ، أو سبيل قيمة كبرى ، أو هدف نبيل ، أو قضية عظيمة ، شرط طاعة الله ، وهو من أصحاب النفس المطمئنة ، أو اللوامة الذى يتقرب إلى الله بهذا الجهد الكبير ، وهو ما يصلح فعلا أن يكون بطل مأساة عظيمة ، تنتهى القصة بحزن جميل ، حزن من نوع يمتزج فيه الحزن مع الفرح ، ولا تستطيع

أن تفصل بينهما ، فإذا ما حزنت أنه قتل سرعان ما تتذكر أنه من أهل الجنة، حزن لنا لا له ، إنه حتما سيكون سعيدا لأن ذلك ما كان يصبو إليه وما يهدف وقد تحقق له ما يريد ، ويرجع الحزن لنا من نوع خاص وإنه حزن جميل لأنه يشعرنا بشرف انتسابنا للإنسان الذى كرمه الله وفضله على جميع الخلائق ، وثانيا أننا ندرك ونعرف أن هذا الشهيد سيدخل الجنة وينعم ويخلد فيها ، ثالثا أنه سيكون مع الأنبياء والصديقين فى الجنة ، رابعا قد حكم له الله حكما لا يتبدل ولا يتغير ومستوفى منه تعالى تؤكده الآية السابقة. **وتخص بطل المأساة العظيمة بنوعيها .**

التفسير الثالث : إنسان ليس لديه أدنى ميل أن تنتهى حياته بفاجعة

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾

[النساء] الموت حتمى على الجميع ، ولكن من تنتهى حياته بفاجعة بالقتل خطأ أو مصادفة أو الحرق أو الغرق ، إن ذلك قدر الله عليه ، ولا نسأل لماذا ، ولا كيف ؛ لأنه من الغيبيات التى احتفظ الله بها لنفسه ولم يخص بها أحدا من عباده حتى سيدنا محمدا – صلى الله عليه وسلم – ولذلك لا أستطيع أن أتجاوز حدودي وأقدم لها تفسيرا أو تحليلا ، ويفضل ألا تلجا إليها ، أو تسوقها فى نهاية الأحداث دون أن تسبقها بمبرر لما ستئول إليه حال بطلها ، ولو أردت الحسن لبطل خير مثلا تنتهى حياته بالحرق أو الغرق أو ما شابه كما سنوضحها فى أنواع الشهداء ، فلا تجعل موته بإحدى هذه الوسائل ، حتى نحزن عليه مثل الحزن السابق للشهداء ؛ لأنه من الشهداء ، من أهل الجنة والنعيم المقيم . **وتخص بطل المأساة الإلهية بنوعيها .**

التفسير الرابع : إنسان هو الذى ينهى حياته بفاجعة:

المكروه إنسانيا ومحرم عقائديا من الله تعالى ، وهو المنتحر الذى يقتل نفسه بنفسه فحكمه عند الله أنه من الكافرين ، وهو من أصحاب النفس الأمارة بالسوء ، وهو من أصحاب النار ، قتل نفسه وهو لا يحق له قتلها مع أنها نفسه هو ولكنه أقدم على ما حرمه الله ﴿ . . . وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء] ومعنى الآية ينصرف على عدم قتل بعضنا بعضا فنهلك ونموت ، أو نقتل أنفسنا لأى سبب من اليأس والقنوط أو نحو ذلك من الدوافع الظلامية المهلكة ، وكلها محارم الله ومعصية له ، وإن الله بنا رحيم فى كل ما أمرنا به ونهانا عنه .

القواعد الحاكمة للمأساة والكاشفة والمحددة لأنواعها

القاعدة الأولى : الابتلاء أو الاختبار أو الامتحان و له نتيجتان:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة]: سنختبركم أيها الناس بشيء يسير من الخوف على ما تحبونه ويكون من جملة ما يسعدكم ويفرحكم ، وبشيء بسيط من الجوع ، وبنقص من الأموال بتعثر وصعوبة الحصول عليها ، أو ذهابها من بين أيديكم بخسرانها فى تجارتكم أو بيعكم وشرائكم . وكذلك خسران الأنفس الحبيبة لكم والمقربة منكم سواء بالموت أو الشهادة أو بالمرض . وكذلك بنقص من ثمرات النخيل والأعناب والحبوب بقلّة إنتاجها أو فساد محصولها أو عدم طرح جميعها . وبشّر – أيها النبي– الصابرين على هذا وأمثاله بما يفرحهم ويَسُرُّهم من حسن العاقبة في الدنيا والآخرة . ومن صفة هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه مما سبق قالوا:

إنّا عبيد مملوكون لله يفعل بنا ما يشاء ، وإنا إليه راجعون بالموت ، ثم بالبعث للحساب والجزاء • إذاً الابتلاء هو فرض من الله تلك القوة العليا على الناس التى هـى القـوة الضعيفة ، وقد خضنا فيه بما فيه الكفاية ، واعتبرناه مأساة صغيرة كما سبق ذكـره ، وبما أنها واقعة على الجميع فلا تعتبر مأساة بالمعنى الحرفي المطلـوب لأنهـا مـن الممكن أن تكون نعمة وخيرا أو شرا ولكنه امتحـان ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء] ولكنها هى التى تحدد إن كان هنالك مأساة لإنسان من عدمه وبها يتحدد نبل بطلها من وضاعته ، وعظم فعله من رداءته •

إما ينجح في الابتلاء ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ [المائدة :٢٧] في حـال النجـاح فـى الابتلاء (هابيل) يكون بطلها عظيما تحمل نتائجه بصبر وعزيمة ورضـى محافظـا على طاعة الله ورضاه ، غير مذنب أو مرتكب لخطيئة أو عاص أو معاند ، متجـاوزا هذه البلية بإيمان وطاعة نحو استكمال حياته يبذل جهدا كبيرا ، ويصارع من أجل ذلك أى قوة من الشيطان أو من أعوانه من الإنس تحاول أن تقف فى طريقه أو تحـاول أن تغويه وتوقعه فى معصية الله ، وهو يجاهد ويصارع تلك القـوى ، ليـستعيد أسـباب سعادته وأدوات قوته ، مستعدا أن يفجع فى حياته على ألا يخالف الله ، ويـتمكن منـه مصارعوه ويتغلبون عليه ويوقعون به ويفجعونه فى حياته ، فذلك مدعاة لنا أن نخـاف ونتعاطف ونحزن ونشفق ونترحم عليه ، لأنه لا يستحق هذا المصير التعس ولا هـذه النهاية المأساوية العظيمة ، التى تفجر الحزن العميق فى القلوب وتغلـي الـدماء فـى العروق ، وتجعل الأحاسيس والمشاعر تهتز وترتعد وتصحو من سباتها ونومها تـدفع النفوس الخاملة على أن تستفيق وتتعلم كيف يكون البذل وكيف يكون الفداء ، وتـستعد وتحارب من أجل ألا تعاند أو تخالف الله ؛ لأن ما شاهدته وأحزنها ما هـو إلا واحـد

مثلها نفس واجهت قوى جبارة حاولت أن تبعدها عن طاعة الله والدخول معه في صراع وعناد ، ولكنه كان مؤمنا قويا تمسك بطاعة الله وأدرك أنه ليس بوسعه أن يجابهها أو يعاندها أو يقف ضد مشيئتها ، ولذلك عمل على التمسك برضاها وطاعتها وكسب جائزتها إلى آخر رمق فيه ، مقدما نموذجا لما يجب علينا أن نكون مثله ، وأن نقتدى به ونسير على دربه آملين فى النجاة من معصية الله محافظين متمسكين بطاعته مستعدين أن نلقى نفس المصير الذى من الممكن لنا أن نتجنبه ببذل أكثر ، وصراع أقوى وتحصيل أسباب قوة أكثر لنستطيع بها النجاة من هذا المصير الذى ليس مفروضا على جميع المتمسكين بطاعة الله ، ونجابه بقوة وبسالة كل القوى التى تعترضنا فى سبيل طاعة الله وكسب أسباب السعادة واسترداد أدوات القوة والمنعة ، ونحتشد ونجيش لذلك حتى نفوز ونتغلب على القوة المصارعة والمجابهة لنا ، ونفجعها هى إن كان لا بد من ذلك ولا مخرج ، وقد أجاز لنا الله الدفاع عن النفس بكل الوسائل واستعمال كل الأدوات . **ويخص بطل المأساة الإلهية بنوعيها .**

وإما يسقط فى الابتلاء : ﴿ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾[المائدة :٢٧] أما إذا سقط فى الابتلاء (قابيل) ودخل فى تحد للقوة العليا ولمشيئتها وأمرها وفرضها ، ونتأكد من ذلك ، فإن ذلك مدعاة لنا لقطع كل المشاعر الإنسانية النبيلة التى من الممكن أن نمنحها إياه ، من عطف وشفقة وخوف وحزن ومؤازرة وتضرع لله من أجله ليتجاوز محنته ، وييسر عليه بليته ، ويساعده فى استرداد أسباب سعادته أو أدوات قوته التى فقدها ليواصل حياته ، بل نصب جام غضبنا عليه عندما نتأكد أنه هو نفسه الذى يدخلها فيما يتهددها من فاجعة تنتظرها , ويصر على ذلك بل ويدخل فى تحد غير متراجع أو تظهر عنده أى بوادر للتوبة والتصالح معها ، ولإدراكنا وعلمنا ويقيننا أن القوة العليا لن تتركه يفعل ما يشاء من غير عقاب تنزل به فاجعة تنهى حياته ولا يكون أمامنا غير السخط عليه ، واستحسان ما حدث له ، بل والشماتة فيه ، وهذا مدعاة لنا أن نأخذ

حذرنا ونتمسك بطاعة الله وعدم مخالفة مشيئته وأوامرها ونواهيها ، مما يحمل النفس على التطهر من أدرانها وعنادها وتكبرها وتمردها ، ويعالجها من أى شيء من الممكن أن يلحق بها يبعدها عن الطاعة ، مما يخلق بداخلنا حائطا من الصد الذى يحملنا على الأمن النفسي الداخلي ، الذى يحقق السعادة والرضي والقناعة . **وتخص بطل المأساة السوداء بنوعيها.**

القاعدة الثانية : الزلة أو الغلطة أو الجرم أو الهفوة أو السقطة أو الخطأ .

جاء فى الحديث : حدثنا أحمد بن منيع ثنا زيد بن الحباب ثنا علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس **قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** [رواه ابن ماجه والترمذي والدارمى] وفى حديث أنس ، ومن حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : **لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ، ويستغفرون فيغفر الله لهم . وهذا يبين أن عموم بني آدم خطاء وهذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة : كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة . وعمومه أيضا يدل على وقوع الخطأ ، ولهذا ذهب جمهور أهل العلم إلى وقوع الصغائر من الأنبياء ، ولهذا كان النبي يستغفر به –عليه الصلاة والسلام– لرفع الدرجات وإن لم يكن منه ذنب ، والأحاديث في استغفاره كثيرة متواترة.**

وهى إما غير مقصودة : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ...﴾ [النساء: ٩٢] تتمثل وتتحقق من القوة الضعيفة التى هى الإنسان النبيل الذى يحاول ويصارع ويجابه ويفعل

المستحيل من أجل أن يستعيد أسباب سعادته وأدوات قوته ، من بعد أن سلبتها منه القوة العليا لتمتحنه ، وهو يجاهد ويصارع ويحاول أن يستعيد سعادته وقوته ونجاحه متمسكا بطريق الطاعة لله محافظا على ذلك ، متحديا جميع الإغراءات التى من شأنها أن تساعده وتفتح له الباب نحو السعادة والنجاح بمخالفة أوامر الله ونواهيه ، فيتفوق عليها ويجابهها ، وهو فى طريقه هذا ومن شدة ما يعانيه وما يجابهه من إغراءات ومن صد من قوى أخرى يقدم على فعل يظن فيه الخير غير مخالف لله فيه ، ولكنه يكتشف أنه أخطأ فى إقدامه على هذا الفعل الذى لم يتثبته جيدا ، ولم يمعن فيه التفكير الكامل ، ولا الحيطة المطلوبة من جراء الأهوال والعناء والآلام التى يرفل فيها تغيم الطريق أمامه ويود الخلاص منها ، فيزل غير قاصد ولا عامد ولا متعمد ، وحال أكتشاف ذلك يسرع إلى التضرع إلى الله يطلب الصفح والغفران منه ، لا يحمله عناد ولا تكبر ولا مراوغة ولا تردد ، معترفا بذنبه الذى لم يكن يقصده ، يواعد الله أنه لن يعود إلى ذلك أبدا ، فيتكرم الله عليه ويغفر له هذه الزلة ويتجاوز عنها ، بعد أن يرفل صاحبها فى المعاناة والألم والندم . **وتخص بطل المأساة العظيمة والإلهية ، الشخصية منها والقومية .**

وإما مقصودة : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء] تكون بقصد وتعمد ونية كاملة وعناد كبير من الإنسان غير الفاضل وغير النبيل العاصى المذنب بقصد ، وحتى إن كان فاضلا ونبيلا ، ولكن لم يتحمل الابتلاء ، وأقدم على كل الطرق ليستعيد أسباب سعادته وأدوات قوته ، غير مراع لأوامر الله مخالفا لها ومتحديا مشيئتها وإرادتها ، فإن ذلك يحمله إلى عدم النبل و الطاعة الواجبة ، ويقبل أن يرتكب الذنب بقصد ونية وتحد ، مصمم على ذلك غير معترف به ، معرض عن التوبة والرجوع إلى الله غير

مستعين به ومستعين بغيره ، هذه لا يغفرها الله أبدا وينـزل سـخطه وعقابـه علـى صاحبها حتى ولو بعد حين في الدنيا والآخرة ، **وتخص بطل المأساة الـسوداء بنوعيها .**

أنـــــواع المأســــــــاة

(التراجيديا)

المأساة الشخصية

المأساة السوداء – المأساة العظيمة – المأساة الإلهية

المأساة القومية

المأساة السوداء – المأساة العظيمة – المأساة الإلهية

الفصل العاشر

أصل تعريف القصة المأساوية السوداء

(الشخصية والقومية)

(قصة فرعون وقومه)

البداية عن ابن عباس قال :" إن فرعون رأى فى منامه ، كأن نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس ، فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بنى إسرائيل ٠ فلما استيقظ هاله ذلك ، فجمع الكهنة والحذقة والسحرة ، وسألهم عن ذلك ، فقالوا : هذا غلام يولد من هؤلاء ، ويكون سبب هلاك أهل مصر على يديه ، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان" [رواه ابن كثير فى "قصص الأنبياء" ؛ ورواه الطبري فى " تاريخه " ١ /٣٨٨ ، وأورده الحافظ فى " الفتح " ٦/ ٤٨٧] ، مشهد مثير مشوق مدهش جذاب ، مخيف ومقلق ومروع ويبعث على الشفقة والعطف والخوف ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف] لشخصية كبيرة عظيمة فى مكانتها يحكم شعبا عظيما كبيرا ، له حاجة نبيلة يريد أن يحصل عليها ، وهى أن يحتاط لنفسه ولشعبه مما يهدد حياته وحياتهم ؛ لأنه رأى حلما يهدد حياته وحياة شعبه وأيضا تواتر إلى مسامعه من حاشيته ووزرائه أن بنى إسرائيل الذين يعيشون فى ملكه وهم ليسوا من شعبه ، يتدارسون ويتواصون ويتناقلون فيما بينهم من أن واحدا منهم سيولد وسيكون زوال ملكه ومملكته على يديه ، فيعمل على تجنب تحقيق هذه النبوءة ، بأن يحتاط كل الحيطة ألا يخرج هذا الغلام حتى لا يزول ملكه ولا يهلك على يديه

ويفجع فى حياته وحياة شعبه ، وهذا هدفه العظيم ، إنه يريد أن يجنب نفسه وشعبه من مصير مؤلم مهلك محتوم ، ويصارع الذين يهددون حياته وسعادته ، وهذا ما يحملنا نحن على التعاطف والخوف والشفقة عليه والاحترام والتقدير ؛ لأنه يدافع عما يتهدد حياته لأننا نوافقه على نبل الهدف وعظيم الحاجة﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص] ولكنه يتجبر ويطغى ويظلم ويفسد ، يقتل ولدان بنى إسرائيل من الذكور ، ويستعبد ويستخدم رجالهم فى أحط الأعمال وأردئها ، ويستبيح شرف نسائهم . وهذا ذنب كبير يرتكبه يقطع بداخلنا نحن الشفقة والعطف والخوف والموازرة له ، لأنه يصير مذنبا ، ومن يذنب يستحق العقاب ، ويحول دفة المشاعر لدينا نحو الطرف الآخر الذى يقع عليه الظلم من الذنب والجرم الذى يوقعه بهم ، ويبعث على الشفقة والعطف والخوف على الذين يصارعهم ويتفوق عليهم ويفعل بهم الأفاعيل من القتل والظلم والاضطهاد والاستعباد ، ويواصله بدون رحمة ولا عدل ولا خوف ، مستخدما كل قواه الجبارة التى يمتلكها ، مما تساعده على التجبر والطغيان إلى أبعد الحدود ، لأن الطرف الآخر يعجز عن مواجهته والصراع معه ، وهذا الظلم الكبير والفساد العظيم والاضطهاد الفادح لقوة ضعيفة لا تقوى على صد هذا الطغيان ، ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[القصص] حتى تتدخل القوة العليا - التى هي الله العادل القوى العالم بكل شيء - بإرادتها وسطوتها وقوتها تريد أن تنتصر لهؤلاء المستضعفين المظلومين الذين هم من أصفياء خلقه وتقرر ذلك وتكتبه فى علمها الغيبي

عن كل الخلائق ، ولا يعرف فرعون ما قدرته القوة العليا من الوقوف له وتحديه وفرض سلطانها عليه لتنتصر لهؤلاء ، وتجعلهم أسيادا وأقوياء يمتلكون زمام أنفسهم وحريتهم ويرثون هذا الجبار الطاغية لينشروا الخير ويعملوا به يرثون ملكه ومملكته وتكون لهم الكلمة العليا فيها ، وفرعون لا يعرف ذلك لأنه فى الغيب الذى لا يستطيع أن يعرفه إنسان ، ولكن الله يكشفه لنا ويبسطه ، يريد أن ينتصر للمستضعفين ، ولم يفرض الله ويكتب ويقرر أن يفجع فرعون وقومه بعد ، لأنه لم يرسل لهم نبيا بعد ، ولعدل الله لم يقرر عليهم النهاية المأساوية إلا بعد إقامة الحجة والدليل عليهم نتاج فعلهم بعد علمهم من خلال رسوله الكريم الذى سيرسله لهم وفرعون لا يعرف أنه يعاند القوة العليا التى تسطر وتكتب ذلك ويتحدى مشيئتها ، وهذا ظلم عظيم ، وذنب كبير ، وخطيئة عظمى ، ولكنه لا يعرف ذلك لأنه لا يعرف أن للكون إلها خالقا عظيما مسيطرا سيريه هو ووزير أمنه هامان وجنودهما الذين يعملون بأمر منه ، ويحتاطون كل الحيطة ألا يخرج هذا الغلام ...

الابتلاء يبتليه فى أسباب قوته وسلطانه وتفوقه ، وأدوات نجاحه وغلبته ومنعته وسيطرته ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القصص] تريه كيف سيولد هذا الغلام وهم الذين سينقذونه من موت محقق ، وفرعون نفسه هو الذى سيربيه بين يديه وفى قصره ، ويولد الغلام ومن خوف أمه عليه – يوحى من القوة العليا – تلقيه فى النيل ، ويلتقطه جنود فرعون ويتأكدون أنه ولد ولم يذبحوه مع أن لديهم الأمر ، ولكن يهرعون به إلى فرعون الذى يريد أن يذبحه ، ولكن تسخر منه القوة العليا ، وتجعل أحب الناس له زوجته تتدخل فى الوقت المناسب ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ

وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص] تحبه وتقسم عليه ألا يذبحه ، فيطيعها ، ولكنه يحتاط للنبوءة والحلم ويعمل على تحدى فحواها ، فيمتحن الغلام بأن يقدم له تمرة وجمرة ، فيختار الغلام الجمرة ، فيتأكد فرعون لغبائه الكبير ، وتسخر منه القوة العليا حيث يستنتج أن هذا الغلام ليس محفوفا بعناية ما أو قوة ما كبرى وإلا ما تركته يختار الجمرة التى لسعته فى لسانه لسعا شديدا ، وأن هذا الغلام ليس جل اهتمام ورعاية وبطولة النبوءة والتواصى بين بنى إسرائيل ، ولذلك يتركه لزوجته تربيه فى قصره ، وهو خطأ كبير وغباء منه ومن جنده ؛ لأن هذا الغلام موسى هو من سيهلكون على يديه وبسببه ، والابتلاء هنا يغير مجرى الفعل وينسجه باتجاه آخر ، حيث تنصرف حاجة فرعون عن الغلام المطلوب إلى البحث عن غيره ، بمعنى أنه يذهب فى أى طريق يبعده كل البعد عن حاجته وهدفه الذى هو بين يديه بالفعل لأن الغلام المطلوب هو يربيه فى قصره وأمام عينيه ، وتكتمل السخرية من الله له ويكشف له غباءه الشديد ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص] حتى بدأ يعرف بعد فوات الأوان أن من يربيه فى بيته هو عدوه ، وصار يبحث عنه ، ولكنه قد هرب من مملكته وسلطانه إلى بلد ليس له عليها سلطان ولا ولاية لا هو ولا جنده ، وهو الذى يريد أن يذبحه ، حتى عاد إليه بعد عشر سنين يريد مقابلته ، فيأذن له بلقائه ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي

أرسل إليكم لمجنون ﴿٢٧﴾ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴿٢٨﴾ قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ﴿٢٩﴾ قال أولو جئتك بشيء مبين ﴿٣٠﴾ قال فأت به إن كنت من الصادقين ﴿٣١﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴿٣٢﴾ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴿٣٣﴾ ﴾ [الشعراء] ومع ذلك يقابله ويتأكد أنه هو من يبحث عنه وأنه عدوه ، ولم يذبحه ، بل يلومه بعطـف وود ولـين ويسمع له ويعرف فرعون القوة العليا وحقيقتها لأول مرة ، التى ترسـل لـه موسـى ليحذره وينبهه ويعرفه ما يتوجب عليه فعله ، وما يتوجب عليه تركه ، ولكن فرعـون بعد أن عرف القوة العليا ، يتحدى مشيئتها ، ويعاندها ويخالفها ولا يطيعها ، ويسير فى طريق محفوف بالمخاطر دون أن نخاف عليه ، لأنه يقبل تحدى القوة العليا التى تحذره وأرسلت له نبيا كريما يهديه ويعلمه ويبين له الطريقين ، ولكنه يعاند ويتحدى ، وهـى تمهله وتمد له فى التسامح مدا ، ولكى تقيم الحجة عليه تمتحنه كباقي البشر فيأتي ...

الزلة ﴿ فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال ﴿٢٥﴾ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴿٢٦﴾ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴿٢٧﴾ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴿٢٨﴾ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد

﴿ ٣٩ ﴾ [غافر] يأتي الزلة وهو قاصد وعامد ومتعمد يقتل الـذين يؤمنـون بـالله ، ويؤمنون بنبيه موسى الذى جاء ليهديه يعرفه الطريق المستقيم ، وأنه ليس إلها يعبـد ، لأن العبادة لله وحده ، فلم يرتدع فرعون وأقدم على ارتكاب الذنب تلو الذنب ، وحـق عليه العقاب ، وتأكد عليه عناده وصلفه وغروره وتحديه للقوة العليا وعصيانها ، بـل ويستعدى عليها ما هم تحت إمرته ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات] فيضلهم ويجعلهم معاندين غير طائعين مثله ، مما يستوجب عليهم العقاب أيضا ، وهم الذين يسيرون نحو مصيرهم الذى بأيديهم يـصير محتومـا ، ولكـن الله يبصرهم وينتظر عليهم ويرسل لهم الآيات والمعجزات والبلاء العظيم حتـى يفكـروا ويرجعوا ويؤمنوا حتى يواجه التعقيد الشديد هو وقومه ...

العقـدة ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف] يلقى من المحن ومن التعقيد الشديد ، الذى هـو فـي حقيقة الأمر رحمة له ، عله يرجع عن غيه وعناده وتكبره وذنوبـه ، فتنغلـق أمامـه جميع الأبواب ، وجميع الحلول ، وتلجئه وهو الذى يدعى الألوهية والقوة التى لا تقاوم ولا تصارع ولا ترد ، تلجئه القوة العليا التى هي الله القوة الحقة والإله الواحد القهار ، يلجئه إليه مجبرا ، عساه يتعرف ويؤمن ويطيع ، حتى تذل عنقه وتكسر كبرياءه ، ولا يجد مفرا ولا مخرجا لما هو فيه من تعقيد إلا بلجوئه للقوة العليا ، ومع ذلك بما تبقـى له من كبرياء يود المحافظة عليه ، وعناد لم يتخل عنه بالكليـة يطلـب مـن قومـه

ومساعديه أنهم هم الذين يطلبون هذا العون وهذا المدد وهذا اللجوء الحتمى المطلوب ، ولا تبخل عليه القوة العليا بكرمها وإنصافها واستجابتها وتحدث . . .

الانفراجـــة ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف] يفرج عنه الله ما هو فيه ليسخر منه ، ويؤكـد عليـه عصيانه وعناده وكفره ، تفرج عنه ما هو فيه من محن وتعقيد صعب ، ولكنه يعـاود التكبر والغرور والعناد والتحدي ، ما يجتاز العقبة التي يواجهها ، ولا يلبـي مـا هـو مطلوب منه ، وهو ليس الذى يتخطاها بإرادته ولا بأدواته ولا بقوته ، بل بإعانة القـوة العليا وأمرها وإرادتها التى تظهرها له بوضوح وجلاء على يدي نبيها الذى أرسلت له وبين ظهرانيه ، ويلجأ إليه مضحيا بكبريائه ومنزلته ورفعته وألوهيته ، وما إن تساعده القوة العليا التى تظهر وتوضح له مقدرتها وسطوتها بأفعال يراها رؤيا العـين وسـمع الإذن وتؤثر فيه وفى قومه ، ويرفل الجميع فى تعب وإجهاد وعنـاء بـسببها ، حتـى يعاود غروره وصلفه وعناده وتحديه ، وهى تصطبر عليه وتمد له فى حبال الرحمـة مدا ، وأواصر الغفران تواصلا ، وجسور الرأفة جسورا﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزخرف] فلا يرتدع بل ويضل

آخـرين يتبعونـه ، ويجعلهم يعاندون القوة العليا التى لتوها أرتهم قدرتها وسطوتها ومقدرتها ، ورحمتها وغفرانها ، غير مستمع لنصح ناصح ، ولا مرتدع لـردع رادع حتى يحدث . . .

التعرف ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ هو الذى يسير نحو هلاكه ويخرج يتبع مصارعيه الـذين لا ينـوون التواصل معه ، يحققون له هدفه بدون أن يكلفوه شيئا ، ومع ذلك هـو الـذى يخـرج يتبعهم ، بغواية وتحريض من قومه وبطانته وثقته وتكبره ، ويـصبح التحـدى مـن الجميع ، ويقبل الطرف المصارع هذا التحدي حيث توحي له القوة العليا بقبول التحدي والعناد والتصارع لأنه بإرادتها أهل لـه ، ﴿ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ

، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] ويتعرف فرعون على مقدرة وإرادة القوة العليا تمام التعرف ، ولكنه يقدم على ارتكاب الذنب الكبير مرة أخرى ويتحدى مشيئة القوة العليا التي يؤمن بها نفر من فريقه ، الذي أنزل بهم العقاب وصلبهم وقتلهم ، وتؤكد عليه عناده وكفره وذنوبه التي يفعلها بإرادته وكامل وعيه وعلمه ونيته وعزمه ، وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ويعرف حقيقتهم ، ومع ذلك يقوم بتمام الفعل فتحق عليه القوة العليا العقاب المستوجب وتقرر أن تفجعه في حياته وتكون ...

النهاية ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الشعراء] حيث يوحي الله لموسى أن يخرج بيني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة ، ولكن فرعون لغبائه وتكبره يستغل ما يحدث من تحرك بني إسرائيل وخروجهم من مملكته ، ولكنه يشعر بالإهانة من أن هؤلاء الذين يستعبدهم ، وأمرهم وحريتهم بيديه يريدون أن يخرجوا عليه ، فيذهب يجمع الجند من كل المدن لكي يرد ويردع هؤلاء الشرذمة القليلين الذين يعظونه من أن نبيهم قد أذله وحطم ألوهيته وقدسيته ، وأظهر له عجزه أمام رعيته وقومه وبعثر كرامته وكسر سلطانه وهز عقيدته ، فيخرج بجنده يتبعهم ، وهو يريد أن يحصل على حاجته ويحقق هدفه بالقضاء على مصارعيه هؤلاء الشرذمة القليلين ، يسير نحو هلاكه بيديه وإرادته ورعونته وتحديه ، ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا

لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء]

ويشعر أنه يستطيع أن يحصل على حاجته ، ويحقق هدفه الذى ليس بينه وبينه مسافة ، ويوقن أنه محقق لا محالة ، يتقدم وليس لديه أدنى نية أن يفجع فى حياته على الإطلاق بل يعمل على المحافظة علي حاجته غير عابئ بما أجرم ، يظن أن بوسعه الهروب من العقاب المستوجب عليه ، وأن بوسعه مواصلة تحدى مشيئة القوة العليا وعصيانها إلى آخر مدى ، حتى يواجه مواجهة حقة مباشرة مع مشيئتها وفرضها وقدرتها وسطوتها وأمرها وقضائها وقدرها ، فلا يستطيع المقاومة ولا التحدي ولا الانتصار لنفسه حيث تفجعه فى حياته وتقضى عليها تماما ، ليكون عبرة وعظة لمن بعده ، أنه ليس بوسع إنسان أن يصارع ويعاند ويتحدى القوة العليا ، ومن يفعل ذلك فلا ينتظر غير هذا المصير المؤلم المحزن المحتوم الذى يستحق ٠

مفهوم المأساة الشخصية السوداء

المأساة السوداء هى النتيجة الطبيعية للطريق المحفوف بالمخاطر والمهالك الذي يسلكه إنسان بعزيمة ونية مبيتة غير طائع لله ، معاند لقوته وجبروته وسطوته ومكتسبا عداوته وبغضه وكرهه ، مذنبا معاندا لأوامره غير منته بنواهيه ، يحمله تحديه وعناده وغروره وصلفه وشيطانه على ذلك ويهمل النتيجة الحتمية التى يعرفها ، أنه لا قبل له على مجابهة القوة العليا ولا الانتصار ولا التفوق عليها ، فيسير وليس لديه أدنى ميل أن يفجع فى حياته ، ولكن لديه ميلا على التحدي والصراع يحمله العناد والمكابرة ، مع أنه

يدرك أن القوة العليا لن تتركه يستمر يعاندها ويتفوق عليها فتفجعه ولا تبقى ولا تذر عليه ، وهى قدر محتوم لا يستطيع الإنسان العاصى المذنب المعاند - الذى ليس لديه أدنى ميل أن يخسر- الفكاك منه على الإطلاق فهو نازل به لا محالة مهما فعل ومها أوتى من قوة ومن أسباب نجاح وتفوق ، وهو الذى لا يستطيع تحمل آثار الابتلاء الذى تفرضه القوة العليا عليه ، فيتحدى مشيئتها وأمرها وحكمها يلتمس طريقا للنجاة فلا يستعين بالقوة العليا على نفسها ، بل يعاندها ويخرج عن طاعتها ، ويستعين بغيرها عليها , يستعين بقوة أضعف تزين له أنها بمقدورها أن تساعده على التغلب والتفوق عليها ، فيطيعها ويتحدى القوة العليا بغباء منقطع النظير ولكن بنية صادقة وعزيمة جبارة ، وهو يعرف ويوقن أنه يسير فى طريق محفوف بالمخاطر , لأنه يعرف مدى مقدرة القوة العليا على المغالبة والتفوق والنجاح لأنها تمتلك الأدوات والإمكانات بالنسبة لقوته وأدواته ، ومع ذلك يحمله عناده وغروره وتكبره على عنادها وتحديها والخروج عليها ويحاول الانتصار والتفوق من غيرها والاستغناء عنها وعدم الاستناد إليها ، فيقاوم ويصارع ويفعل المستحيل مستعينا بكل ما أوتى من قوة وبأس وعلم وخبرة وجاه ومال وسلطان ، وأدوات تتحقق له تطولها يداه وتتحصل عليها إرادته ، بمدد من قوة أخرى تسانده وتقويه وتغريه وهو الشيطان ، وينتصر بها فى مواقع عدة ، ويتغلب بها فى أزمات عظيمة ، وينجح بها فى اختبارات كبرى ، حتى يخيل له أنه انتصر ، وبوسعه أن يستغنى عن القوة العليا التى لم يصبح فى حاجة إليها ، وهى تصطبر عليه وتمد له فى الغرور مدا وفى النجاح باعا وفى التكبر موضعا ؛ لأنها تعلم مدى قوتها وشدة انتقامها ومدى قدرتها وعظيم بطشها ونبل بأسها ، ولكن تحملها رحمتها وحلمها وعطفها وشفقتها وطول صبرها على منحه الفرصة تلو الفرصة ، والغفران بعد الغفران ، وهو يعتقد ويظن أنه صار صاحب قوة يستطيع بها التغلب على كل العقبات وتحصيل كل ما يريد ، وتحقيق كل ما يهدف إليه ، حتى يصل إلى مرحلة من النجاح والتفوق ، فيفجع فى قوته ونفسه وذاته ، ويهزم شر هزيمة ، وتكشف له القوة العليا ظلام نفسه وقصر علمه وحقيقة قوته التى لم يعد يقوى

بعدها على الانتصار، ولا حتى مجرد معاودة المجابهة والصراع ، فقد خارت قواه وذلت وضعفت حيلته وأهينت ، وانهزم غروره وانكسرت شوكته ، فيبحث عن معاونة القوة الأخرى التى استعان بها فيجدها تهرب منه وتضحك عليه وتسخر منه أنه أطاعها ولم يطع من يستحق الطاعة وإفراغ العبادة وطلب العون والمساعدة ، فتتغلب عليه وتقهره وتفجعه وتنهى حياته . ولا يكون أمامه من حيلة ولا حل غير أن يعترف أنه الأضعف وقد هزم ، وأنه يحتاج ويلجأ إلى القوة العليا بتذلل ، والتى تكشف له قوته الحقيقية لتخرجه مما هو فيه من انهزام كبير وخسران مبين وفجيعة كبرى تهدد حياته كلها بالفناء ، ولا يكون أمامه غير الاعتراف بالقوة العليا أنها لاتغالب ولا تقهر ولا تصارع ولا تهزم ، كما يعترف بخسارته ويقر بالندم على أنه صارع من لا يصارع ، وعاند من لا يعاند وخالف من لا يخالف وعصى من لا يعصى ،وأنه من أصحاب النفس الأمارة بالسوء وبات يتمنى أن يكون من أصحاب النفس اللوامة التى يحبها الله ويغفر لها الزلات متمنيا أن يغفر له خطيئته .

المأساة السوداء لبطلها إحدى نهايتين وكلتاهما صحيحة ووجيهة .

النهاية الأولى : أن يفجع البطل فى حياته ويموت.

﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء] وهى قصة فرعون مصر وسبق توضيحها وشرحها ونكتفى هنا بما جاء فى القرآن .

النهاية الثانية : أن يخسر البطل خسرانا كبيرا ويندم ندما عظيما.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ

إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة] الدليل الأوضح لما نقصد ونستدل ، وهو واضح وضوح الشمس فى إشراقها بنص القرآن بإيجاز شديد ووصف معجز فى قصة ابني سيدنا آدم هابيل وقابيل ، لنعرف لماذا دخل قابيل فى صراع مع القوة العليا يحمله تحدى حكمها وعناده وغروره وحسده وغيرته وطمعه ، عندما ابتلاه بعدم قبول قربانه فعاند القوة العليا التى تقبلت من هابيل وحكمت له بالنجاح فى الابتلاء ، بينما حكمت له أنه سقط فيه . فقرر أن يقتل أخاه حسدا وغيرة وعنادا فى القوة العليا التى يعرف أنه ليس بمقدوره التفوق عليها ، ولكنه ظن أن بمقدوره التفوق على إرادتها فيما يتجلى أمامه ، وذلك بعصيانها والإتيان بعكس إرادتها فقتل أخاه ، ولكنه لم يستطع التواصل بنجاح كما كان يظن ، للدرجة التى توقف فيها عن الفعل لعدم معرفته ماذا يفعل بما أوقع نفسه فيه من اختيار وعناد ، احتار فى كيفية التصرف فى جسده وظل على حاله أمدا بعيدا ، حتى شعر بالانهزام الداخلي والقهر النفسى من نفسه قبل أن تهزمه القوة العليا أو توضح له عجزه وتواضعه وخسارته ، التى تتعطف عليه وتكشف له انهزامه لتسخر منه وتبين له خسارته وجهله وعدم كمال علمه وقصور معرفته ، فأرسلت له بما هو دونه بمراحل حيوان لا يعقل لكى يعلمه ما لم يعرفه هو ولم يتوصل إليه بعقله المفضل به عمن سيعلمه ، وقبل رغم تكبره أن يتعلم ، ولما تعلم وعرف شعر بالخسارة ، ومن ثم ندم وتغلب عليه حزن شديد وتحولت حياته من السعادة إلى الشقاء ، من بعد عصيان بسبب جهله ، وظلم بسبب عدم كمال علمه ، وجحود بسبب غروره

وصلفه , وحماقة بسبب تسرعه ، وتكبر بسبب طمعه ، يرزح فى الحزن والمعاناة والآلام حتى النهاية • وما من طريق أمامه غير اعترافه بخسارته وندمه وحزنه والتوبة والتذلل لله فيتوب ويتذلل ، وهو منكسر الكرامة كارها للسلطة والمال والولد ، يبتغى رضى الله وحده أن يقبل توبته ، وتكون النهاية التى لا تحسم أقبل الله توبته أم لا ، وهذا مدعاة لنا لأن نخاف أن نخطئ كما أخطأ ونجني كما يجنى , مما يلهمنا العلاج النفسى الذى يتحقق من خلال الحرص واليقظة والحيطة والحذر •

تتجلى المأساة السوداء الحقة لشخص فاسد.فاعل من أصحاب النفس الأمارة بالسوء يوقع فعلا مثيرا مرعبا فجا غليظا غير مقنع ، من أجل حاجة وضيعة يريد أن يحصل عليها غصبا وقهرا وجبرا • وهدف فاسد يريد أن يحققه على حساب أى فضيلة أو أى شخص ، وبلغة دارجة وفكر فاسد وفكرة مضللة، وبما أن الإنسان مقدر عليه الابتلاء فسيمتحن فى حاجته وصلابة هدفه حتى تكون عليه البينة واضحة جلية تقطع منا الشفقة عليه ، وهو يعيش وسط آخرين يختلفون عنه وتتعارض حاجاتهم مع حاجته وأهدافهم عن هدفه ويقف له أحدهم – يعرفه - بالمرصاد يحاول صده ونصحه ورجوعه عن مقصده الخبيث ونيته السيئة وعزمه الفاسد فينشأ الصراع ، فيعترضه ويصارعه ويتمسك بهدفه غير النبيل الذي يريد أن يتمه ، ويحاول التغلب والنجاح على من يعترضه ويصرعه ويتفوق عليه قاصدا متعمدا، ويرتكب الجريمة وهو يعرف المفعول به ويعرف حقيقته ، ويعانى الذل والخسران والندم وتصعب عليه حاجته وتعطل هدفه ، فتتعقد السبل أمامه تعقيدا تاما ، ويحاول قدر جهده التغلب على هذه العقبة وتلك العقدة ويبذل أقصى ما فى وسعه وهو يئن من الخسران ويرفل فى الندم فلا يستطيع ، فيتضرع إلى الله مجبرا نادما معترفا بذنبه وخسارته مقرا بندمه ، و يمن الله عليه بانفراجة من عنده ليسخر منه بمشهد يقع بالقرب منه يكون سببا فى كشف جهله وسبب خسرانه الحقيقي ، مما يزيد من ندمه وخسارته ، ويكتشف ظلام نفسه وعدم كمال خلقه ومدى جرمه ونقص علمه بتعاليم الله وفرائضه ونواهيه ، وأنه لا بد من التوبة إلى الله ، وتكون النهاية محزنة مؤلمة مفجعة له

مفرحة لنا فتكون لنا عبرة ودرسا تخلصنا من العناد والتكبر والفساد وتحضنا دوما على ذكر الله والتوبة إليه فى كل وقت وحين، وإن لم تكن تلك نهايتها ودعوتها , فلا عظم لها ولا إجلال، ولا يكون التغير فى حظ حياة بطلها إلا من السعادة إلى الشقاء ولا تكون غير ذلك أبدا وإلا فقدت عظمها ٠

تحديد سمات بطل المأساة السوداء:

بطلها من أصحاب النفس الأمارة بالسوء ، سقط فى الامتحان وارتكب الزلة وهو عامد متعمد وبنية ويقين ، وبالتالي أوجب على نفسه العقاب والحزن لأنه من العاصين وقطع اى تعاطف أو شفقة أو خوف أو حزن منا عليه ، وهو الذى يستحق أن يحزن وتنتهى حياته بالحزن والغم والنكد لا نحن٠ تعكس قصة قابيل ملمحا من ملامح الصراع الأبدى الأزلى فى المثانى من التضاد بين الخير والشر ، والمثانى من التقابل بين الأسماء قابيل وهابيل ، وكذا ملامح سمات البطولة للإنسان الذى يجب هو أن يحزن لا نحن – مع أنه ليس من البطولة فى شيء بالنسبة للواقع ومفروض للقصة أيضا ؛ لأن الخاسر لا يمكن أن يتوج بطلا أبدا - إلا إذا كان نبيلا فاضلا خسر بشرف- ولكنه وصف لابد منه للقصة الفنية درجنا عليه - قصة قابيل كونها تتعرض لشخصية مكابرة تعسة حزينة سقط فى الامتحان , وارتكب الخطيئة عامدا متعمدا كانت السبب في تحويل حياته من السعادة إلي الشقاء ، ويرجع خطأ قابيل لسلوكه المنحرف من جراء الطمع والأنانية ، وبدافع أخلاقه الفاسدة المشبعة بالحقد والحسد والغيظ والنقص والعناد ، وإلي ثقته الزائدة فى قدراته الذاتية بالإصرار والتوكيد على ما يريد – لأقتلنك - دون رجوع لأى سبب من الأسباب ، رغم وجود التنبيه والإعلام والإخبار والتعريف تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، وتلك توضح سماته الشخصية كنموذج لطبيعة الشر والعدوان من العناد والمكابرة والأنانية والتكبر والغطرسة وضلال القلب وظلام العقل ، رغم أنه ترافقه وتواجهه وتصارعه وتنصحه شخصية أخرى وديعة طيبة أقرب الناس له

أخوه هابيل ، نموذج البطولة الخيرة المتواضعة الوديعة المقاومة الممانعة وهو من وقع عليه الفعل , الناجح فى الابتلاء بشهادة الله نفسه وحكم له بذلك ، مع أنه كان قادرا على الفعل ورد الأذى والضرر عن نفسه ، ومع ذلك لم يفعل ، مما استوجب علينا احترامه وإكباره والخوف والإشفاق والمؤازرة له , مما يتهدد حياته من مخاطر وفواجع ورعب وقلق على يد أخيه أقرب الناس له ، مما تثير كل أحاسيسنا وتستنهض كل خوفنا إلى ذروتها ، وتستجيش وتستنفر كل مشاعرنا الإنسانية ، وهو يتمسك بإصرار وصبر وعزم لا يلين على النجاح فى الاختبار الثانى مستعدا أن يضحى بنفسه ويفجعها على ألا يعصى الله ، ولم يقابل الشر بالشر ولم يرد الأذى بالأذى ، ولم يقاوم إلا بالتي هى أحسن حيث قدم النصح والإرشاد والتوضيح لأخيه عن عاقبة ما سيناله من عقاب سيوجبه الله ويحكم به عليه ، وعرف قابيل ما يعرفه من شرع الله وما ذكره ونصحه به أخوه ليس عن ضعف ولكن بقوة إيمانه وحسن خلقه وخوفه من الله ، ومع ذلك لم يرتدع – قابيل - ولم ينتصح ولم يتراجع ولم يتعظ ولم يخف من عقاب الله وحكمه ، وقام بإصرار ونية كاملة بإتمام الفعل وقتل وارتكب الخطيئة ، ولو لم يكن كامل الوعي تام النية والقصد لكانت زلة أوجب الله على نفسه أن يغفرها له ، ولكنه فعلها بقصد ونية قتل عامدا متعمدا فحزنا على أخيه الذى وقع عليه الفعل – هابيل - الطيب المؤمن التقى المسالم الناصح , وبكينا من أجله وما آل إليه مصيره المؤلم التعس الذي لا يستحقه ، بينما استحق قابيل العقاب بأن كشف الله له جهله وارسل له من به يعرف أنه جاهل خاسر ساقط فى الاختبار للمرة الثانية ، بدوافعه الخبيثة الفاسدة المسيطرة عليه التى هى أسباب مأساته الحقيقية لا سواها , التى دفعته لارتكاب الخطيئة التى ارتكبها متجاهلا حقيقة توابع الجريمة ومردودها عليه ، التي تحول حياته من السعادة إلي الشقاء ، فيستبين جهله ويجر أذيال الخسارة وينهار من الندم ويرفل فى الحسرة ويغرق فى الدموع ، معلنا أنه خسر وأنه نادم وأنه ليس أمامه من باب غير التوبة إلى الله عساه أن يتقبلها منه , وهو يبكى لا يهمه

كرامته ولا مكانته ولا ما حققه ولا ما كان يهدف إليه أو أى شيء آخر وتكون تلك النهاية التى لا يجب أن تعطى أى إشارة له - ولا لنا - تريحه أو تطمئنه من أن الله قبل توبته .

عليك وأنت تشرع فى كتابة قصة مأساة سوداء أن تختار شخصية بطلها من علية القوم من الأغنياء أو الملاك أو الوجهاء أو الوزراء أو المشاهير أو غير ذلك ، أما من غيرهم من الفقراء مثلا فأنت تستلب تعاطفنا الإنسانى تجاههم عندما يبتلون ويقدمون على الخطيئة التى بها يستحقون العقاب ، فإن نالهم عقاب يستحقونه أشفقنا عليهم وحزنا من أجلهم بدعوى أنهم ضعفاء مقهورون ما أقدموا على فعل ما فعلوه وتجاوزوا حدود الله إلا مجبرين تحت وطأة الحاجة والفاقة والعوز ، وهذا مورد خطأ من المفروض ألا يكون حتى لا تحلل ما حرم الله أو تجعلنا نشك فى عدل الله ورحمته وغفرانه ، فلا تجعل بطلك من هذه الطائفة من الناس حتى يكون عندك مساحة لتتحرك فيها بيسر وسهولة ؛ لترسم وتحبك خيوط القصة وشخصياتها وعلاقاتها دون أن تجعلنا نتعاطف مع المخطئ ، ولأن هذه الفئة القادرة هى الأكثر ردا وانتقاما وتمسكا بالنجاح المتواصل فى أعمالهم وإمبراطورياتهم ولا يقبلون الفشل أو الخسارة أو المذلة أو ذهاب الجاه والسلطان والهيلمان الذي يحيط بهم ، وكل شيء لديهم عزيز عليهم إلى أبعد حد ومن أوله المال والولد والصحة والمكانة ، فمن السهل عليك أن توجد مادة الابتلاء له وتحددها بدقة ، ليكون رد فعله المنتظر والمتوقع ليس الصبر على البلية وما أصابه من خسارة فى الصحة أو الولد أو المال إلا بسبب شيء تافه حقير صغير لا يتوقعه ، فيكون رد فعله وبما أنه قادر متسرع يتوق إلى الوقيعة والغلبة بمن كان السبب فى خسارته ولا يستبين من أوقع به جيدا مدفوعا بغيظ وغضب وتكبر وغطرسة وجبروت وشهوة الانتقام غير معط جهة البحث والتقصي والتحقيق الوقت الكافي لتكشف له المسبب الحقيقي لخسارته أو فاجعته ، ويتقدم بشواهده هو واستنتاجه هو أى شخص يثق أنه السبب ويقتله ، فيرتكب الخطيئة عامدا متعمدا يفقد بسببها تعاطفنا وشفقتنا وعطفنا ومؤازرتنا هذا أولا ، ثم تتوصل جهة البحث إلى الفاعل الحقيقي ، فيكتشف أن من أوقع به القتل أو الرعب أو

غيره ليس هو من كان السبب فى خسارته ، وبالتالي يعرف أنه قد خسر خريته لأنه سيعاقب ويقدم للقضاء الذي سيحكم عليه بالإعدام أو السجن , ولا يكون أمامه غير الندم والحسرة على ما ارتكب من جرم يستحق عليه العقاب فى الدنيا بالسجن وفى الآخرة يكون من أهل النار ، فتكون النهاية تعسة محزنة مؤلمة له ، مفرحة لأنه سينال عقابه ، مبهجة لتحقق عدل الله ، مغتبطة لأن القضاء اقتص منه ممن قتله ظلما . فهل يصح أن نحزن على قابيل وفرعون وهامان وقوم فرعون ؟!

عظم المأساة السوداء يتجلى فى إعلاء وعيد الله للذين يخطئون ، ويكون عظم الخطأ المتعمد منهم سببا فى أحزانهم وعنائهم وفاجعتهم ، فأنت أيها المؤلف بذلك تعظم شعائر الله ، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، عندما نشاهد نحن البطل المتكبر والمتغطرس المغتر بقوته ونفوذه وماله وجاهه وسلطانه ، يحزن ويعانى ويتألم ويذل بعد عز ويتواضع بعد تكبر ، ويضعف بعد قوة – رغم ماله ومكانته – المنكسر رغم قوته ونفوذه وماله وسلطانه ، يتذلل ويتضرع لله ، ويعترف بذنبه وبسوء تصرفه ، وبقصور علمه وجهله ، وأنه عبد أولا وأخيرا لله الواحد القهار الذي يلجأ إليه يتمنى رضاه فى أن يقبل توبته وندمه على ما أسرف من معاص ، هو وحده لا غيره الذي يستطيع أن يغفرها له وينجيه من عذاب الدنيا والآخرة ، فإن ذلك مدعاة لنا لنتخلص من عنادنا وأخطائنا وغرورنا وتكبرنا ، ونتعظ من واحد يتمتع بمال وجاه وسلطان لم تنفعه ولم ترفع عنه حزنه ولم تحقق له السعادة من بعد الحزن الذي أصابه برعونة وعناد وإصرار منه ، لا من أحد سواه من نفسه هو ، ولم يستطع رغم ما يملك أن ينجى نفسه من المهالك , ولجأ إلى الله الذي يلجأ إليه جميع البشر نحن الفقراء , ولجوءنا إليه زادنا وزوادنا ، وها هو غنى قادر فى النهاية يلجأ مثلنا معلنا ضعفه كحالنا ، فذلك مدعاة لأن تطمئننا وتخلصنا من أحقادنا ، وتجعلنا أكثر رضى وقناعة بما وهبه الله إيانا فنحمد الله ونشكره على نعمه وما بين أيدينا مهما كان قليلا ، ولكن ما شاهدناه جعلنا نؤمن حق الإيمان بالقناعة بأنها كنز لا يفنى ، وبتلك المأساة التى تثير فى نفوسنا الخوف من عذاب

الله ، والحزن على ما بدر منا وتكون لنا علاجا وراحة نفسية ، فأنت الذي تقدر على البطل ما يقوم به وما يفعله وما يعمله وما يقوم به ، وما يجب عليه أن يصل إليه من نتيجة حتمية لا غيرها إن مرتكب المعاصي والأخطاء وكان قاصدا متعمدا مدفوعا بأى سبب لابد أن يعترف فى النهاية بخسارته ويقر بندمه على ما فعل ويتوب إلى الله ، إن أعطيته فسحة من الوقت قبل الموت أو تكون هى النهاية • فنحن الذين نشاهد نعرف ذلك أنك الذي تقرر وإن لم تقرر أنت فنحن الذين نقرر لأننا لدينا المعرفة بتوابع من يرتكب الجريمة ، وإن خالفت توقعنا وحكمنا فأنت المخطئ وسنصب جام غضبنا عليك لأنك مخالف لشرع الله ومعطيا فرصة للمنحرفين والخاطئين والمفسدين والخونة والعملاء للنجاة

تعريف المأساة السوداء

البداية مشهد مثير ومشوق ومدهش وجذاب ومقلق ، لشخصية عظيمة فى مكانتها ولكنها وضيعة فى خلقها ، له حاجة وضيعة يريد أن يحصل عليها وهدف فاسد يريد تحقيقه ويحدده من البداية ليخلق الصراع ، وأحد مولدات الصراع هو الشيطان ومن على شاكلته من الناس الذين تتوافق حاجاتهم وأهدافهم مع حاجته وهدفه فيكون ظهيرا للشيطان ولهم • وآخر تختلف حاجته عن حاجته وهدفه فتنشأ المشاحنة والمجابهة والبغضاء ، ويتفوق عليها ، ويتخطى العقبة تلو العقبة ، حتى يقفوا فى طريقه فيضع له العقبة فهى طريقه ويصبح فى أزمة يحاول التغلب عليها ، ويتلمس الأسباب والسبل الممكنة المحتملة أمامه وفى حدود مقدرته العقلية والجسدية • ويحاول أن يجتاز هذه العقبة بكل السبل الممكنة وغير الممكنة , معتمدا على أن الغاية تبرر الوسيلة ليجتاز هذه العقبة بدهاء ومكر وحيلة، ويحاول التغلب عليها •ويستغرق منه وقتا ليعد عدته ويجهز أدواته جيدا , ويقطع فيه زمنا يتعلم فيه ويتدرب ويحسب حساباته جيدا لينجح ويواصل طريقه نحو

مسعاه فيكون الابتلاء في أخلاقه وقيمه وقوة عقيدته ومدى تحمله فلا يصبر ولا يحتسب ، وينزع إلى الانتقام من يظن فيه أنه السبب في خسارته ، فيتبع الطرق المعوجة الفاسدة ليحقق حاجته على حساب أى واحد وأي شيء ، ولكن قوة الابتلاء التى لم يصبر عليها تجعله يتسرع ولحماقته وغروره يسقط فى الابتلاء ويقدم على ارتكاب الجريمة فيمن يظن أنه يصارعه وسبب خسارته ، هذا الظن السيئ يجبره على تغيير مجرى طريقه نحو هدفه , وتجبره على سلك اتجاه آخر يبعده كل البعد عن حاجته الحقيقية وما كان يهدف له ، إلى هدف آخر وهو الانتقام مستبسلا لشره وشيطانه فيغيم الطريق أمامه من الغضب والغيظ على ما خسر ويكون وقوده المشتعل بجوفه وعقله , فيرتكب الزلة بقصد ونية وعزم فيوقع بمن يظن فيه السوء أنه وراء خسارته الفزع من القتل أو غيره عامدا متعمدا ، وتكون الزلة خطيئة لا تغتفر والتي تكون سببا فى آلامه ومعاناته ويحاول بسرعة أن يتجاوز هذه الخطيئة ، ولكنهم يشددون عليه الحصار ويسدون أمامه كل الطرق ، ويضع نفسه فى أزمة يحاول التغلب عليها والخروج منها منتصرا ولكن دون فائدة ولا جدوى، ويُحكمون عليه الحصار ويسدون أمامه كل الطرق ، فتتعقد أمامه كل الحلول ، وتكون العقدة كبرى مستحكمة ما لها قرار ولا حل ، يحاول التغلب عليها والخروج منها ، فيستعمل كل أدواته وما يملك من علم وخبرة وحيلة ودهاء ومكر وقوة وسلطان يحاول التغلب عليها ، ليرفع عن نفسه آلام الخسارة ومعاناة الهزيمة ، ويسبر أغوار تلك العقدة فلا يستطيع سبر أغوارها بمفرده أو بالآخرين ، فيلجأ إلى الشيطان الذى يمد له يد العون والمساعدة ، ويعاند الله ولا يرجع الفضل إليه الذي بيده كل شيء ، ولا يتضرع إليه ، فيسخر الله منه ، وتحدث الانفراجة يفرج عنه ويهيئ له الأسباب ، فيقع حادث قريب منه يظنه أن يكون سببا فى أول بارقة أمل تجول أمامه نحو النجاة ، فيستغلها بغبائه ويُفعل كل أدواته حتى يكسب بها ، أو يكسب معاونين قد يمدون له يد العون و يساعدونه فى حل بعض خيوط العقدة ليتلمس طريقه الصحيح مرة أخرى بسعي و طلب واجتهاد منه ليحصل على حاجته من أجل تحقيق هدفه إلى أن يحدث التعرف على شخصية تكشف له

حقيقته – بعد فوات الأوان - أن من أوقع به وظن فيه أنه السبب في خسارته ، يعرف أنه ليس هو بل من أوقع به واحد آخر أو سبب آخر ، و يحدث له عكس ما انتوى تماما من علم كان يعرفه إلى جهل لم يكن يعرفه ، ومما كان يبتغيه ممن يساعدونه جل المساعدة يكونون هم شهود جريمته , وأنه يستحق العقاب الذي يصدر وتكون النهاية أنه يواجه عاقبة سوء عمله وما ارتكبه من جريمة عامدا متعمدا – يواجه الإعدام أو السجن ويكون له الخسران والحزن ، عندها يقر أنه خسر وأنه نادم وأنه لابد أن يتوب إلى الله في نهاية المطاف وتكون نهاية حزينة مؤلمة تعسة له مفرحة لنا ٠

أصول القصة الفعلية المأساة السوداء

الشخصيات– الفكــر– الفكرة – اللغة

محددات الشخصية لبطل المأساة :

صاحب النفس الأمارة بالسوء أو اللوامة العامرة بالفساد ، النفس الوجلة المتردية في الشر الخالية من الإيمان ٠ تصارعها النفس المطمئنة العامرة بالإيمان

– الاسم غير واضح به التباس وغرابة و غموض يجبر على الاستهزاء والنفور ، لا على الاحترام والإكبار ، أسوأ منا ، إلى ما هو عليه أدنى الناس٠

الفكر فكر البطل يكون فكرا مضللا ، لا يطيع الله ، وهو يؤمن بفكر منحرف ، لا يتبع الطريق القويم في تحقيق حاجته وتحقيق هدفه ، فكره فاسد ٠

مكونات القصة الفعلية المأساة السوداء

الأفعال – المكان – الزمان – الزينة – المؤثرات الصوتية

أنواع الفعل المفزع أو المرعب أو المخوف ، ولابد أن يقع مرتين ، ليتأكد عليه الذنب الكبير ، والعقاب المؤلم المفجع ، والنهاية الحتمية.

والفزع يتحقق من : القتل المباشر ، وهو أشدهم وأقواهم وقعا وتأثيرا وألما . أوالقتل غير المباشر ، وهو المعنوي المؤلم للروح والكرامة والكبرياء. وهو أقلهم. أو الاستعباد ، أو الإذلال أوالقهر ، أوالتجبر، أو الحبس، أو التهديد ، أو الترهيب.

الفعل الأول عند الزلة : أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو يعلم من سيقع عليه الفعل ويعرف حقيقته ، ويقوم بتمام الفعل ، مما يقطع الشفقة والعطف والمؤازرة والتضرع منا نحوه.

كما فعل قابيل الذى كان يعرف من سيقع عليه الفعل ، ويعرف حقيقته ، ومع ذلك قام بتمام الفعل .

الفعل الثانى عند التعرف : أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ، ولكن لا يعرف حقيقته ، ويقوم بتمام الفعل ، ثم يكتشف حقيقته بعد فوات الأوان مما تحقق أكبر قدر من الخسران والندم للفاعل .

قوانين القصة الفعلية المأساة السوداء

الصراع – الحبكة – التغير – التحول – الانقلاب .

التغير هو الانتقال من حال السعادة إلى حال الشقاء ، ومن حال الجهل إلى العلم ومن اليسر إلى العسر ، ومن الحب إلى الكره ، ومن الصداقة إلى العداء ، ومن النجاح إلى الفشل.

أسس المأساة السوداء

البداية ـ الابتلاء ـ الزلة ـ العقدة ـ الانفراجة ـ التعرف ـ النهاية

البداية

البداية تكون بمشاهد مثيرة جذابة مفرحة مبهجة ، توضح وتكشف عن شخصية البطل ذى المكانة الاجتماعية الكبيرة والوجيهة والعظيمة ، والنجاح الباهر الذى يحققه فى عمله ومكانته ، والتى تظهر إلى أى درجة من السعادة والنجاح يصل إليها ويعيش فيها يتمتع بها ، فى جو عائلى مشبع بالسعادة والرخاء وشهوة الاكتناز والمحافظة على هذا المستوى الذى يعيشون فيه وقد حققه ، ويريد أن يحافظ عليه ، ويبتغى طرقا جديدة للنجاح والتفوق على حساب أى قيمة ، غير مدقق فى هذه الطرق ، مبتعدا بقدر علمه عما يكون فيها مما يشوبها أو يشينها ، ولكن عند الحاجة الماسة يساوم ويقبل بما يراه فيه بعض الشوائب ، مبررا لنفسه الوسيلة من أجل عظم الغاية ، مما تمكنه من خلق أدوات مهما كانت تعينه على النجاح ومواصلته ، محافظا على سعادته يضحى فى سبيل ذلك بقيم وأخلاق ونبل ، متغلبا على أى مصارعين أو معترضين أو مجابهين يقفون فى طريقه , حتى ولو كانوا من النبلاء الأفاضل يتغلب عليهم بكل السبل النبيلة والمتدنية والدنيئة ، مستعملا كل أدوات قوته من العلم والخبرة والحنكة والمراوغة والدهاء والمكر والحيلة ، يكسب بهم ويتفوق ويصل إلى مراحل كبرى من النجاح والسعادة ، مخلفا الشقاء لغيره من المجابهين والمصارعين .

الابتلاء

سبق تناوله من عدة أوجه فى مواضع متفرقة ، ولنا هنا مسلك آخر يضيف إلى تفاسيره وتوضيحه على محمل اليسر والسهولة ، كما درجنا فى أمثالنا وعرفنا وصار من البديهيات الصالحة المسلم بها [أن الرجل موقف] بمعنى فى الموقف الصعب المأزوم المعقد هو ما يظهر ويستوضح بجلاء معدن الإنسان من عدمه ، إن كان الرجل يستحق لقب الرجولة من عدمه ، لبطولته وفدائه وإقدامه وحسمه ومشاركته ، وعدم تخاذله أو هروبه أو تقاعسه ، فى نصرة المأزوم صاحب الموقف الجلل ، أم يكون رجلا بالاسم ولكن حقيقته تنتفي منها سمات الرجولة والتي بدورها تسحب من رصيد النبل والعظم والشهامة والمروءة ، ويصير إلى عكسها من الانتقاص الذى يضيع كل رصيده من احترام وتوقير الناس والمجتمع له .

ما سبق يقدم تعريفا سهلا وتفسيرا ميسرا للابتلاء الذى هو فرض من الله على الناس جميعا .

من الابتلاء يعرف الله وهو العليم وعلمه مسبق بكل شيء ، ولكن ليقيم الحجة والدليل والبرهان على شخص المبتلى بما أنجز فيه سواء بالطاعة والصبر والعزيمة ، وكان مصارعا ومجاهدا وباذلا بذلا شديدا وقويا وسديدا بعدم الخروج عن طاعة القوة العليا متمسكا بالإيمان غير معاند لها مصمما على النجاح ، فيسعده ويفرحه ويكافئه . وهنا بطل المأساة السوداء لم يتحمل البلوى ولم يصبر وجاهر بالمعصية معلنا الخروج عن طاعة القوة العليا ، متحديا لمشيئتها وفرضها ، أى كشف عن نفسه معدنه أنه لا يستحق لقب الإنسان النبيل المؤمن المحتسب الصابر الطائع ، معلنا تحديها ومخالفتها ، عاملا على كسب سخطها ووعيدها ، غير معترف بقوتها وقدرتها وسطوتها وعدلها ، غير ملتجئ لها طالبا عونها ومساعدتها على تجاوز ما يواجهه من محنة أو بلوى

تصيبه ، هو يعلم ويعرف ويؤمن أنه حال الصبر والطاعة للقوة العليا ، يكسب رضاها ومساعدتها ومؤازرتها ، وكذلك يكسب تعاطفنا وشفقتنا وعطفنا ومؤازرتنا وتضرعنا نحن معه للقوة العليا من أجله ، ولكنه يعاند ويتحدى مشيئتها ويجاهر بالمعصية ويقبل يرتكب الخطيئة عامدا متعمدا ، وهو بذلك يكشف عن معدنه الحقيقي ، من أنه لا يستحق المؤازرة ولا الشفقة ولا العطف ولا التضرع ولا الرحمة لأنه معاند ومذنب وعاص ، وهو الذى يستوجب على نفسه العقاب ويستدعى الفاجعة من القوة العليا التى ستنزل عقابها وسخطها عليه لا محالة مهما فعل ومهما هرب ومهما جاهد ، قاطعا الشفقة بداخلنا نحن له ، لأنه ارتكب الخطيئة أو الجريمة أو الذنب وهو عامد متعمد ظنا منه أن شخصا ما يعرفه هو الذى كان السبب لخسارته أو لفقدانه أدوات قوته وأسباب نجاحه ، يتوق إلى الانتقام والتشفي غير متحل بالصبر الجميل ولا العقل الرشيد والروية المستوجبة التى تظهر معدنه الحقيقى ، ولذلك أوجب على نفسه العقاب الذى يعمل على التهرب منه بشتى الطرق ، وهو يحاول أن يراوغ ويفلت من الاستحقاق المستوجب عليه الذى استدعاه بفعله وعمله ، وينجح فى المراوغة والتهرب ويحاول أن يستعيد خسارته ، ويعاود النجاح ، ويستطيع أن يعاود تحصيل حاجته والعمل على تحقيق هدفه ، مستخدما كل الأدوات المشروعة وغير المشروعة ، ويواصل العناد والتحدي للقوة العليا التي تمهله وتمد له فى غيه مدا ، حتى يشعر بالنجاح ويظن أنه باستطاعته الإفلات من العقاب حتى تنعقد أمامه الحلول ، ومع ذلك يستطيع أن يسبر أغوار ما يقابله من عقبات ، وينتشي ولكنه يشعر أن حياته لا تزال مهددة بالمخاطر من جراء الذنب الذى ارتكبه واستطاع الإفلات منه ، معتمدا على أشخاص يمدونه بالمساعدة ويجابهون معه مستفيدين منه أو مؤجرين له ، يساعدونه فى كيفية تخطى الجريمة التى ارتكبها تهدد سعادته وحياته ويبعدون عنه هذا الخطر الجاثم على نفسه ، ولكن القوة العليا تسخر منه ، ومن يتقدم إليه يساعده وينجيه من الخطر

والعقاب المستوجب عليه ، يشعر بحساباته وتفكيره القاصر وعلمه الناقص أن الشخص الذى جاء يساعده جاء يهدده لأنه العارف بجريمته ، فيلتبس عليه الأمر ويتقــدم يقتلــه ويتخلص منه ، ولكنه يكتشف بعد فوات الأوان حقيقة هذا الشخص الذى أوقع به ، من أنه جاءه بما يبعد عنه ما يهدد حياته ويساعده تمام المساعدة ، ولكنه أوقع به وهــو لا يدرى ، حينها يشعر بالخسارة الكبيرة والندم العظيم الذى لم يعد يجدي ولا ينفع غيــر تأكيد الذنب عليه وتأكيد العقاب . والأنكى أنه يكون قد كشف عن نفسه أكثر مما تيــسر على المجابهين له من الإمساك به لتوقيع العقاب الذى يستحق عليه ، ويكــون العقــاب بفقدانه حريته أمدا بعيدا أو بفقدانه حياته كلها بالشنق ،

مشاهد بفعل من طامة كبرى أو بلية عظيمة تتسبب فى خسارته خسارة كبيرة ، ولا يستبين على وجه الدقة المتسبب في هذه الخسارة التى تجلب من تداعياتها الحزن الشديد له ، مما تجعله لا يجيد التفكير السليم ولا التحلي بالصبر العظيم ، ويقبل أن يبحث عمن كان السبب فى خسارته التى لا يتحملها بما يتمتع به من المفترض قوة إيمانية من نبل وأخلاق ودين ، يسمع لشيطانه الذى يحمله على المكابرة والعناد والبحث بكل الطرق عن أسباب خسارته التى يجهلها ، فيندفع بكل قوة ينتقم ممن يظن فيه أنه السبب فى خسارته ، وهو قاصد وعامد الفتك بمن يظن فيه ، يدفعه العناد والتكبر وعدم الصبر على تحمل ما أصابه بعزم وجهد وقوة وغلبة ومنعة ، يرضى بما حدث له أنه ربما يكون امتحانا من الله يتوجب عليه تحمله واللجوء إليه يطلب منه رفع الغمة وتخليصه من البلية ، باستعادة بعض أسباب قوته وأدوات نجاحه حتى يستطيع أن يواصل طريقه ويتجاوز خسارته وطامته بخسارة أخرى وطامة جديدة وزلة عظيمة تزيد من خسارته وتستوجب عليه العقاب ، ولكنه لا يصبر ولا يستعين بالله على قضائه وقدره وبليته العظيمة بحمله عناده وغروره على التحدي والمقاومة والانتقام , ممن يظن فيهم سبب خسارته فيندفع إلى ارتكاب ،،

الزلة

هى الذنب بقصد ، وهى الصنيع غير الحسن بسوء نية ، وتأتى من الشخصية نفسها .

- مسميات الزلة وشروطها :

الجرم أو الذنب ، شرط القصد والنية ، ولذلك ليس لها عفو من الله يرفعها عنه .

السقطة شرط تمام المعرفة وحسن التقدير .

– مسببات الزلة :

الاستعجال أو العجلة لصنيع غير حسن و يكمل ما انتوى .

الاضطراب والقلق وشدة الوطأة وعدم الصبر .

ضيق النفس بسبب مواجهة المشكلات والعقبات الناتجة عن شدة الابتلاء .

التعنت أو العناد فى غير محله مما يحمل على الاستكبار .

التعب والإجهاد .

هى الخطيئة الكبرى التى يرتكبها وهو قاصد وعامد فيمن يظن فيهم أنهم سبب خسارته ، مما تقطع عليه أى خوف أو شفقة أو عطف أو مؤازرة له ، وكما يندفع فى طريق الانتقام ، ويسلك جميع الطرق من أجل استعادة أسباب قوته وأدوات نجاحه وسعادته ، ويجاهد فى سبيل ذلك جل المجاهدة مضحيا بأى قيمة يسلك كل الطرق مبررا لنفسه كل الوسائل وكل الأسلحة مما تسحب من رصيد احترامه وتنتقص من موضع إكباره ، متخطيا كل الموانع متغلبا عليها ، لا يمنعه مانع من دين أو أخلاق أو قيم ، متحملا كل ما يحدث له من ألم ومعاناة وصعاب تزيد من عناده وإصراره على ما يريد ، منتصرا مصمما على النجاح ، حتى يحققه ويستطيع رغم كل العقبات أن يحقق بعض أدوات قوته وأسباب سعادته ، والتى يشعر بقيمة نجاحه مما تزيده من شراهة العناد والتكبر ومواصلة السطوة والجبروت والانتقام والتغلب على كل من

يقابله من مصارعين أو موانع بكل السبل الممكنة وغير الممكنة التى يبذل فيها مجهودا غير عادي حتى يحققها و لكنه يصل إلى٠٠٠٠

العقدة

بعد أن تشفىّ البطل وانتصر لشره ، بمن توقع أنه سبب خسارته ، ويصير أمامه الطريق مفتوحا نحو استرداد مكسبه وحاجته ونجاحه ، يواصل طريقه إلى طريق فيه صعوبة كبيرة نتيجة بعض أخطائه التىّ ارتكبها ، مما تستوجب عليه العقاب الذى يريد أن يتهرب منه ، ويسلك كل الطرق فى سبيل ذلك ، ولا يلجأ إلى الله الذى يلجأ إليه الجميع ، ويحاول بنفسه مؤمنا بقدراته الذاتية على تخطى هذه العقدة باحثا لها عن حل فاتحا أمامه كل الاحتمالات ، باحثا عن كل الثغرات التى من الممكن أن ينفذ منها ، ويبحث عن معاونين يشتريهم بالمال ، ويغريهم بما ينتقصهم باستعاضتهم إياها ٠ ويستبشر بوادر الانفراجة التى تجعله يواصل طريقه متخطيا تلك العقبة الكبرى ، ولكن يتهدد هذا النجاحَ آخرين يترصدونه من المجابهين له ، يسبرون أغوار خطواته ويكشفون فعله ، ويجمعون الأدلة لتوريطه وإثبات الجريمة التى ارتكبها ، وهو الذى يحاول تعويض الخسارة والفكاك من الجريمة ، ومحاولة طمس معالمها ، أو أي خطوط من الممكن أن ينفذوا له منها – يحاول بكل الطرق والعزم ، وهو يعاند القوة العليا ويتحدى مشيئتها بالتهرب من حكمها الحتمي الذى تفرضه فرضا على الخارج على إرادتها ومشيئتها ، وهو يحاول أن يتحدى هذا المصير المحتم عليه لا محالة ، ويتبع أي طرق تنجيه منه ، فينزلق إلى طرق شتى أكثر مخالفة وخروجا وتحديا للقوة العليا ، وأكثر ذنبا ، فيقبل على الرشوة والمحسوبية وشراء الذمم ، وتضليل العدالة ، واقتراف مزيد من الجرائم ، حتى تحدث ٠٠٠

الانفراجة

الانفراجة لا تكون إلا من الله القوة العليا – فتفرج عنه ما هو فيه لتسخر منه ، وذلك يتحقق من خلال حادث أو حادثة تقع بالقرب منه تخصه ، أو واحد من المقربين له ، ابنه ، ابنته ، زوجته ، والده ، أمه ، أو لها ثمة علاقة وثيقة به ، أو بواحد من عائلته أو من المقربين له من الدرجة الأولى ، تفتح له طريقا نحو استعادة أسباب نجاحه وتعوضه أدوات قوته ، ولكنها في نفس الوقت توضح له سبب خسارته الحقيقي ويستبين منه المسبب الحقيقي لفقدانه أدوات قوته ، ومنها يعرف ويوقن ويتأكد أن من أوقع به بلوى كبرى قتله أو ظلمه أو قهره ، ليس هو سبب خسارته ، ويعرف ظلام نفسه ومدى جرمه بأن توضح له بما لا يدع مجالا للشك ، أن سبب خسارته ليس الشخص الذى أوقع به ، بل هنالك سبب آخر لخسارته هو نفسه المتسبب فيها لعدم فهمه الصحيح ، وعدم تفكيره الحسن الذى لم يبين له كيف يستمر فى النجاح وكيفية الخروج من الخسارة بطرق حسنة قويمة سليمة تحتم الصبر والشكر للقوة العليا معتبرا ذلك امتحانا منها ، والذي كان يحتم عليه الإعداد الجيد بالصبر العظيم والتفكير السليم واللجوء إلى الله يتذلل له ليعينه على خسارته ويخفف من آثار بلواه ، حتى يستطيع مواصلة طريقه نحو استعادة أسباب سعادته وأدوات قوته ، ولكنه لم يفعل ذلك لرعونته وتسرعه وتكبره ، ويصبح وهو يواجه المخاطر الحقيقية بعد أن استعاد أسباب قوته وأدوات نجاحه التى تشعره بالقوة والتفوق ، والمقدرة على ترويض كل السبل نحو حاجته وهدفه ، ولكن تتهدد حياته كلها المخاطر من جراء ارتكابه جريمة عامدا متعمدا ، وهذه الجريمة تستوجب عليه العقاب الحتمي ، فيحاول المراوغة والتضليل والتهرب من هذا العقاب المستوجب ، مستندا على نجاحه وتفوقه وجبروته وتحلله من القيم والأخلاق التى تكبل حركته ، بطرق شتى يتبعها ، ويزداد عناده للمشيئة الإلهية التى يعرف أنه خالف أوامرها ولم يتجنب نواهيها ، وهى تصطبر عليه وتمد له فى غيه مدا

بما تشعره بأنه قادر على التهرب من جريمته واستحقاق العقاب ، ويحـاول ان يـسبر أغوار سبب خسارته الحقيقى حتى ينتقم منه ، بدافع التكبر الأجوف والتصرف الأرعن والغرور الأعمى ، أو يلصق به جريمته حتى يحدث ٠٠٠

التعرف

أن يهم الفاعل بفعله المفزع وهو يعرف من سيقع عليه الفعل ويعرف حقيقته ، ومع ذلك يقوم بكمـال الفعل ، فليس من المعقول ولا المقنع أن يرتكـب شخص جريمة ويتمها من غير أن يعرف المفعول به ، فعن أي شيء أو أي سبب يقتله أو يوقع به ، وتحت أي مسمى يقبل على القتل بدون سبب ، وحتى إن وجد الـسبب ، فهل يقتل وهو لا يعرف على وجه الدقة بمن أوقع به؟!

إذن لا بد حال ارتكاب الفعل المفزع أن يكون القائم بالفعل يعرف تماما مـن سـيقع عليه الفعل ، ولذلك يتمه تحت ذريعة أنه السبب في خسارته أو فقدانه أسباب قوته ٠

وفيه يعرف أن سبب خسارته لم يكن الشخص الذى أوقع به ، الـسبب مـشيئة الله وحده وليس لأحد دخل بخسارته غير تواجد من أوقع به في غير الوقت المناسب ممـا يبدو أنه السبب ، ومع أنه كان العكس من ذلك لأنه حاول جاهدا التغلب علـى أسـباب الخسارة بمحاولة منعها ٠

النهاية

فيندم أشد الندم على ما فعله بمن أوقع به ، وهذا يقوده إلى مـصيره المحتـوم نحـو القصاص بسبب هذه الجريمة التى اقترفها بكامل وعيه وإرادته ، وتكون النهاية مؤسـفة مؤلمة حزينة مفزعة للبطل ، طامة كبرى وبلية عظيمة لا تبقى عليه ولا تذر ، مفرحة لنا ، إما إلى سجن أو إعدام ، وإما فاجعة من فعل القوة العليا نفسها التى تقتص منه ، بأن يصرع ويفجع فى حياته التى تفنى وتنتهى ٠

المأساة الشخصية العظيمة

بطلها من أصحاب النفس المطمئنة أو اللوامة .. وهم الذين لديهم عقيدة ثابتة من فكر صالح ، ونية صادقة من إيمان كامل بالجهاد ، وعزيمة لا تلين من أجل فكرة صالحة حسنة ، يسيرون نحو أن تنتهي حياتهم بالشهادة في سبيل الله ، أو سبيل الوطن ، أو سبيل قيمة عظيمة ، والجهاد في اللغة : بذل ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل . والجهاد في الشرع : بذل الجهد لإعلاء كلمة الله . والشهادة في اللغة معناها الخبر القاطع ، والحضور والمعاينة والعلانية ، والموت في سبيل الله .

العنوان المشرق والبدر الساطع والشمس التي لا يغيب نورها ولا يخبو ضياؤها ، الذي يعرفه كل مسلم ويحتفل بمقتله كل مؤمن ، سيد شباب أهل الجنة سيدنا الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأمه فاطمة الزهراء بنت النبي محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نشأ وترعرع في أحضانه وأحاطه في طفولته بمشاعر الحب والحنان ، وكان يحمله وأخاه الأكبر الحسن على صدره الشريف ، ويصرح أمام أصحابه ويعلن عن هذا الحب الأبوي الكبير ويقول :(اللهم إني أحبهما وأحب من أحبهما)، ويقول في عبارات أخرى: (إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا) وكان رسول الله ذات يوم يصلي والحسن والحسين عليهما السلام يتناوبان على ظهره الشريف فباعدهما الناس عن ظهره فقال: (دعوهما بأبي هما وأمي من أحبني فليحب هذين) .

خرج سيدنا الحسين من المدينة المنورة رافضا للسلطة اليزيدية ومعلنا الثورة على يزيد بن معاوية الذي تولى الخلافة بتوصية وإزكاء من والده غصبا وكرها وفرضا ويريد البيعة من الجميع حتى يكون لديه شرعية يحكم بها ، وهو ما رفضه سيدنا الحسين عندما أرادوا أخذ البيعة منه بالإكراه والتهديد الذي وصل إلى القتل ومع ذلك لم يأبه بالقتل ولم

يخف من التهديد ورفض إعطاء البيعة لمن أرسلهم يزيد موكلين عنه لأخذ البيعة , وهب يخرج له فى أرض العراق حيث مكان الخلافة ، ويقول سيدنا الحسين : لم أخرج أشرا ولا مفسداولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير سيرة جدي وأبي" ويوضح سبب رفضه لبيعة يزيد بقوله: " يزيد رجل فاسق شارب للخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله" فالإسلام يشترط في القائد الذي يقود الأمة ويمسك بزمام الأمور أن يلتزم بقواعد القسط والعدل ويحترم قوانين الشريعة وإرادة الأمة ويلتزم بسيادة القانون ويتجرد عن حب التسلط واستغلال المنصب وجعله طريقاً للإثراء والمتع والاستئثار، فقد كان سيدنا الحسين رضى الله عنهما يرى القيادة أداة ووسيلة لوضع الأمة على طريق الهدى والصلاح ، فهو يعلم أنه القادر على هز الحكم الأموي الفاسد وتفجير البركان تحت عرش يزيد ، وأنه القادر على إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة ، لقد خرج سيدنا الحسين من مدينة جده الرسول الخالد محمد - صلى الله عليه وسلم - وسلك درب الكفاح الطويل ، فقد اصطحب معه أخوته وأبناءه وبني أخيه وجل أهل بيته ، ولم يغادر المدينة المنورة حتى زار قبر جده رسول الله - صلى الله عليه وسلم زيارة المودع الذي لا يعود ، ووقف إلى جوار القبر الشريف فصلى ركعتين ثم وقف بين يدي جده العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - يناجي ربه ويقول : "اللهم هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللهم إني أحب المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا ما اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى" , وهكذا كانت عزيمته إصرار وحزم القائد الذي لا يلين قال فيه بعض الرواة : (والله ما رأيت مكسورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرّجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب ، ولقد كان يحمل فيهم فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، وهو

الذي حين سقط عن فرسه إلى الأرض وقد أثخن بالجراح ، قاتل راجلاً قتال الفارس الشجاع يتقي الرّمية ويفترص العورة ، ويشدّ على الشجعان وهو يقول: " أعليّ تجتمعون " وهو الذي جبن الشجعان وأخافهم وهو بين الموت والحياة صبر على طعن الرّماح وضرب السّيوف ورمي السّهام حتى تنازت السّهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ وحتى وجد في ثيابه مائة وعشرون رمية بسهم و في جسده ثلاث وثلاثون طعنة برمح وأربع وثلاثون ضربة بسيف) هكذا فعل الأوغاد بحفيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوغاد خونة من المسلمين للأسف الشديد ، وهذا ما يعزز الحزن الشديد والمأساة العظيمة فعلا ، عظيمة لأن المقتول حفيد رسول الله ، وعظيمة لأن القتلة مسلمون لم يكونوا كافرين ، ولم يكونوا غير عرب ، وهذا ما يدمى قلوبنا ويحرق أعصابنا ، ويهطل الدموع من عيوننا ، ويؤجج نار الغضب فى نفوسنا ، ويشعل نار الانتقام والتشفي منهم ، ويجعلها مأساة تحز فى نفوسنا يتوارثها جيل بعد جيل إلى أن تقوم الساعة ، نتمنى أن نلتقيه رضوان الله عليه فى جنة الخلد لنعتذر له ألف مرة ، ونبكى اعتذارا وخجلا لجده ملايين المرات عما فعله السفلة منا بحفيده الذى أوصى بحبه فقتلناه ومثلنا بجسده الطاهر الشريف .

ومثله انتهت حياة سيدنا عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وهم من هم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخلفاء الراشدون العدول التقاة ، وغيرهم .

هذا هو نموذج بطل المأساة العظيمة صاحب النفس المطمئنة ، ويصلح أن يكون بطلها من أصحاب النفس اللوامة ، إن بطلها يسير نحو الشهادة بإرادته الحرة القوية ابتغاء مرضاة الله وحده ، يطمع فى جنته وصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم فى دار مقامته فى جنة الخلد ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نقول إن نهايته محزنة على الإطلاق فهل بوسع إنسان أن يضمن الجنة ويحزن ؟!! سؤال لا يحتاج إلى إجابة ، ولكن النهاية محزنة

بالنسبة لنا!! وكما قلت إنه حزن جميل مطهر لنا من الرياء والتكبر والغطرسة والقنوط ، شاف لنا من اليأس والحقد والغل والحسد ، حزن مطهر للنفس من أدرانها وأحقادها ، حزن مخلص من الكبر والتعالي ، حزن فى أنبل وأجل وأعظم معانيه ، حزن مهذب للنفس الفاسدة مفرح للنفس العامرة بالإيمان ، حزن ممزوج بفرح ، حزن من نوع خاص تمتزج فيه دموع الحزن بدموع الفرح من عين واحدة ۰ من استشهد عزيزا لهم تبارك وتهنيء الناس أهله ، ولهذه الخصوصية يكمن عظم وإجلال المأساة العظيمة التى لم أجد لها اسما أشرف وأحسن وأجمل من ذلك۰

تعريف المأساة الشخصية العظيمة

البداية مشهد مثير ومشوق ومدهش وجذاب وممتع ، ومبنى على المستحيل الممكن المقنع لشخصية عظيمة ونبيلة له حاجة يريد أن يحصل عليها وهدف يريد تحقيقه ، تتعارض مع حاجات آخرين وأهدافهم ، فتنشأ المشاحنة والمجابهة والبغضاء ، فيقومون بعمل مفزع يهددون حياته - فنخاف عليه - فينشأ الصراع على أشده ، فيتآمرون عليه للوقيعة به وإبعاده عنهم أو التغلب عليه فى مكان معلوم ، فيضعون له العقبة فى طريقه ويصبح فى أزمة يحاول التغلب عليها ، ويتلمس الأسباب والسبل الممكنة المحتملة أمامه وفى حدود مقدرته العقلية والجسدية ويحاول أن يجتاز هذه العقبة بكل السبل حتى يجتازها فيضعون أمامه عقبة أخرى فى مكان آخر بدهاء ومكر وحيلة، ويحاول التغلب عليها ، ويستغرق منه وقتا ليعد عدته ويجهز أدواته جيدا ويقطع فيه زمنا يتعلم فيه ويتدرب ويحسب حساباته جيدا لينجح ويواصل طريقه نحو مسعاه ۰فيكون الابتلاء فى أخلاقه وقيمه وقوة عقيدته ومدى تحمله فينزع إلى الصواب والإصرار عليه ليحقق حاجته بدون ضرر، ولكن قوة الابتلاء والاصطبار عليه، تدفعه دفعا إجباريا وتغير مجرى طريقه نحو هدفه وتجبره على سلك اتجاه آخر يبعده كل البعد عن حاجته وهدفه ، فيغيم الطريق أمامه

ويلتبس عليه الأمر وهو يحاول أن يتلمس طريقه الذى رسمه لهدفه الذى لا يتراجع عنه أبدا عاقد العزم والنية على تحقيقه ، فيأتي الزلة التى تكون سببا فى آلامه ومعاناته ويحاول بسرعة أن يتجاوز هذه الزلة ، ولكنهم يشددون عليه الحصار ويسدون أمامه كل الطرق , ومع ذلك يوقعون به ويضعونه فى أزمة أخرى ويحاول التغلب عليها والخروج منها منتصرا , فينازعهم وينازلهم ويحاول دفع الأذى عن نفسه ولكن بدون فائدة ولا جدوى فيجد أمامه عقبة أشد وأقوى، ويُحكمون عليه الحصار ويسدون أمامه كل الطرق فتتعقد أمامه كل الحلول ، وتكون العقدة الكبرى المستحكمة ما لها قرار ولا حل ، يحاول التغلب عليها والخروج منها ، فيستعمل كل أدواته وما يملك من علم وخبرة وحيلة ودهاء ومكر، يحاول التغلب عليها يبذل تمام البذل مستعدا أن يضحى بنفسه فى سبيل الوصول إلى ما يريد وتحقيق ما يهدف إليه ، ويرفع عن نفسه الآلام والمعاناة ، ويسبر أغوار تلك العقدة فلا يستطيع سبر أغوارها بمفرده ، فيلجأ إلى الله ، ويرجع الفضل إليه الذي بيده كل شيء - فنشاركه حيرته وندعو له ، و يتضرع إلى الله ويذكر الأنبياء ،– فنصلى عليهم - فيستجيب الله له وتحدث الانفراجة يفرج عنه ويهيئ له الأسباب ، فيقع حادث بعيد عنه يكون سببا فى أول بارقة أمل تجول أمامه ، فيستغلها ويجتهد بعمله وعلمه وتفانيه وإخلاصه وصدقه ويُفعل كل أدواته حتى يكسب بها ، أو يكسب معاونين له قد يمدون له يد العون ويساعدونه فى حل بعض خيوط العقدة ليتلمس طريقه الصحيح مرة أخرى ليحصل بعلمه وعمله وبشهادة الآخرين ، و بسعي و طلب واجتهاد منه ليحصل على حاجته، ، ثم يجاهد من أجل تحقيق هدفه ويسعى بكل جهده إلى أن يحدث التعرف على واحد يكشف له حقيقة من يواجههم ، ومع ذلك يواصل طريقه بعزيمة وإيمان وثبات يلجأ إلى الحيلة وإلى كل ما يملك من أدوات قوة يستعملها ويحاول أن يكسب بها ، بغية تحقيق هدفه دون هوادة ولا كسل ولا تراخ بل بعمل وجهد وصبر وإصرار ، حتى تخور قواه وتكون النهاية يتغلبون عليه ويوقعون به ويقضون على حياته ، وهو ينازع النفس الأخير , ورغم آلام خروج الروح إلا أن ملامحه تشي بالسعادة والرضي ، يستشعر

رحيق الجنة التى تتراءى أمام عينيه والروح تصل إلى الحلقوم ، فيلفظ أنفاسه الأخيرة برضي ، وسرعان ما يكتسى وجهه بالنور ، وروحه تصعد إلى السماء تحفها الملائكة الكرام بهالة من النور وتدثرها بالثياب البيض المعطرة بأريج الجنة ، وتتصاعد الملائكة بالروح حتى تدخل به الجنة ويسكنونه قصره المحفوف بالبساتين والرياحين والأنهار والحور العين ، والولدان الحسان الذين يكونون فى خدمته يقدمون له الماء الطهور ، والعسل المصفى ، والخمر الجميل ، والكل فرحون به مهنئون ، فيفرح كأن لم يفرح من قبل ، ولذلك يكون حزننا نحن المحقق لتوه عليه يتحول إلى فرح عليه ، عندما نرى نهايته تتحقق على النحو الذى كان يأمل وينوى وتحقق له ذلك ، وهو ما يجب على المؤلف أن يتمه ، ويصوره المخرج على أعلى فرضية ممكنة له من أدوات , لأنه مستحيل ولكن على المخرج أن يبذل مجهودا غير عادى حتى يحققه حتى ولو بدرجة كبيرة منه لأن له غاية التأثير المكثف الذى يبقى فى نفوسنا أمدا بعيدا ، يعظم طاعة الله ونعيم ثوابه وتحقيق وعده الذى لا يخلفه أبدا ونحن نسير حسب أحكامه لا نخالفها ولا نبتدعها ، ولا نلتفت لرأى الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب وقالوا إن من مثل ذلك شيء خارج عن نطاق الطبيعة وذلك بالنسبة لهم لأنهم لا يعرفون كلام الله المنزل فى القرآن الكريم ، ووصفنا للجنة وتصويرها بتشبيه ما وصفه الله ليس فيه من الحرام أو التجاوز أو عدم العلم والمعرفة ، أو أن حكمنا على البطل أنه من أهل الجنة هذا حكمنا نحن وتقديرنا نحن لا ، بل هو حكم الله كما بينا وأسلفنا ، ولأن الله وصفها على هذا النحو البديع الجميل ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا

يَصَّدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الواقعة]

المأساة الشخصية الإلهية

إن هذه المأساة من الممكن أنّ تقع لعموم الناس الذين تنتهى حياتهم بفاجعة دون أن يكون لديهم ثمة ميل أو إصرار أوعزيمة ، ولكن فرضت عليهم هذه النهاية بقضاء الله وقدره الذى هو من الغيب الذى لم يطلع عليه أحد من البشر وحتى سيد الخلق وحبيب الرحمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما حسم الله هذه المسألة لأحب خلقه إليه وتتصرف علينا نحن جميعا ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف] هذا حسم قاطع ألا نتجاوز حدودنا ونسأل لماذا ، ومن أجل ذلك أسميتها المأساة الإلهية لأنى لا أستطيع ولا هو جائز لى شرعا أن أعطيك لها أسبابا أو عللا أو تحليلا ، ولكن جهدي ينصرف فى أن تحققها فى صاحب النفس الأمارة بالسوء أو دونها مما لا يؤمن بالإله الواحد تجدنا نفرح فيه ؛ لأنهم يقطعون السبيل بداخلنا نحو أى شفقة أو عطف أو خوف أو حزن أو رأفة عليهم لأنهم لا يستحقون تلك المشاعر الإنسانية النبيلة الجميلة منا وهم العصاة غير المطيعين لله خالقهم وخالق كل شيء ، وما نهايتهم تلك نحسبها ونعدها نوعا من العقاب الشديد الذى أنزله الله عليهم فى الدنيا قبل الآخرة ، وهو ما يقطع شعورنا الإنساني تماما معهم

لأننا تأكدنا من عصيانهم لله وارتكابهم الذنوب التى تستوجب العقاب والشماتة والتشفى والفرح فيهم ، لأن الله تعالى حكم على مثل هؤلاء فى جرائم حال ارتكابها ينفذ فيهم حكم الله الذى تطبقه الدول الإسلامية بأشكال عدة مثل الزانية والزانى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور] الله حسم مثل هذه المسألة والآية توضح المعنى ولا تحتاج إلى شرح أو توضيح أو مزايدة.

وهى من الممكن أن تتحقق فى عموم الناس الطائع وغير الطائع أو المزاوج بينهما ، أو حتى الكافر ، لكن يفضل أن يستبعد أصحاب النفس المطمئنة أو اللوامة ليكونوا أبطالا لمثل هذه المأساة إن كانت تلك نهايتهم ، وهو ما يحقق أكبر قدر من الحزن الشديد غير المطهر لنا من الأحقاد ولا المعالج لنا من الأمراض ، ولا المثبت للإيمان فى القلوب لأن القلوب عرضة لأن تهزها الأهواء كما قال الشيخ الشعراوى فى تفسير الآية التى ذكرها الله تعالى فى محكم التنزيل بشأن القصة لماذا أنزلها والحكمة منها ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود] تثبيت القلوب على الإيمان والطاعة .وتطهيرها من العناد والمكابرة والفساد ، وعظة للنفوس لتعالجها من التمرد والعصيان والأدران من حسد وغل وحقد وحسد وطمع وغيره ، وذكرى للعقول المنفلتة المتحررة لتقومها وتذكرها بحدود الله . وعند استعمال من مثل هذه النهاية المأساوية الحقة لصاحب النفس المطمئنة , ستحدث عكس ذلك تماما من أن الحزن هنا حزن من النوع المرضى الذى يدعو إلى الكآبة الموصلة إلى اليأس ، واليأس هو أشد مرض مهلك

للنفس ، ولذلك لا أنصح المؤلف بمثل هذه النهاية لأصحاب النفس المطمئنة بالذات وتتعداها لأصحاب النفس اللوامة التى لم تزل غير غلطة واحدة بغير قصد المسموح بها من الله.

لكن يفضل أن تكون نهاية بطلها لصاحب النفس المطمئنة أو اللوامة الطائعة على هذا النحو لا غيره حتى يأتى أكله الطيب بإذن الله ويكون علاجا للنفوس ومطهرا لها ، فى الحديث ، روى البخاري عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الشهداء خمسة: المطعون ، والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله) (المطعون) الذي يموت بسبب وباء عام . (المبطون) من مات بسبب مرض أصابه في بطنه. (صاحب الهدم) الذي يموت تحت الهدم . المبطون قال أهل العلم في تفسيره : إنه من مات بداء في بطنه كإسهال واستسقاء .وقال الحافظ بن حجر في شرحه على صحيح البخاري : المراد بالمبطون من اشتكى بطنه لإفراط الإسهال ، وأسباب ذلك متعددة. قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم : أما المبطون فهو صاحب داء البطن. وهو الإسهال ، وانتفاخ البطن ، وقيل : هو الذي تشتكي بطنه ، وقيل : هو الذي يموت بداء بطنه مطلقا ، وأما الغرق فهو الذي يموت غريقا في الماء ، وصاحب الهدم من يموت تحته . وفي تفسير شهادة هؤلاء الناس ، وهل ترتقي لشهادة من قاتل في سبيل الله حتى قتل , قال العلماء: وإنما كانت هذه الموتة شهادة بتفضل الله تعالى بسبب شدتها وكثرة ألمها ، وقد جاء في حديث آخر في الصحيح : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) وفي حديث آخر صحيح: (من قتل دون سيفه فهو شهيد) . والمراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء ، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم .والشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة ، وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا وهم هؤلاء المذكورون هنا، وشهيد في الدنيا دون الآخرة وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبرا.

ولكن يفضل أن تلجأ إلى هذا النموذج وهذه النهاية التى تنتهى حياة بطلها من ذلك النوع من الذى أعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنهم شهداء كما سبق أن وضحنا ، وتكون النهاية بحزن ، ولكنه حزن جميل ، أى بمعنى أن تنتهى حياتهم من مثل ما سبق لأنهم فى هذه الحالة يعتبرون من الشهداء ، وما داموا شهداء فسيدخلون الجنة .

مفهوم المأساة القومية

المأساة القومية وهى كحال المأساة الشخصية . ونقصد بالقومية جماعة من الناس يربطهم العرق أو الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين أو المكان و العادات والتقاليد أو المعتقد أو أى حدود تجمع بين مجموعة من الناس ، حتى ولو كان حاجة ما وهدفا ما هو الذى يجمع ويوحد بينهم وهنا نبل الحاجة وعظم الهدف هم الذين يحددون عظم المأساة القومية من وضاعتها ، ويحدد نوعها سواء كانت سوداء أم عظيمة ، أم الهية . وتنتهى حياتهم بفاجعة تقضى على حياتهم ، أو على بعضهم دون الآخر الذى يظل يعيش يتجرع المرارة ويجر أذيال الخسارة ويرفل فى الندم.

المأساة القومية السوداء

وهم جماعة من الناس لا يطيعون القوة العليا ويخالفونها ويتحدونها ويعاندون مشيئتها ويسيرون عكس إرادتها ، فتمتحنهم ، ويسقطون فى الامتحان ، فيستحقون عقابها الذى تنزله بهم ولا تبقى ولا تذر عليهم تفجعهم فى حياتهم وتقضى عليها ، وما تتركه منهم يشعر بالخسارة الكبيرة , مما تجبره على الندم العظيم .وتتمثل هذه المأساة القومية فى مثل العصابات الإجرامية ، وتجار المخدرات والسلاح واللصوص ، ومجموعة الفساد والرشاوى. ومن مثل ذلك الكثير ، وتكون نهايتهم بفاجعة كبرى وبلية عظيمة لا تبقى ولا

تذر عليهم ، ويكون عقابهم الذى يستحقونه غير مأسوف عليهم ، وتكون نهاية محزنة مؤلمة موجعة لهم ، مفرحة لنا نحن المشاهدين لأنه تحقق فيهم عدل الله، وهو ما يشعرنا بالراحة والطمأنينة والسكينة المخلصة من الأرق والتعب والإجهاد ، مما تشفى النفوس من مطامعها وانحرافاتها وتحملها على الطهر والصلاح والطاعة ، وتطهرها من الشوائب التى علقت بها ومن التلوث الذى أمرضها. لأن الإنسان مكون من روح ومادة وسلامته وقدرته على ممارسة الحياة تستوجب سلامة الروح والجسد لأنهما متكاملان ومترابطان ، فالجسد وعاء الروح وهي لا تكون في صفاء وطمأنينة إلا بسلامة الجسد من الأمراض , ولا يكون الجسد في صحة وسلامة وعافية إلا بسلامة الروح من الأمراض التي تعتريه , والمؤكد أن لأمراض الجسد علاجا معروفا من خلال الطب والتداوى به الذى يشفى الجسد ، أما الروح فدواؤها وعلاجها من مشاهدة روح مثلها تراها رؤى العين وسمع الأذن أو تسمع عنها أو تسمع لها تؤثر فيها حتى تتحد معها تتأثر بما تتأثر به ، ولكن فى لحظة النهاية لحظة تحقق الفاجعة المؤلمة للروح المماثلة المشاهدة تكتشف الروح أن ما يقع ويتحقق ليس فيها ولكن فى الأخرى , مما تحملها على التخلص من الخوف الذى سيطر عليها فى لحظة الحسم ، وتشعر بنفسها أنها بعيدة وفى منأى عما تشاهده وتراه , مما يحملها على الراحة والطمأنينة وهما علاجها الفعال الذى طهرها من الضيق وخلصها من الاكتئاب وأمدها بالأمن ، إن علاج أحوال الروح وما يعتريها من أوهام ووساوس وخلجات وانتكاسات وتلوثات في التفكير والتركيز دواء غير محسوس بانعكاس أثر المشاهدة الدرامية بأنواعها ، والقصصية بأنواعها كذلك ، لأن علاج النفس أمر معنوي له أثره البالغ في الوقاية من أمراض الجسد ، لأنه حال مرض الجسد وسلامة الروح ، تمد الروح بجذوة المقاومة للمرض وتساعد على قبول وتفعيل العلاج العضوي المادي من عقاقير وغيرها من أدوية .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

[الأعراف]

تعريف المأساة القومية السوداء

البداية مشهد مثير ومشوق ومدهش وجذاب ومقلق ، لشخوص عظيمة فى مكانتها ولكنها وضيعة فى خلقها ، لهم حاجة وضيعة يريدون أن يحصلوا عليها وهدف فاسد يريدون تحقيقه ويحددونه من البداية ليخلق الصراع ، وأحد مولدات الصراع هو الشيطان ومن على شاكلته من الناس الذين تتوافق حاجاتهم وأهدافهم مع حاجتهم وهدفهم فيكونون ظهيرا للشيطان ولهم ، وآخر تختلف حاجته عن حاجتهم وهدفهم فتنشأ المشاحنة والمجابهة والبغضاء ، ويتفوقون عليه ، ويتخطون العقبة تلو العقبة ، حتى يقف فى طريقهم من يحاول منعهم أهدافهم الوضيعة وعدم مواصلة عنادهم ، فيكون عقبة فى طريقهم يسبب لهم أزمة يحاولون التغلب عليها ، ويتلمسون الأسباب والسبل الممكنة المحتملة أمامهم بتهديد ووعيد وتحد وغرور وعناد وفى حدود مقدرتهم العقلية والجسدية التى يتفوقون بها ، ويحاولون أن يجتازوا هذه العقبة بكل السبل الممكنة وغير الممكنة معتمدين على أن الغاية تبرر الوسيلة ليجتازوا هذه العقبة بدهاء ومكر وحيلة، ويحاولون التغلب عليها ،ويستغرقون فيها وقتا ليعدوا عدتهم ويجهزوا أدواتهم جيدا

ويقطعوا فيه زمنا يتعلمون ، فيكون **الابتلاء** فى أخلاقهم وقيمهم وقوة عقيدتهم ومـــدى تحملهم فلا يصبرون ولا يحتسبون ، وينزعون إلى الانتقام ممن يظنون فيه أنه الـــسبب فى خسارتهم ، فيتبعون الطرق المعوجة الفاسدة ليحققوا حاجتهم على حساب أى واحـــد وأي شيء ، ولكن قوة الابتلاء التى لم يصبروا عليهـــا تجعلهـــم يعانـــدون ويتجبـــرون بحماقة وغرور ، يستجمعون قوتهم يعاندون ما حدث لهم ، ويفكرون جيدا فى الخـــروج من الخسارة التى ابتلوا بها ، يحاولون استعادة ما فقدوه بكل الطرق ، ويـسلكون جميـــع السبل ، ويسقطون فى الابتلاء ويقدمون على ارتكاب الزلة بقصد ونيـــة وتعمـــد فـــيمن يظنون أنه يصارعهم وسبب خسارتهم ، هذا الظن السيئ وهذا العناد وهـــذه الخـــسارة تجبرهم على تغيير مجرى طريقهم نحو هدفهم الذى يريدون ، ويسلكون طرقا أخـــرى تبعدهم كل البعد عن حاجتهم الحقيقية وما كانوا يهدفون إليه ، إلى هـــدف آخـــر وهـــو الانتقام مستسلمين لشرهم وشيطانهم فيندفعون من الغـــضب والغـــيظ ويكـــون وقـــودهم المشتعل بجوفهم وعقلهم ، فيرتكبون **الزلة** بقصد ونية وعزم فيوقعون بمن يظـــن فيـــه السوء أنه وراء خسارتهم ، وتكون الزلة خطيئة لا تغتفر والتي تكون سببا فى وضعهم أمام عقبة تسبب لهم آلاما ومعاناة للخروج والتهرب من عقابهم الذى اســـتحق علـــيهم ، ويحاولون بسرعة أن يتجاوزوا هذه الخطيئة بكل الطرق ، ولكنهم يجدون من يـــشددون عليهم الحصار ويسدون أمامهم كل الطرق ، فتنعقد أمامهم كل الحلول ، وتكون **العقدة** كبرى مستحكمة ما لها قرار ولا حل ، يحـــاولون التغلـــب عليهـــا والخـــروج منهـــا ، فيستعملون كل أدواتهم وما يملكون من علم وخبرة وحيلة ودهاء ومكر وقـــوة وســـلطان يحاولون التغلب عليها ، ليرفعوا عن أنفسهم آلام الحصار المفروض علـــيهم والمعانـــاة التى يبذلونها من أجل الهرب من جريمتهم ، والخروج نحـــو تحـــصيل حـــاجتهم التـــى يريدون الحصول عليها ، ويسبر أغوار تلك العقدة فـــلا يـــستطيعون ســـبر أغوارهـــا

بمفردهم أو بآخرين يحاولون استمالتهم ؛ فيلجأ إلى الشيطان الذى يمد لهم يـد العـون والمساعدة ، ويعاندون الله ولا يرجعون إليه بالتوبة يتـضرعون إليـه ، فيـسخر الله منهم ، وتحدث **الانفراجة** يفرج عنهم ويهيئ لهم الأسباب ، فيقع حـادث قريـب مـنهم يظنون أنه بارقة أمل تجول أمامهم نحو النجاة ، فيستغلونها بغباء وتـسرع ، ويُفعلـون كل أدواتهم حتى يكسبوا بها ، أو يكسبوا معاونين قد يمدون لهم يد العون و يساعدونهم فى حل بعض خيوط العقدة ليتلمسوا طريقهم الصحيح الذى به يحصلون على حاجـاتهم ويحققون أهدافهم مرة أخرى ، يبذلون فى سبيل ذلك تمـام البـذل وبـسعي و طلـب واجتهاد ومكر ودهاء ليحصلوا على حاجتهم من أجل تحقيق هدفهم ، ويقتربون إلى مـا يريدون الوصول إليه بمساعدة آخرين استطاعوا استمالتهم ، ويتمكنون من العـودة إلـى الطريق الصحيح الذى رسموه لهدفهم منذ البداية ، ويواصلون صراعهم إلى أن يحـدث **التعرف** على شخصية تكشف لهم حقيقة من أوقع بهم وظنوا فيـه أنـه الـسبب فـى خسارتهم ، يعرفون أنه ليس هو بل من أوقع بهم واحد آخر أو سبب آخر ، و يحدث لهم عكس ما انتووا تماما من علم كانوا يعرفونه إلى جهل لم يكن يعرفونه ، ومن استمالوهم وظنوا فيهم المساعدة يكونون هم شهود جريمتهم وكـشف أسـرارهم والتعـرف علـى خططهم وعددهم وأماكنهم ، مما يسقطون فى قبضة من بيده عقابهم وتكـون **النهاية** يواجهون عاقبة سوء عملهم وما ارتكبوه من جرائم وذنوب ، يواجهون المصير المحتوم الذى استوجبوه على أنفسهم وصار واقعا بهم لا محالة وهم يواجهونه لا مفر لهـم منـه أبدا ، ويكون لهم الخسران والحزن ، وتكون نهاية حزينة مؤلمة تعسة لهم مفرحة لنا .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الشعراء]

المأساة القومية العظيمة

وهم القوم المطيعون لله غير معاندين له ، مستعدين أن يضحوا بحياتهم فى سبيل الله ، أو سبيل الوطن ، أو سبيل قيمة عظيمة ، أو هدف نبيل ، يتوخون طاعة الله . وتتمثل – مثلا – فى الجيوش التى تعدها الدولة لحماية حدودها وأمنها من الطامعين والمغيرين والمحتلين والظالمين والمعتدين ، فيكون جهادهم عظيما وهدفهم نبيلا يسيرون فى طاعة الله الذى أباح الدفاع عن الأوطان ، وعن الحياة ، ومحاربة الذين يقتلون الناس بالظلم والعدوان مستعدين أن يستشهدوا ويفجعوا فى حياتهم ثمنا للانتصار وردّ الاعتداء وحماية الحدود والعهود .أو من مجموعة من الحراس يأتمنهم صاحب الأمر أو الأمير أو الرئيس أو الملك على حفظ النظام وأمن الناس ، وقتال الخارجين عن القانون ، والناشرين فى الأرض الفساد بجميع أنواعه ، يصارعونهم ويجابهونهم

ويتبعونهم للوقيعة بهم والقضاء عليهم ، مستعدين لبذل كل غال ونفيس حتى لو فقـدوا حياتهم على ألا يتراجعوا حتى ينتصروا على الفسدة والفساد والانحراف والمنحـرفين وغيرهم ، وتكون نهايتهم مأساة عظيمة تدعو إلى التفاخر والتباهي وتقدم العظـة فـي أكمل وأجل معانيها وصورها البديعة ، مما تكون قدوة واقتداء وعظـة ، للمتكاسـلين والمتخاذلين منا ، وتطهر النفوس من الجبن والأنانية والخنوع.

ومثال ذلك فى قصة أصحاب الأخدود وغيرها الكثيـر ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج]

وكذلك قصة أبرهة عندما أراد أن يهدم الكعبة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل]

المأساة القومية الإلهية

وتكون النهاية من الفواجع الطبيعية مثل البراكين ، والزلازل ، والأعاصير ، والسيول وما شابه وليس للإنسان تدخل فى أحداثها ، بل يتأثر بحدوثها فيه ٠ وهى من قضاء الله وقدره الذى هو من الغيب ولا نعرفه ٠ وعليك أن تلجأ لهذا النموذج لقوم عصاة مجرمين يعيثون فى الأرض فسادا ، يقتلون الناس ، وينهبون أموالهم وأرضهم وممتلكاتهم ويحاربونهم فى أرزاقهم ، أو يفسدون إعمار الأرض ويقطعون السبيل لإعمارها ، فيمنون بمثل هذه النهاية فتكون بمثابة عقاب لهم فى الدنيا سواء فى أنفسهم بهلاكها ، أو فيما يملكونه ويحبونه من أدوات قوة أو أسباب سعادة ، تحيق بهم الخسران المبين الذى يجبرهم على الندم العظيم ٠

وهى تتمثل فى قصة أصحاب الجنة أى الحديقة ، الذين أقسم أصحابها على صرمها أى قطع ثمارها وجمعه دون أن يقولوا إن شاء الله واتفقوا على ألا يعطوا الفقراء والمساكين حقهم منها ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ [القلم]

أو لمجموعة من المجاهدين فى سبيل الله أو الوطن أو سبيل قيمة عظيمة أو سبيل هدف نبيل ، مستعدين أن يضحوا بحياتهم فى سبيل ذلك فيلقوا هذا المصير الذى لا يستحقونه ويكونون شهداء ٠

القصة الفعلية الملهاة

(الكوميديا)

الفصل الحادى عشر

مفهوم الملهاة من القرآن

وضع القرآن الكريم بصفة العموم الأطر للضحك في سياقه الإنساني الصحيح بإرجاعه إلى واهبه ومانحه سبحانه وتعالى بوصفه نعمة ينعم بها على من يشاء لمن يضحكه من الطائعين النبلاء فى أخلاقهم وحاجاتهم ، والعظماء فى أعمالهم وأهدافهم ، والفقراء فى حالهم ومآلهم ، ولمن يضحك عليهم من المعاندين من السادة الوضعاء ، والجبابرة الجهلاء ، والطغاة الأغبياء ، والعظماء الفسدة ، والوجهاء المعاندين ، بالسخرية منهم والحط من قدرهم والخسف بكرامتهم كما سنبين ، وكذلك خلق أناسا لديهم المقدرة على توليد الضحك لينعم بها على آخرين يحتاجون إلى الضحك ويستحقونه ، والضحك هو فطرة فطر الله الناس عليها ، وخصها الإنسان دون سواه من مخلوقاته ؛ لأن الضحك هو المطهر من الحزن والعلاج الناجع للروح والدواء الشافي للأفئدة ، وجاء فى قصص القرآن أكثر خصوصية وتوضيحا عندما ندرك الهدف من القص لرسول الله صلى الله عليه وسلم , كما سبق أن ذكرنا ووضحنا بالآيات الكريمة فى بداية الكتاب وفى غيره من المواضع ، والضحك نعمة كبرى تستوجب الشكر، ولا يكون الشكر الصحيح إلا باستخدام النعم كما أراد الله وفق منهجه وتشريعه دون إفراط يخل بالوسطية التي يدعو إليها الإسلام ، أو تفريط ينفر من الضحك ويحيله إلى غير مقصده , وكأنه نقمة ومنقصة لا تليق بمن كرمه الله وفضله على جميع ما خلق ، وفيه يفقد الإنسان كرامته عندما يغشى عليه من كثير الضحك الذى يفقد الروح السيطرة على الحواس والإدراك ، وهذا ما نهى عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ووضع تقنينا للضحك بعدم المبالغة والتواصل فيه ، من أجل أن يحافظ على كرامة الإنسان ، ويحفظ له مكانته فى كل وقت وحين , حتى

أثناء اللهو واللعب والتفكه والمزاح والهزل المعقول ، يجب أن يبتغى فى الضحك الوسطية حتى يكون للنفس المقدرة على التحكم فى تصرفات الجسد وأفعاله حتى لا تخرجه من وقاره وهيبته وتحط من قدره . والضحك بعمومه ومقاصده الكلية ما هو إلا عنوان السرور والسعادة والغبطة والحبور التى تنشدها النفس الإنسانية السوية , لأنها علاجها وأدوات توهجها واحتمالها على ما تواجهه من صعوبات وصراعات وإخفاقات وأحزان وأزمات ، ولكل حظه منها لا مفر ولا مهرب ؛ فمنها ما هو فرض من الله واقع لا محالة يسبب الحزن لا ريب مثل الابتلاء الذى سبق أن وضحناه .

المعنى الأول للملهاة هو الضحك ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النجم] والمعنى أنه سبحانه وتعالى أضحك من شاء فى الدنيا بأن سره وأفرحه عند طاعته ونجاحه فى الابتلاء ، وأبكى من شاء بأن غمه وأحزنه عند معصيته وعناده وسقوطه فى الامتحان . إذن الفرح وعنوانه الضحك عكس الغم وعنوانه الحزن ، وما يجلى الحزن ويذهبه ويمحقه هو الضحك ، وبعبارة أخرى فإن الضحك هو الذى يطهر من الحزن واليأس ، وإن السرور هو الذى يعالج من الغم والنكد . السعادة والحزن يخصان الروح أو النفس المتحكمة فى المادة الحاملة لها وهو الجسد ، فعند السعادة تؤثر الروح فى قسمات الجسد حيث عنوانه الظاهر المعبر الكاشف لتأثير الروح عليه حال فرحها وحزنها ، أوله الناصية ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [العلق] وهى الجبين أعلى الرأس من عند بداية منبت الشعر إلى أعلى العينين ويشمل الجبين كله ، حيث هو المرآة العاكسة البارزة التى توضح التأثير للروح وتحدد خلجاتها وأفعالها غير المحسوسة فتجعلها محسوسة ومرئية ، حال السعادة تتوهج وتسطع وتتلألأ وتنبسط وتتسع ، وفى الحزن تظلم وتقطب وتسود وتطوى وتنكمش . ومن

العينين والشفتين والوجنتين تجعله مستبشرا مشرقا نديا متفتحا متوهجا مشبعا بحمرة من جراء جريان وتدفق الدم فى شرايينه وأوردته من جراء عمل القلب على كماله وصحته وعافيته . وهو ما يسبب الحمرة ويجعله صبوحا بشوشا طيبا عاكسا ذلك على الناظرين والرائين ، مما يوحى لهم ويكسبهم انطباعا بالسعادة التى سرعان ما يكتسبونها ، وتكون الروح والمستجيبون لها تعطى الروح للجسد الآخر بشارة وإشارة للتبسم والسعادة والإقبال والتقارب والتجاذب الحلو المليح ، مما يعطى جمالا للقاء وطراوة للحديث وفسحة للين وحسنا فى التعامل ، وكأن السعادة عطر فواح تشمل وتغطى وتكفى صاحبها ، وتتعداه لتؤثر فى الآخرين ، وهو مكمن نبلها وعظمها ، مما يكسبها ميزة وتفردا وحبا واحتراما واعتزازا ؛ لأن الروح تنشدها وتبذل فى سبيلها الكثير وإن كان بغير الدرجة القصوى من الجدية ولكنه لا ينفى نبل الهدف والمقصد . تحمل الجسد السعي والبذل والعمل على تحصيلها حيث توجد مولداتها وبواعثها وبنوكها وخلاياها الملهمة المحققة لها ، حتى تتحصل عليها ؛ لأنها العلاج لها من جراثيم التلوث وبكتيريا الحزن ودمامل اليأس وتقيحات الإحباط وبذور القنوط ؛ فالروح حين تعافيها وصلاحها وشفائها يتعافى ويصلح الوعاء الحامل لها وهو الجسد ، وهى التى تسعى إلى الكمال الذاتى تنشده وتبتغيه وهو مكمن عظم الحاجة ونبل الهدف ، وحين مرضها وإجهادها تتسبب فى مرضه وإجهاده ، وما يؤكد ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم – **ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"** [رواه البخاري ومسلم] . والقلب كما أثبتنا أن خلاصته عقله ، بمعنى أن فى القلب عقلا ، وأن فى المخ عقلا أيضا . كما أكدنا وأثبتنا فى الكتاب الأول ، وقلنا إن عقل القلب هو البوصلة المحددة والمنظمة لعقل المخ ، وأنه مفروض له السيطرة لأن له الحكم على ما ينتجه عقل المخ ، والقلب والمخ يقودان الروح والجسد أيضا ، والجسد له علاج من أدوية يشخصها أطباء

متخصصون ، والروح لها علاج آخر فعال ، أوله القص أو الحكى أو المحاكاة سواء كان روائيا أو دراميا أو صحافيا ، ودراميا أكثر فاعلية وأشد تأثيرا نظرا لأدواته الكبيرة وزيناته الجميلة التى تغذى العين والأذن وتنفذ إلى القلب وتمتع الروح ، وهى مواد الإدراك والوعي للقلب والروح ، كما نعرف أن الهدف من القصص التى قصها الله لتثبيت القلب ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود] على الإيمان وعلى الحق والطهر والعفاف والرضي والقناعة والطاعة ، وتطهره من الخبث والغل والحسد والأنانية والمعصية والقنوط واليأس ، والموعظة هى العلاج لكل ذلك عند كل عرض أو إسماع واسترجاع لتكون لها فاعلية ؛ لأنها تفقد مفعولها المعالج بعد حين فى النفوس ، لذا يلزم تجديد القص وإعادة طرح الموعظة . بينما الذكرى هى تجديد وإعمال البوصلة الموجهة للعقل المتحكم فى الروح ويلزم طرحها وإعادة عرضها بصور شتى لأنها تفقد مفعولها بعد حين أيضا ؛ نتيجة للسهو والنسيان المخلوق بهما الإنسان وهو من جملة نعم الله علينا مما يحتم علينا التذكر لما ينسى ، ومن وسائل التذكر الرائعة الجميلة المؤثرة فى النفس التى فطرها الله حب الحكى ، وجبلت على ذلك القص بأنواعه .

الوجه الثانى للملهاة هو الإلهاء عن الحزن بالفرح وهو أعظمها بما له من عمل جدى ، الحزن هو مرض الروح ووباؤها ومبعث تلوثها وأدرانها واضطرابها وخللها وخروجها عن طورها الطبيعي إلى غيره ، مما لا يمكنها القيام بواجباتها ومسئولياتها خير قيام ، وأقله إصابتها بالإحباط واليأس وكره الحياة وما فيها ، وإن لم يكن لها علاج ستصل بنفسها وبالجسد الحامل لها نحو الهلاك التام ، أو ينعكس مرضها سلبا على الجسد ويؤثر فيه بدرجة كبيرة تصيبه هو الآخر بالمرض والضعف عن القيام

بواجباته الحتمية المطلوبة منه ، مما يتطلب التطهر من هذه الأوبئة وتلك الشوائب والاضطرابات ، والعلاج هو إصلاح للخلل حتى إعادته إلى طبيعته ، ويكون العلاج هو الفرح والسعادة ٠ وما يؤكد ذلك من فعل حقيقي حدث لرسول الله محمد- صلى الله عليه وسلم – عندما ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام فسخروا منه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم وصبيانهم ليضربوه ويهينوه حتى أدموا قدميه الشريفتين ، فعاد منكسرا حزينا وقال دعاءه الشهير : (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس برحمتك يارب العالمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي من ذنوبي أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بي سخطك أو ينزل علي عذابك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله) فأراد الله أن يخفف عنه وييسره وييسر عليه ويفرحه ويغبطه ويطمئنه ، لم يرسل له جبريل يقص عليه من القرآن مشهدا من مشاهد إخوته من الأنبياء السابقين لتثبت قلبه وتطمئنه وتسرى عنه ، بل إن الله أسرى به إليه ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء] فكانت نعم التسرية وعظيم الفرح وبهاء السعادة التي لا تدانيها أخرى ، ولا يستطيع الحصول عليها إلا رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – ولكن فعلنا نحن وأنت أيها المؤلف لا نملك تلك الأدوات ، ولكنك مستخلف من الله في حدود قصتك بما منحك من موهبة خصك بها دون سواك ، فاستعن بالله حينما تريد إخراج بطلك من حزن شديد دبر له فعل مستحيل وقوعه إن تحقق يسعده ، وانسب الفعل إلى الله ، وأعد مشاهديك وهيئ لهم أن ما سيحدث من فعل مستحيل سيتحقق من إرادة الله ومشيئته ، حينها لن يعترض أحد

وسيكون مقنعا أيما إقناع ، ولا يحق لناقد أن يعترض على ذلك ؛ لأن الله تعالى هو الذى يطلب ذلك ويحققه حال اللجوء إليه فى الحقيقة ، كما علمنا وأخبرنا بذاته العلية فى قصة سيدنا موسى عندما كان موسى وبنو إسرائيل محصورين ما بين البحر من ناحية وفرعون وجنوده من ناحية أخرى وقالوا ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء] إنا هالكون لا محالة ومن ثم الحزن والرعب والخوف يسيطر عليهم ، ولكن الله يقول لموسى اضرب بعصاك البحر فينفلق البحر عن طريق يابس ويمرون منه آمنين ، وتحدث المفارقة المضحكة إنه نفس الطريق ولكن يغرق فيه فرعون وجنوده ، مفرح سار لقوم ، محزن مولد للضحك من آخرين بسبب السخرية منهم والتحقير من جراء الغباء المستحكم.

المعنى الثالث للملهاة اللهو: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة] والمعنى إذا رأى بعض المسلمين تجارة أو شيئًا من لهو الدنيا وزينتها ذهبوا إليها وتركوك أيها النبي واقفا على المنبر تخطب ، قل لهم يا محمد ما عند الله من الثواب والنعيم أنفع لكم من الطبل والزمر والرقص المصاحب لأعمال التجارة ، أو أثناء التجارة كما نلحظ ذلك فى أسواق الجملة حال المزادات فى زمننا هذا ، والله وحده خير مَن يرزق ويعطى ، فاطلبوا منه – تعالى – واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة. وهنا لم يحرم الله التجارة ولا اللهو ولكنهما بمنزلة أقل عند وجوب مواعيد الفرائض ،

وتظل الطاعة لله ورسوله التى تتوجب أداء العبادات المفروضة فـــى مواقيتهـــا مثـــل الصلاة وخطبة الجمعة هي الأجل والأعلى ، وتأخير التجارة والتوقف عن اللهو أوقات تلك العبادات المحددة بوقت معلوم هذا أفضل وأنفـــع ، واللهـــو معنـــاه الأول اللعـــب والمرح والترويح والترفيه عن النفس مما يحملها على السعادة والفرح ، شـــرط اللهـــو المباح لأن هنالك لهوا محرما من الشرع. ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يوسف] ويرتع كما ذكر الطبرى " يتلهى أو ينشط أو يلهو أو يسعى" ويلعب والرتع هو المعنى الثانى للهو أو السعي أو النشاط وعنوانهم اللعب غير المقنن المفـــرد أى يخص شخصا بلا شروط ولا أسس ولا قوانين ولا ضوابط ، ففيه من السعة الكثير ومن الحرية الأكثر حسب ما تقتضيه متطلبات الروح وقت الرتع الذى يسمح به وقـــت الراتع حسب المزاج الشخصى له ، دون فرائض ولا قوانين ولا سلوك معين ينظمـــه ويهذبه إلا بما تلزم به الروح نفسها ويستطيع الجسد تنفيـــذه مـــن جهـــد متطلـــب ، وينصرف معنى اللعب غير المقنن إلى العمل غير الجدى ، كما ينبغى أن يكون ، بمـــا عليه حال المستوى العام لما عليه الكثير من الناس النبيل منهم والوضيع ، الغنى مـــنهم والفقير، بقصد التفريج عن النفس وإمتاعها ، وهو يخص صغار السن أكثر من كباره ، ولا تزال كلمة الرتع – ارتع – تستعمل فى الواحات بصورة كبيرة إلـــى وقتنـــا هـــذا وينصرف مقصدها كما سبق توضيحه ، أما ﴿ وَيَلْعَبْ ﴾ اللعب هنا هو اللعب المقـــنن سواء لمفرد أو لجمع من الشخوص يستلزم الضبط والربط وشيئا من الجديـــة ، وهـــو يوثق لعمل يتدرب فيه الجسد بقصد صحته وتنشيطه وتمرينه ، وتهذيب الـــروح علـــى الليونة وتدريبها على الطاعة ؛ لأن اللعب الجمعي صار مقننا ومتعددا له صور شتى ، ووضعوا له من القواعد والشروط والأسس ما يضمن تحقيق الغاية القصوى منه وهـــو

إمتاع الجماهير العريضة ، وهو ملحوظ ومعروف بشكل كبير فـي زمننـا هـذا ولا اختلاف على عظم ونبل هدفه ، وهو لعب فيه الاحتراف الذى يحتم الجدية فـي أدائـه والقيام به ، وفيه ما هو غير ذلك يكون أدنى وأقل منزلة ولكن المقصد منه مثل سـابقه واللعب على إطلاقه وعمومه يحتمل الخسارة والمكسب بين اللاعبين ، كمـا يحتمـل الحلال والحرام ، وهو ما يعود على الروح إما بالـسعادة والفـرح حـال المكـسب ، والحزن والغضب حال الخسارة ، كحال العمل بالتجارة التى تحتم بائعـا ومـشتريا ، والذى يحتمل أيضا الخسارة والمكسب والحلال والحرام وهو بصورة أوضح لا خلاف عليها ولا لبس فيها ؛ ويا سبحان الله العلى القدير حيث ربط اللهو بالتجارة أو قرنهمـا ببعضهما البعض ، وكأنهما وجهان لعملة واحدة الأصل فيهمـا الخـسارة والمكـسب وكلاهما حلال ، ولكن تبقى للتجارة المنزلة الأعلى والأجل من اللعب بتقديمها عليـه ، والتجارة عمل جدي لا هزل فيه ولكنه يحتاج إلى الليونة والمناورة والمداعبة والتيسير والتفكه وطول البال والتعود على الصبر الذى يمد الروح بالنفس الطويل ، وينـصرف نفس التحليل على الرتع واللعب لأنه مقرون به ، بمعنى أن الرتع واللعب هـو عمـل جدي أيضا ولكن ليس بالجدية التامة الكاملة ؛ لأن منا ما ينتقصه ولا يعهده ولا يحبه ، لذا لم يمنح الشرعية الكاملة التامة على جديته من الجميع من النـاس ، بـدعوى أنـه ترفيهي كمالي لا أساسى عند البعض منا ، من الممكن أن يفعله شخص دون الآخـر ، وليس على تركه حساب أو على إتيانه عقاب غير بعض الانتقاص من قـدر شـخص الفاعل ، بدعوى عدم الجدوى الكبيرة المثمرة النافعة له وللآخرين ، وتظـل المنفعـة والجدوى لشخص الفاعل وتتعداه إلى غيره فى القليل الناشئ من المـشاهدة والفرجـة كحالنا فى زمننا هذا ، كما يحتمل من هزل حتمى تجنبا للحدة التى تفقد اللعب ميزتـه وخاصيته وبواعثه ، ولكن الهزل للرتع أقرب له من اللعب ، يقـول الـشيخ يوسـف القرضاوى : (كما نجد في نصوص السنة : إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للحبشة

أن يرقصوا بحرابهم في مسجده ، وأذن لعائشة أن تنظر إليهم وهي متعلقة به ، كما سمح للجاريتين أن تغنيا وتضربا بالدف في بيت عائشة ، وكان موجودا ، وذلك في يوم عيد معللا ذلك بقوله " : لتعلم يهود أن في ديننا فسحة , إني أرسلت بحنيفية سمحة) [مسند أحمد ، رقم ٢٣٧١٠] والفسحة تعنى وقتا من اليوم أو خلافه تتصرف إلى ما يحتاجه الجسد من تمرين وتغيير لخلاياه المريضة أو المعطوبة ، وللنفس من تفريح وتيسير من بعد تعب وإجهاد ، مما يؤكد أن الرتع والمرح واللعب علاج للنفس وتقوية للجسد.

الوجه الرابع للملهاة شخص إلاهي.

قلنا فيما سبق إن الابتلاء سنة مؤكدة على جميع البشر ، وحال الابتلاء للإنسان صاحب النفس اللوامة البسيط ذى المكانة المتدنية من جاه وسلطان ، والمنزلة المتواضعة من مال ورفعة، تجد اختباره من الله بسيطا وميسرا على قدر حالهم البسيط ليكون لهم المقدرة على احتماله والنجاح فيه ، ولم لا والله هو الرحيم بعباده يختبرهم كيف يريد وبما يريد وقتما يريد ، وما يؤكد ذلك ما جاء فى الحديث الشريف : عن سعد بن أبي وقاص قال: (**قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض وليس عليه خطيئة**) [ابن ماجة ، باب الفتن ، الصبر على البلاء] والإنسان البسيط تجده فى تصرفاته وأفعاله غير متكلف ولا مزايد وأكثر إيمانا بقضاء الله وقدره وأكثر تحملا لنتائج بلوى تصيبه ، من جراء تعوده على ذلك ، ومن جراء حاله الصعب وجهاده العظيم من أجل تحقيق أدنى متطلبات الحياة ، فتجده حين البلية يصبر ويحتسب وسرعان ما يلجأ إلى الله الذى يلجأ إليه فى كل وقت وحين بعفوية وتقوى وتعود ، مما تساعده هذه الأدوات البسيطة ولكنها قمة ما نستعد به على

النجاح فى الابتلاء الذى يرضى به البسيط وحمد الله عليه ، شاكرا لله عما لحق به وما هو فيه سائلا الله أن يمده بالصبر والتيسير فى آثار البلوى التى لا يتوقف عندها كثيرا ، إذ سرعان ما يهب يبحث عن أسباب سعادة أخرى أو أدوات نجاح ، فتجد الأمل بداخله كبيرا متجددا متواصلا ، ولا يقنط من رحمة الله التى يتمسك بها ، آملا أن تمده بأفضل وأحسن من أسباب وأدوات من التى سلبت منه بقوة الابتلاء ؛ لأن متطلبات حياته لا تحتمل الانتظار فليس لديه رصيد من أى نوع ، يعينه على التلكؤ والاستسلام للحزن غير الصبر وقود الدفع لمعاودة المجابهة مع معترك استعادة ما سلب منه محافظا على طاعة الله الذى لا يبخل عليه لأنه عند حسن ظنه . وفى الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال النبي – صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) ، وفى حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الأَعْمَشِ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَلَمْ يَذْكُرْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا . [رواه البخاري وفى صحيح مسلم ، رقم ٤٨٣٢] هذه العفوية من حسن الظن بالله عند البسيط هى أسباب نجاحه الأول فى الابتلاء ، ويمن الله عليه بأسباب سعادة جديدة أو أدوات نجاح أخرى ، أو ربما تكون هى بأكثر مما يتوقع وأسرع مما يتخيل ، تسبب السعادة والحبور والغبطة والفرح ، وتولد الضحك له و للآخرين العارفين به من جراء

ما حدث له من مفارقة متقاربة كانت لتوها محزنة له وسرعان ما تحولت إلى مفرحة بطرق تستعصى على التصديق بمتطلبات التفكير العقلي الصرف ، ومدعاة ذلك ووجه الإقناع فيه حسن الظن بالله الذى أبداه ومعتاد عليه ، وأن التيسير والتفريج يحدث من الله القادر على كل شيء وعند حسن ظن عبده به. وأكثر من ذلك يزيد الله به من هبة ورحمة يصيب بها الله من يشاء من عنده تكون مفاجأة غير متوقعة , مما تحدث فرحا كبيرا وسعادة بلا حدود تولد الضحك الكبير من جراء وقع المفاجأة السارة ، والدليل على ذلك من قصة سيدنا إبراهيم ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود] حيث كانت زوجته السيدة سارة عقيما وكبيرة فى السن ، وتأتي زوجها الملائكة لتبشرها بالولد فضحكت من شدة المفارقة وجمال المفاجأة ، حتى إنها نفسها لم تصدق وتساءلت عن كيفية حدوث ذلك فأجابتها الملائكة ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود]

مما سبق نستلهم تعريفا مبدئيا للملهاة

إن الملهاة عمل ليس بالجدي التام الكامل ولا بالهزل الوضيع المنتقص ، ولكنها بمنزلة منهما ، بمعنى تقريبى أنها عمل عادى ممكن غير مستحيل وهو المعنى الأقرب والأوضح والأجل لما أريد شرحه وتعريفه التعريف الجامع المانع السديد ، والعادي بما تعارف عليه الجميع واستقر فى العرف ، هو ما يقدر على فعله الكل وهو الممكن غير المستحيل ، ويشمل الجد والصعوبة والهزل واليسر , وهو ما عليه الغالبية العظمى من الناس ، السادة والأجراء ، الأغنياء والفقراء ، المتعلمون والجهلة ، العظماء

والوضعاء ، النبلاء والأراذل ، ولكني لا أريد أن أعبر بالهزل بالكلية ؛ لأن الهزل هو أبعد ما يكون عن روح الملهاة العظيمة النبيلة التى نبتغيها ، لأن الهزل ليس فيه من الجدية شيء ولا فيه احترام ولا توقير ولا تقدير ، بما استقر في العرف أيضا ، والمناظرون للملهاة يعبرون به وهو وصف خاطئ جدا بدليل أنهم ينفقون وقتا ويحاولون جاهدين أن يحسنوا وصف الملهاة بأنها عمل هزلى • وتظل هنالك نسبة من الناس قليلة لا تعرف العبوس ولا الهزل ، فعلهم غير عادى وهم لا يعتد بهم عند الجميع ولا ينتقص من قدرهم أحد ، مع أن الناس تعتبرهم متكبرين ومتعالين • وما سبق يجعل الملهاة في منزلة عالية ولكنها ليست سامقة لتخلق الفرح والسعادة والغبطة والسرور، وتطهر من الحزن والغم والنكد والسقم والكآبة واليأس المقيت ، وبذلك يكون لها هدف عظيم • وفعلها العادي لا يعيبها بما تعارف واتفق عليه الغالبية العظمى من الناس الذين يأتونها ويفعلونها ، وما دامت كذلك فإن الفاعل المحقق لها لا يبذل تمام البذل ويجاهد تمام المجاهدة لأنه يفعل ما هو عادى ليس به مسحة من المستحيل الذى يتحقق بما هو فوق العادي ليكون ممكنا ، وهو مبعث الإجلال وعظيم الاحترام والتوقير والتميز كبطل المأسملهاة وبطل المأساة العظيمة والإلهية • ولكن لا ينكر عن الفاعل ذى الفعل العادي الممكن غير المستحيل بذله المحترم من أجل الحصول على حاجته وتحقيق هدفه اللذين يخصانه بمفرده لا يتعديانه إلى سواه ، وإن توقف أو تراجع أو امتنع ليس عليه غبار ولا لوم ولا عتاب ولا اتهام بالفشل ، بدعوى أن حياته ستسير على طبيعتها التي يحققها عمله الآخر الجدى الحتمى الذى يتطلب جهدا كبيرا وعناء عظيما وعملا مخلصا دءوبا ليسير حياته ويحصل على متطلباته الضرورية وأهدافه النبيلة السامية التى ينشدها ، كما ينشدها الجميع من الناس الأسوياء النبلاء الفضلاء ، مما تضفى على عمله الجدى الجلال والاحترام والإكبار ، ولجهده الكبير التوقير والاحترام ، والمحاسبة والاقتداء وكمثل أعلى يتعلم منه ،

مما يكون له عظيم الأثر بتوسيعه نطاق الإفادة تتعداه إلى غيره ، فإذا ما ذهب يلهو يجدد نشاطه , ويستعيد حيويته ويخرج من معاناته بفسحة من الوقت يلهو فيها ويلعب تكون لها نفس الإكبار والاحترام والإجلال , بدعوى أنها تؤدى منفعة كبرى بما لها من أثر عظيم تدعم وتساعد الجدى على جديته ، مما يعنى أن فعل الشخص السوي الذى له حاجة عظيمة وهدف نبيل أن يسلك الفعلين الجدى والأقل منه جدية للتوازن وتتحقق متطلبات نفسه مع متطلبات جسده ويشفى ويقوى الاثنين على السواء ، مما يعنى أن الرتع واللعب أيا كان الأداء العملى لهما لا ينفيان أبدا عظم ونبل الهدف ولو ظل مقصورا على فعل الفاعل نفسه دون سواه لأن فى ذلك سلواه وعلاجا وتهذيبا لنفسه وتطهيرا وإصلاحا لبدنه ، وإسعادا وتسرية لروحه ، فما بالنا إن تعداه إلى الغير لاكتمل بذلك عظم القصد والحاجة ، ونبل التحقق والهدف ، بهذا التعريف المبدئى الذى يخص الملهاة ,ولكننا نبتغى أن نصوغ تعريفا للقصة الملهاة حتى تفي بغرضها من الإشباع الفطري والغريزي للإنسان الذى فطره الله على حب المحاكاة أو الحكى ، وهدفها المطلوب من إمتاع وتعلم وعظة ونصيحة كما علمنا الله ، ومن لديه المقدرة على الإبداع لابد أن يتعلم كما علمنا الله ونحاكى بخلقنا المصنوع خلق الله الحقيقى ، وهى لا تتحقق من فعل غير تام ولا غير كامل ، بمعنى أن الملهاة حتى تحقق الغرض منها لابد أن يكون لفعلها طول معقول ليس بالقصير الذى يختزل فيبدو وكأنه نكتة ، والنكتة أو الطرفة تخرج تماما من طور أى نوع من القص الذى نحدد له علما تاما وهو مقصدنا ومرادنا ، ولذلك سنذهب سويا إلى القصة التى وصفها الله أنها من أحسن القصص وأقصد قصة يوسف فى سورة يوسف والتى استخرجت منها ما يزيد عن العشرين نوعا للقصة ولنتفحص معا هذه المشاهد منها ونتناول شخصية من يلي يوسف فى المكانة ، وهو ملك مصر الريان بن الوليد أعلى سلطة دنيوية وحكايته مع حلم أزعجه ، إنه لشيء مضحك فعلا ، ومنه نتوصل إلى تعريف القصة الملهاة.

الفصل الثانى عشر

أصل القصة الملهاة

(قصة الريان بن الوليد ملك مصر من سورة يوسف)

البداية ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾ مشهد مثير مشوق مضحك مقلق ، لفعل ليس بالجدية التامة ، ولا بالعظيم الرفيع الأمثل ولا هو الوضيع المستقبح الأسو أ ، و مشوق و مثير و ممتع وبديع و جذاب ، به قصور فى الفكرة ، وافتعال فى الأداء وخلل فى الفكر ، فعل عادى غير مستقبح ، حلم لملك مصر الكبيرة العظيمة يقلقه ويحيره ويخيفه ، لكنه ليس مؤذيا لأعيننا، و لا صادما لمشاعرنا ، و لا جارحا لكبريائنا ، و لا ممتهنا لكرامتنا ولا منتقصا من ذكائنا ، ولا ساخرا من فطنتنا ؛ لأنه حلم لجلالة الملك ، فيضحكنا ويمتعنا ويسلينا ويسرنا ، ويشعرنا بالغبطة والسعادة من جراء عدم أخذنا له مأخذ الجد ؛ لأن الملك يقلقه حلم وهذا شيء ليس بالجدي التام ليقلقه ويقلقنا معه! دون هزء ولا فجاجة ولا تزيد ؛ لأنه من شخصية جادة عظيمة ، لا يتمتع بالذكاء الحاد ولا هو بالغباء التام ، بمكانة سامقة عالية رفيعة لا هو بالوضيع التافه ، بخلق رفيع سام لا بالخلق المتدنى المتردي فى البشاعة ، بتفكير وفكر أقل من المستوى العام لما نحن عليه معظم الناس ، له حاجة صغيرة يريد الحصول عليها مع أنها فى الأصل كبيرة وعظيمة وهو لا يدرى ولا يعي ذلك – إنها حال مملكة ورعية وأمة وهو الراعي – يريد الحصول على الكبيرة ، وهو ليس أهلا للصغيرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ

لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ والحاجة الصغيرة لشخص عظيم تخلق مفارقات عدة ، والكبيرة لشخص متواضع تخلق نفس المفارقات ، والتضاد ما بين ما يستطيع فعله وما لديه من أدوات يتهكم بها ، وما بين نقص تفكيره الذي لا يسعفه ؛ لتخلق السخرية والتهكم والعجرفة المولدة للضحك، وهدف بريء يريد – عظمته وجلالته – تحقيقه ، أن يعرف حقيقة ومغزى هذا الحلم ليطمئن على سلامة نفسه وأهله ، فى مكان ما وزمان ما – مصر – بفكرة بسيطة متواضعة ، لينبهنا ويحذرنا من قضية ما كبيرة جليلة – وهو لا يعرف ذلك – بها شيء من الوجاهة والعظمة، ليؤدى غرضا نبيلا – من غير قصد بفكرة جميلة يستوحيها من فساد النـاس والمجتمـع ، دون أن يـدرى يعريها ويكشفها ، وهو المسئول الأول عنها فيعرى نفسه ويكشفها ، وتحلل له دون خجل وتقدم لها الحلول من دونه ، لكنه السلطة الذي بيده القرار . . .

الابتلاء ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ فى نفسه من وهن تفكيره وقصور علمه وضحالة ثقافته ، ومن أقرب المقربين له من أهله وحاشيته والمتسيدين معه ، فلا يعينونه ولا يجيبون طلبه ، بإسعاف تفكيره وإكمال علمه ، وتغذية ثقافته ، رغم أن لهم حاجاتهم وأهدافهم التى تتفق مع حاجته وهدفه – يا لها من سخرية – إن خاصة الملك يعجزون عن تحقيق حاجة الملك ولى نعمهم ، مع أنه لو ذهب نعيمه ، سيذهب عنهم النعيم الذي ينعمون به فى قصر الملك ، ومع ذلك لغبائهم يجيبونه من أنه ليس هناك من يعرف تفسير ذلك الحلم له ، فينشأ الصراع والمفاجأة، ويجابهونه وهم أضعف منه ليوقعوا به – دون أن يعووا أو يقصدوا – وتتولد المفارقة الباعثة على الضحك – يعطلونه عن حاجته وهدفه ويضعون فى طريقه العراقيل والموانع التى تخلق عقبات وتحدث المفارقات ؛ ويسخر منه القدر ؛ لأن واحدا منهم يعرف

واحدا يستطيع أن يلبى للملك حاجته ويحقق له هدفه ، ويخرج الجميع من المأزق العويص الصعب ، فيلتبس عليه الموقف ويأتى ...

الزلة منه ، أو من واحد من المقربين له ، وهنا تأتى من أحد المقربين له وهو ساقيه الذي يعرف أن هنالك شخصية عظيمة ونبيلة – محبوسا بظلم فى سجون جلالة وعظمة مولاه الملك المعظم – يعرف تفسير الرؤيا ولكنه لم يتذكره ، وبالتالي لم يخبر سيده الملك﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ مما تصعب عليه حاجته ، وتجعل عظمته يعانى من القلق ، ويرفل فى آلام التوتر ، وتحرق أعصابه من الحيرة ، ويرتعد قلبه من الخوف ، وعظمته فى حقيقة الأمر يستحقهم ؛ مع أنه لم يترد فى الخطيئة ، لأنه يدير حال رعيته بالحلم ، فنشفق عليه ونتعاطف معه ،ويقع فى عقدة مستحكمة...

العقدة يعجز الجميع عن حلها وخادمه لا يتذكر من يعرف تفسيرها ، ومن يعرف تفسيرها هو الآخر يمر بنفس العقدة ، وكأن الملك والسجين مربوطان بعقدة واحدة ، مع أنهما لا يعرفان بعضهما البعض ، فهذا ملك حاكم يعيش فى قصر ، والآخر يعيش فى قبو ومع ذلك فهما متساويان فى الابتلاء والزلة والعقدة ، وأداة التعرف والحل والتلاقي بينهما شخص خادم لهما وهو الساقي ، ومن بيده التعرف للاثنين أنساه الشيطان فيكون سببا فى معاناة الاثنين بتأخيره التعرف بينهما , مع أنه ملتزم أخلاقيا مع السجين أن يخبر الملك عن قضيته من أنه حبس ظلما ، ومرتبط أخلاقيا مع الملك لأنه من حاشيته ويمتلك ما يخرج الملك من أزمته . أعلى سلطة دنيوية وأعلى سلطة دينية كلاهما مرتبط بمن لا سلطة له ولا مكانة ولا عز ولا جاه ولا سلطان مجرد خادم – أنظر عظم الله وعدله ومساواته بين خلقه ؟!! تأمل وتأكد أن كل شيء بيده ومشيئته ولن يأتي الحل إلا بانفراجة منه تعالى للجميع - ويعيش الملك فى قلق وحيرة ، ومادام الملك كذلك فإن الرعية

والتابعين يكونون أشد قلقا لأن ملكهم قلق – الناس على دين ملوكهم - يعجز الجميع عن تفسيرها و حلها ، إلى أن يمن الله عليه وتحدث . . .

الانفراجة ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ فيقع حادث قريب منه جدا يكون سببا فى أول بارقة أمل تجول أمامه ، فيستغله بجاهه وسلطانه ويفرض العون والمساعدة بتكبر وغطرسة ، ظنا منه أنه من رعيته ولا بد له أنه مجيبه ولن يتأخر عن عظمته – وتحدث المفارقة – من أن الحل ليس بيد تابعه المقرب له ، بل بيد شخص آخر ، يتملكه أكثر من المقرب له يتذكر ساقيه اسم الشخصية العظيمة النبيلة ، الذي يعرف أنه سيفسر له مغزى هذا الحلم وهو يوسف عليه السلام ، وللمفارقة العجيبة الجميلة التى تسعد الملك وتحل له عقدته ، من أن هذا الشخص محبوس فى أحد سجونه أى تحت إمرته وتصرفه ، ويحتاج إليه ، وهو من الحتمى لن يمانع على الإطلاق أن يلبى طلبه بل يأتيه يجرى ، فيرسل عظمته صاغرا مجبرا مبتلعا كبرياءه عامله – الساقى – لا ليأتيه بمن يعرف ، على أن يأتيه بالحل ، يأتيه فقط بما يحتاجه تفسير حلمه ، فيهرول عامله إلى ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ صديقه ويقول له باستعطاف واحترام وإعزاز وإجلال : يوسف أيها الصادق الصدوق المخلص فسر لنا حلم ملك البلاد الذي أقلق العباد وأجهد الناس ، فسره لأرجع إلى الناس وأريحهم وأخلصهم من العناء والألم والمعاناة التى لا يستحقونها ، لأن ما حدث ليس منهم ولا من ذنبهم ، ولا بسببهم ، فلا يبخل عليهم ويقول ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ

بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ وبها تنفرج عقدة الملك وينصلح حاله ويحصل حاجته ويهدأ باله ، بأن يعود يتلمس طريقه نحو هدفه الذي لم يحققه بعد وقد عرفه ، و أنه لا يستطيع تحقيقه بمفرده ولا من بطانته التى لم تسعفه ، فيضطر اضطرارا ويقبل أن يتعرف على الشخص المسجون العالم العليم الذي استطاع بعلمه أن يلبى طلبه دون أن يطلب أجرا ، ولم يطمع فى عفو ، أو ثواب ، وهو المسجون الذي فى أوج الحاجة من أى معاون ، فما بالك بالملك ، فيطلبه الملك للتعرف عليه , وهو يوقن تمام اليقين أنه لن يتأخر عنه أو فى طلبه...

التعرف ، حيث يدرك الملك من فطنته المتواضعة أن الشخص الذي قيضت له الأقدار وفسر له الحلم الواقع لا محالة بأن هدفه إشاعة الأمن وتأمين قومه من الجوع والمجاعة تتطلب أن يستعين بهذا الشخص العظيم ، ويرسل فى طلبه وخاصة أنه واحد من المسجونين فى سجونه التى بالطبع تحت إمرته وتصرفه ، فيرسل وهو واثق من أنه لابد أنه سيستجيب طلبه ، فهو من المؤكد أمله الذي لم يتخيله ؛ لأنه سجين ، وبشيء من التكبر والثقة والعجرفة والغرور والخيلاء ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

ويقول أمرا واثقا إلى حرسه وحاشيته : ائتوني به ، وأمر الملك نافذ طبعا ، وتحدث المفارقة الكبرى المولدة للضحك حقا إذ يرفض السجين – العظيم العبد طلب العظيم الحر – الخروج لملاقاة الملك ، وهو السجين الذي يشتاق إلى الحرية ومن يساعده فى الخروج منه ، وإثبات براءته ؛ لأنه دخله ظلما ، ومع ذلك يشترط على الملك ، فى

أكبر سخرية لعظيم من الممكن أن تحدث ، فيبلع الملك عجرفته وغروره وخيلاؤه ، وبمفارقة أخرى يقبل صاغرا أمام حرسه وحاشيته شرط مسجونه الذي تحت إمرته وهو يغلي غيظا ، في مفارقة عجيبة مولدة للسخرية والضحك حقا ، لأنه يشعر أن السجين أفضل وأحسن وأذكى وأنفع للناس منه ومن حرسه وحاشيته وبطانته ، لذلك يستجيب لشرطه ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ﴾ ويعرف الحقيقة ويطلب منه طلبا آخر كأنه يستعيد كرامته التي أهدرت من مسجونه الذي يستبين ويكتشف ويعرف حقيقته ، التي لم يكن يعرفه و لا يعرف حقيقته من قبل خيره أنه مظلوم وهو النبيل الحسن المتقي الوفي المخلص المطيع الذي لم يقبل خيانة من أحسن إليه وآمنه على شرفه وعرضه وبيته ، وكل ذلك يحدث التحول بل الانقلاب حيث الملك يعجب به ويحبه رغم اشتراطه عليه وهو من هو الملك ، وملك من ؟ ملك مصر الكبيرة ، في تضاد عجيب مذهل ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) ﴾ ويصل إلى ...

النهاية التي تحل له مشكلته وتوصله إلى هدفه ، عندما يقبل السجين – الشخصية العظيمة يوسف – وهو واحد من رعيته ، وبما أن القضية والمشكلة للجميع واحدة ، يطلب منه يوسف أن يعاونه على دحر هذا البلاء الذي سيعم العباد والبلاد ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ فيقبل الملك معاونته ليقينه من قصور فكره وحرصه على تحقيق هدفه ، ويجلسه على كرسي الوزارة التي ستتحكم في كل شيء ،

فى مفارقة عجيبة مولدة للسخرية ، فينتصر ويتغلب على كل الصعاب ، ويجد صاحب العقل الذي به يكمل له تقصير فكره ، و يحصل على حاجته ويحقق هدفـــه وينتـــصر للحق والعدل فتتحقق له السعادة والهناء والرفاهية والانتصار ،

وجها الضحك فى هذه القصة :

الوجــه الأول : من العظماء الأغبياء (ملك مصر) وباعثة الجهل والاستكبار نتيجـــة لعدم إعمال العقل على الوجه المتطلب منه والمميز به ، وهم مـــادة للـــسخرية وأرض خصبة تولد الضحك ، من جراء تسيدهم بعنجهية على الضعفاء مما يولـــد المفارقـــات العجيبة ، والسخرية اللطيفة ،

الوجــه الثـــانى : من الأخيار الفضلاء الضعفاء (يوســـف) الـــذين يفعلـــون العقـــل ويتمتعون بالفهم وبالتالي المقدرة على النجاح والفلاح ، ومولدات الضحك لـــديهم مـــن جراء المفارقة والتضاد والتعاكس ، والتغلب على الأراذل الجهلة العظماء ،

تعريف وأسس القصة الملهاة

البداية – الابتلاء – الزلة – العقدة – الانفراجة – التعرف – النهاية ،

البدايــة فعل جاد ليس بالعظيم الرفيع الأمثل ولا هو الوضيع المستقبح ، مباشر ومستبطن ، ومؤثر مشوق مثير ممتع بديع و جذاب ، به قصور الفكر ، وبساطة فى الفكرة ، وافتعال فى الأداء وخلل فى الحركة ، لحدث مفزع مضحك ، لكنه ليس مؤذيا لأعيننا ، ولا صادما لمشاعرنا ، ولا جارحا لكبريائنا ، ولا ممتهنا لكرامتنا ، ولا منتقصا من ذكائنا ، ولا ساخرا من فطنتنا وفطرتنا ؛ ليمتعنا ويسلينا ويسرنا ويضحكنا، ويشعرنا

بالغبطة والسعادة ، دون هزء ولا فجاجة ولا تزيد ٠ ويكون فعلا تاما وكاملا، يقوم به شخص عظيم ، لا يتمتع بالذكاء الحاد ولا هو بالغباء التام ، بمكانة سامقة عالية رفيعة لا هو بالوضيع التافه ، بخلق رفيع سام ، لا بالخلق المتدني المتردي فى البشاعة ، بفكر أقل من المستوى العام لما نحن عليه معظم الناس ٠ له حاجة صغيرة يريد الحصول عليها مع أنها فى الأصل كبيرة وعظيمة وهو لا يدرى ولا يعي ذلك ، يريد الحصول عليها – على الكبيرة - وهو ليس أهلا – للصغيرة ، والعكس صحيح سواء للشخص أو للحاجة ، والحاجة الصغيرة لشخص عظيم تخلق مفارقات عدة ، والكبيرة لشخص متواضع تخلق نفس المفارقات ، والتضاد ما بين ما يستطيع فعله وما لديه من أدوات يتهكم بها ، وما بين نقص تفكيره الذي لا يسعفه ؛ لتخلق سخرية بلغة فصيحة نثرية بسيطة جميلة سلسة , تعتمد على التورية والتطابق والسخرية والتهكم والعجرفة والتجميل والجناس التام ، مولدة للضحك، وهدف بريء يريد تحقيقه ، بفكرة بسيطة متواضعة لينبهنا ويحذرنا من قضية ما كبيرة جليلة بها من الوجاهة والعظمة ما بها ، ليؤدى غرضا نبيلا – من غير قصد - بفكرة جميلة يستوحيها من فساد المجتمع ، دون أن يدرى يعريها ويكشفها ، وهو المسئول الأول عنها فيعرى نفسه ويكشفها ، وتحلل له دون خجل وتقدم لها الحلول من دونه ، لكنه السلطة الذي بيده القرار فيبتلى فى نفسه من وهن تفكيره وقصور علمه وضحالة ثقافته ، ومن أقرب المقربين له من أهله وحاشيته والمتسيد ين معه ، فلا يعينونه ولا يجيبون طلبه ، بإسعاف تفكيره وإكمال علمه وتغذية ثقافته ، رغم أن لهم حاجاتهم وأهدافهم التى تتوافق مع حاجته وهدفه ، ومع ذلك لغبائهم يضللونه ، ويجابهونه وهم أضعف منه ليوقعوا به – دون أن يعووا أو يقصدوا - وتتولد المفارقة الباعثة على الضحك - يعطلونه عن حاجته وهدفه , ويضعون فى طريقه العراقيل والموانع التى تخلق عقبات وتحدث المفارقات ؛ ويسخر منه القدر ؛ فيلتبس عليه الموقف ويأتى الزلة منه ؛ ٠٠٠

الزلة أو من واحد من المقربين له ، مما تصعب عليه حاجته ، وتجعله يعانى من القلق ،

ويرفل فى آلام التوتر ، وتحرق أعصابه من الحيرة ، ويرتعد قلبه من الخوف ، وهو فى حقيقة الأمر يستحقها ؛ مع أنه لم يتردد فى الخطيئة ، لأنه يدبر حاله بالهزل لا الجد ، فنشفق عليه ونتعاطف معه ،ويقع فى عقدة٠٠٠

العقدة عقدة مستحكمة كبرى ، وليس أمامه أى اختيار غير الصبر والتضرع واللجوء

إلى الله حتى يفتح له طريقا أو يسبب له سببا , ليعاود المجابهة للحصول على حاجته وهدفه الذي توقف تماما ، فما بالك وهو العظيم الذي يمتلك كل شيء ٠٠ الناس والمال والجاه والسلطان ، رغم أن واحدا من عامليه يعرف الشخص الذي يستطيع مساعدة سيده وهو يعرفه تمام المعرفة ، فقد حدث له نفس مشكلة سيده وقد حلها له بسهولة ويسر ، ولغبائه أو نسيانه لا يتذكره ٠ فهل له ولعامله من مخرج وهو على هذه الحالة ؟!! إنه تعقيد تام كامل - مع أنه غير ذلك - ليس فيه شيء من الحتمية على الإطلاق ، وما يتبقى شيء من الاحتمال – نحن نعرفه - أن يتذكر أو يفهم أو يعقل عامله ويدله على الشخص من يستطيع حل عقدته وهو أداته الوحيدة ، فهل يحدث ذلك المحتمل ؟؟!! ويتم التقابل– غنى وفقير ، مالك وعامل ، سلطة قوية وسلطة ضعيفة ، أعلى بأقل ، عقدة بعقدة – الكل متساو ولا أحد مستثنى – فمن الذي يحتاج إلى الآخر ؟!! ومن الذي سيحل عقدة الغنى العظيم ؟؟ لابد من عدل الله وكيف يكون التساوي والتكامل ، فالكل عبيد له وحده جل شأنه وهو المتصرف وحده لا شريك له ، الغنى العظيم يحتاج إلى الفقير الضعيف ، والفقير المعدم يحتاج إلى الغنى القادر ، وحل عقدة القادر الغنى عند الضعيف المحتاج ، والعكس ، أنه عدل الله ٠ ولكن من الذي يعرفهما على بعضهما البعض ؟؟!! من الذي يحدث بينهما التلاقي ؟!! من الذي يمتلك أداة الربط بينهما ؟!! إنه خادمهما ، ولكن الخادم لا يسعفه تفكيره هو الآخر، فمن يستطيع الحل ؟!! يسلم الغنى مجبرا عاجزا أمره لله ،

فهو يؤمن بفكر مشبع من عقيدة سماوية ، فيتضرع إلى الله ،يتضرع إليه معترفا بعجزه ويرجع الفضل إلى الذي بيده كل شيء - فنشاركه حيرته وندعو له ، ويستجيب الله له وتحدث الانفراجة . . .

الانفراجة حيث يقع حادث قريب منه جدا يكون سببا فى أول بارقة أمل تجول أمامه ، فيستغله بجاهه وسلطانه ويفرض العون والمساعدة بتكبر وغطرسة – وتحدث المفارقة – من أن الحل ليس بيد تابعه المقرب له ؛ بل بيد شخص آخر ، يتملكه أكثر من المقرب له وللمفارقة العجيبة الجميلة التى تسعده وتحل له عقدته ، من أن هذا الشخص المتواضع تحت إمرته وتصرفه ، ويحتاج إليه ، وهو من الحتمى لن يمانع على الإطلاق أن يلبى طلبه بل يأتيه يجرى ، فيطلب منه صاغرا مجبرا مبتلعا كبرياءه ، لا ليأتيه بمن يعرف ، على أن يأتيه بالحل ، يأتيه فقط بما يحتاجه ، ويسرع تابعه وباستعطاف واحترام وإعزاز وإجلال يطلب مساعدته ، من أجل تابعين مثله يعملون عند سيده ، وهو يريد أن يخلصهم من العناء والألم والمعاناة التى لا يستحقونها ، لأن سيدهم يعكس ما هو فيه عليهم ، مع أن ما حدث ليس منهم ولا من ذنبهم ، ولا بسببهم ، فلا يبخل عليهم . وبها تنفرج عقدته وينصلح حاله ويحصل على حاجته ويهدأ باله ، بأن يعود يتلمس طريقه نحو هدفه الذي لم يحققه بعد ، وأنه لا يستطيع تحقيقه بمفرده ولا يسعفه تفكيره ، فيضطر اضطرارا ويقبل أن يتعرف على الشخص المتواضع العالم العليم الذي استطاع بعلمه أن يلبى طلبه ويسهل له الحصول على حاجته دون أن يطلب أجرا ، ولم يطمع فى ثواب ، وهو المعوز المعدوم الذي فى أوج الحاجة إلى أى معاون ، فما بالك وهو الذى أسدى له معروفا ، فيحتاج ليتعرف عليه . .

التعرف حيث يدرك من فطنته المتواضعة أن يستعين بهذا الشخص المتواضع ، ويرسل فى طلبه خاصة أنه واحد من العاملين فى أملاكه التى بالطبع تحت إمرته وتصرفه ،

فيرسل وهو واثق من أنه لابد أن سيستجيب إلى طلبه ، فهو من المؤكد أمله الذي لم يتخيله ؛ لأنه متواضع فقير ، و بشيء من التكبر والثقة والعجرفة والغرور والخيلاء يطلب من عامليه أن يأتوه به . وأمرة نافذ طبعا ، وتحدث المفارقة الكبرى المولدة للضحك حقا إذ يرفض المتواضع المعوز ويشترط عليه ليقابله أو يلتقيه ، فى أكبر سخرية لعظيم من الممكن أن تحدث ، فيبلع عجرفته وغروره وخيلاءه ، ويفرج الله عنه همه وييسر عليه بأن ينير بصيرته ويجعله يتواضع مرغما ويقبل بشروط الأضعف ، وهو يغلى غيظا ، فى مفارقة عجيبة مولدة للسخرية والضحك حقا ، عندما يقبل المتواضع ويجب طلبه و يستغله ويجتهد بعلمه وخبرته حتى يسبر له أغوار أزمته ويمكنه من الحصول على حاجته ، وما قبله إلا لأنه يشعر أنه أذكى وأنفع له ، ويستبين ويتكشف حقيقة الأضعف الذي لم يكن يعرفه و لا يعرف حقيقته ، وتحدث المفارقة المولدة للضحك من أن الشخص الأضعف ما هو إلا واحد من تابعيه أو عامليه تربطه صلة ما به وله عليه ولاية فيعود إلى التكبر والغطرسة فيشترط عليه ، وهذا مولد للضحك . رغم أنه هو الذي يحتاج إليه ، فيوافقه الأضعف على شرطه ولذكائه يستغله فى حاجة كبيرة ؛ لأنه يشعر أنه بذكائه يساويه ، فما بالك وهو الذى أسدى له معروفا وأكمل له نقصان تفكيره ، وهو يوقن تمام اليقين أنه لن يؤخر له طلبه ، فى تقابل عجيب مذهل ، ويقبل السيد الغنى استغلال الضعيف الفقير وهو سعيد مغتبط ويصل إلى ..

النهاية ويساعده الأضعف جل المساعدة ، وبه يتغلب على كل الصعاب ، ويحقق هدفه

وتتحقق له ولمن ساعده السعادة والهناء والتفوق والانتصار ؛ فنشعر بالطمأنينة والسعادة والابتهاج والفرح من أن واحدا مثلنا أو أقل منا احتاج إليه من هو أعلى منا فى المكانة الاجتماعية وأغنى منا وأقوى بجاهه وسلطانه وهيلمانه ، ولكن من ساعده وكان سببا فى سعادته وتحقيق هدفه واحد أقل منا فى المكانة وغيرها ، وهذا يطهرنا من مخاوفنا وأحقادنا ، ويكشف لنا عن مكنون قوتنا وعزنا وفخرنا نحن المعدمين المقهورين ، بأن

التكامل والعوز والحاجة مفروضة ومتبادلة ، ما بين الأغنياء والفقراء ، ما بين الأقوياء والضعفاء ، ما بين الحاكم والمحكوم ، ولذا تشعرنا بالسعادة والرضي والقناعة ، و تشفى صدورنا من الأحزان ، وتطهر قلوبنا من الأحقاد ، وتنزع من أفئدتنا الغل والغيظ والحسد والكره والبغضاء، وهو علاج نفسي كبير ٠

مسببات الملهاة

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أحمد والطبراني ، أنَّ مُعَاذًا لَمَّا بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْيَمَنِ ومَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي فَبَكَى مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ جَزَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لا تبك يا معاذ إن البكاء من الشيطان " [مسند أحمد ، رقم الحديث ٢١٠٤٢] ونفهم من تضاده أن السرور والغبطة والتبسم أفضل ، وهى تتولد من الدعابة والتفكه ، والتفكه تأتى من الفاكهة ، والفاكهة هى الشيء الطيب الحلو الجميل ؛ للتفريج عن النفس من بعد الكرب والغم ٠

سئل السلف عن مزح رسول الله فقال كانت له مهابة فكان يبسط الناس بالدعابة ٠

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا ملأى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ قَالَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ

اذهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ، قَالَ فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي أَوْ أَتَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ ، قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ قَالَ فَكَانَ يُقَالُ ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً. [صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم ٢٧٢]

وما حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب" ما هو إلا تهذيب وتقنين للضحك لا ينصرف إلى تحريمه بالكلية ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يضحك.

أمثلة من القرآن لشخصيات أساسية غير رئيسية لجبابرة فسدة ، وملوك ظلمة ، وفراعين جهلة ، وطغاة سفلة ، وفرسان غير نبلاء ، وأشراف منحطين ، وجاء يسخر من كبريائهم ، ويبعثر كرامتهم ، وينسف عروشهم ، ويمحو عقائدهم ، ويذل أعناقهم ، ويقتلهم على يد صغرائهم على أتفه الأسباب لا فى أجل المواقف وأرفعها حتى ينزع عنهم أى شرف ، أو يخلع عليهم أى فضل أو مكانة ، وجعل سيرهم أضحوكة للناس وفى التاريخ ، ولذلك لا يصلحون أن يكونوا شخصيات رئيسية أى نماذج أبطال قصص أعمال فنية ملهاة ؛ لأنهم لن يكونوا مثالا جيدا نافعا مولدا للغبطة والسرور والضحك ، والعظة والتطهير من الأحزان ، والعلاج النفسي بالتفريج عن النفس المأزومة من الكرب والهم ومجابهة أعباء الحياة ، ولن يكونوا القدوة التى نتعلم منها ونقتدي بها ,وبذلك بسببهم يفقد العمل الفني بعض أهدافه النبيلة والتي بها تتساوى الملهاة مع عظم المأسملهاة. ودونها لا تكون الملهاة هنا راقية ولا مؤدية غرضها كما ينبغي , وتصبح المأسملهاة أفضل منها وفى مرتبة أعلى وأجل. على أن تكون تلك النماذج السابقة هى الشخوص المجابهين والمصارعين للبطل الفاضل النبيل مهما كانت درجته فى السلم الاجتماعي ومهما كان هدفه متواضعا على قدر أحلامه البسيطة ومكانته العادية وإمكانياته المحدودة. ولنا فى

قصص القرآن العظة ، فهؤلاء لم يكن فيهم أحد من الشخصيات الرئيسية فى القصص ، بل الشخصيات الرئيسية من الرسل والنبيين- وهم يخصون الله وحده باختيارهم وتكليفهم والصديقين والأخيار والصالحين والتابعين وغيرهم ممن ينعمون بطاعة الله ومجابهة أذى الأشرار الفاسدين الطغاة ٠ وأمثال الخيرين الصالحين نماذج كثيرة ما شاء الله إلى أن تقوم الساعة٠ وقولنا الخيرون الصالحون لا أقصد الخير الكامل ولا الصلاح الكامل بالطبع ، كل ما أريده التوضيح للبعد عن النموذج الفاسد غير الصالح فنيا لأن يكون البطل , فهم مهما كانوا فلابد لهم من غلطة لا بترديهم فى الرذيلة والمعاصي بل بغلطة غير مقصودة منهم حتى لا تقطع شفقتنا وعطفنا وإشفاقنا عليهم ، لا تنس ذلك٠

إذن الملهاة الراقية التى نبتغيها تكون جادة نافعة مسلية ممتعة واعظة مفيدة وتثير السرور والغبطة و الضحك الخفيف الذي مبعثه الذهن المتأمل المفكر ، وهى فكرتها تتبع من انتقاد السلوك الفردي والجمعي ، والقضايا الاجتماعية التى تخص البسطاء والمعوزين أو الكبراء والسادة ، والإسقاطات السياسية التى تمس قضاياهم الحياتية وحاجاتهم اليومية الأساسية , وهم غير معنيين بفلسفة ولا جدال من حرية كاملة وما إلى ذلك من قضايا تبدو أكبر من استيعابهم وأولوياتهم – والعكس صحيح - مما ينصب على بطلهم واستيعابه الذي يمثلهم ومبعث الفخر والتشريف لهم ٠ دون مغالاة أو فجاجة أو عنف لا مبرر له ، وانتصار البطل ، والنهاية السعيدة هى نهاياتها ، وهو الشيء المألوف بالنسبة لنا , مما تجعلها قريبة من مشاعرنا وتوقعاتنا فلذلك تشعرنا بالسعادة التامة والمتعة المضاعفة ٠

١- السخرية والمصادفة اللا معقولة

من فرعون مصر ، ونبدأ بالاسم حيث ينقسم إلى جزءين ، فر أى يفر أو فر والفر من الفرار ، والعون لا يكون إلا من الله ، وتفسير الاسم بالكامل نجده ، فر من عون الله الذي

أرسل له موسى - وموسى يأتي من الموس- لهدايته بالقول اللين الجميل ، ففر من هذا العون ليجد الموس يشق له البحر ليدخل فيه ويغرق أى إلى نهايته وهلاكه وموته بسبب غبائه واستكباره. لأنه عرف من النبوءة أن زوال ملكه على يد غلام من بنى إسرائيل فأمر بذبح كل غلمانهم ، ومع ذلك إذ هو الذي ينجيه من غرق المحقق وهو رضيع لا يقوى على شيء ، ثم يربيه فى قصره ويعلمه ويكبره ، ليأتي فى النهاية ويعرف أنه عدوه ولكن بعد فوات الأوان ، ويكون من رباه سببا فى زوال ملكه وهلاكه.

السخرية هنا مولدة للضحك بسبب الغباء المستحكم والتكبر الأجوف و التصرف الأرعن.

وبها مثانى من تقابل جمع بمفارقة ، بين الفعل والفعل فلما تراءى الجمعان (أنجينا) موسى والذين معه ، ثم (أغرقنا) الآخرين .

وبها مثانى من تقابل مفرد نوعه تشابه بين الاسم والاسم ، أوحينا إلى (موسى) أن اسر بعبادي ، فأرسل (فرعون) فى المدائن حاشرين.

٢- التباين والتنظير

بين أبرهة بعقله البشرى المميز – عقل المخ - ، وبين الطير الأبابيل التى ليست مميزة بعقل – عقل مخ - مثل البشر . الاسم أبرهة أصله إبرة والهاء الأخرى زائدة ، والإبرة من صفاتها أنها مدببة السن ومن يوكز بها ينتفض مذعورا متألما مبتعدا .ملك اليمن الذي بنى كنيسا ليصرف إليها الحجاج عن مكة , فأحدث بها رجلا من كنانة حدثا ولطخ قبلتها احتقارا بها ، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة وأعد لها جيشا جرارا على أفيال ضخمة ، فسخر الله واستهزأ منهم بأن أرسل عليهم طيرا صغيرة أبادتهم وجعلوا يهربون ويتدارون من حجارتها الصغيرة من حبة الحمص حتى ارتد من نجا منهم إلى بلادهم مدحورين خائبين مذلولين ومات أبرهة بسبب حجارة الطير التى أصابته . والتباين هنا بين الفعل من جيش جرار من الفيلة وبين جيش جرار من الطير . وكذلك بين الاسم والاسم بين

الفيل والطير الصغيرة وكانت الحجارة الصغيرة بمثابة الإبرة التى تشك بقوة فتجعله يفزع ويجرى حتى هلك ٠

٣- التحقير والاستهزاء

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [المسد] خسرت يدا أبو لهب وزوجته وابنه بإيذائهم لرسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – أبو جهل رمـــاه الله بالعدسة فقتلته وتركه ابناه ثلاثة أيام حتى تعفن جسده ، وعندما أجبرا على دفنه وأرادا مواراته التراب رجماه بالحجارة مخافة أن تصيبهم تلك العدسة ، وهذه العدســة كانــت قريش تخاف منها لأنها تحدث مثلما يحدثه الطاعون من قروح معدية مهلكة٠ وزوجة أبى لهب أم جميل وكانت تأتى كل يوم بحزمة كبيرة من الحطب فتطرحها فى طريق المسلمين ، فبينما هى كذلك تحمل الحطب تعبت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من حبلها الذي لف حول عنقها فخنقها فماتت٠ وابنه قتله أسد وهو فى صومعة راهب وفى وسط عدد من الرجال وحماية أبيه له بكل الطرق ٠

٤- المفارقة و التعاكس

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ

إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود] ما بين النجاة والهلاك ، الطاعة والمعصية .

قد ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم إبان الغمة الكبرى والمحنة الهائلة والبلاء العظيم حادثة الإفك (قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : فلما سر عن رسول الله سر عنه وهو يضحك) يسر ويضحك بعد أن برأها الله من فوق سبع سماوات . [من صحيح البخارى ، رقم ٤٣٨١] ومن ذلك جاء المثل أن شر البلية ما يضحك .

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ قَالَ لا ، قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ لا ، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ لا ، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ فَقَالَ أَنَا ، قَالَ : خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ : أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ . [صحيح البخارى ، كتاب الصوم ، رقم ١٨٠٠]

٥- التضاد و التواجه

قد تبسم سيدنا سليمان عندما سمع النملة تكلم أقرانها ، ولما انتهت من كلامها ضحك فهو ملك الجن والإنس والطير ومسيرة له الجبال بإذن الله فكيف لنملة تعرف وتعقل

وتصح حتى تتجنبه وجنوده ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل]

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَقَالَ يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ ؟! فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنْ الاغْتِسَالِ ، وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . [سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، رقم ٢٨٣]

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَا هَذَا الْخِنْجَرُ قَالَتْ اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنْ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ " [صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، رقم ٣٣٧٤]

٦- التقابل والتناقض

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء]

٧- التعاكس والتبادل وهما يخلقان المفارقة المضحكة.

فى قصة أصحاب الأخدود التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلى بها أصحابه رضي الله عنهم ، وهم كانوا يعانون من بطش قريش ، ففي القصة أراد الملك أن يقتل الغلام الصالح من أجل ألا يؤمنوا بدعوته للحق عبادة الله دونه ، وهو الذي يعتبر نفسه إلها ، ولم يستطع بجنوده أن يقتلوا الغلام ، حتى قال له الغلام إن أردت أن تقتلني فقل باسم الله رب هذا الغلام ، ففعل الملك وقال ، وقتل الغلام . فتحدث المفارقة العجيبة المذهلة المبكية المفرحة المضحكة حيث يؤمن الناس برب الغلام ، والذي كان يتخوف ويحذر منه الملك وقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس.

٨- الموقف المغاير حيث الاختلاف حين يستلزم الاتفاق.

في حدث سحرة فرعون ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأعراف] الذي جاء بهم وأمدهم بكل شيء ووعدهم بالكثير من أجل إثبات سحر موسى أمام الناس وقت الضحى ، فألقى السحرة وهم إذ على خلاف تام مع موسى ،

ويلقى موسى وهو على خلاف تام معهم ، وتكون النتيجة ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ [طه] الاختلاف مع من هم يتفقون مع فرعون، والاتفاق مع من هم يختلفون مع موسى ٠ رغم التهديد والوعيد الذي وصل للصلب والذبح ٠

مكونات وقواعد القصة الملهاة

مكونات القصة:

١- الأفعال

الأفعال تبنى على تشويق وإثارة وإمتاع وغموض ومفارقة لتولد الضحك وتعرف البطل وتكشف عن حاجته التى يريد أن يحصل عليها ، والهدف الذى يريد تحقيقه ، من خلال مشهد جدي يكشف فيه البطل ما يريده وما يتمناه وكأنه حلم جميل مستحيل ، ولكنه يتعهد أن يبذل قصارى جهده حتى يحققه ويجعله حقيقيا ، يكشف ذلك سواء بين عائلته أو أصدقائه ، أو حتى أعدائه ومصارعيه ومجابهيه , وهذا أجمل مما يحمل قدرا من السخرية لأنه يفصح عن شيء فى غير مكانه الصحيح الطبيعي , مما يسبب له أزمات جمة يكون فى حل منها إذا ما أمعن التفكير أو كان يتمتع بالذكاء والفطنة ، مما يولد الضحك عندما نعرف أن المجابهين له لديهم نفس الحاجة التى هو يريد الحصول عليها ، وعند حصوله هو لا يحصلون عليها هم مما تحملهم على الصراع معه ومحاولة منعه ومجابهته ومعارضته وخلق الأزمات له ، أو تحمل على ذكائه هو لأنه كشف لهم عما يريد ولكن لغبائهم لا يعرفون ذلك بل ويساعدونه على بلوغ حاجته التى تعطل حاجتهم مما تعطيه فرصة فى حرية التصرف وإعداد الخطط لكسب ما يريد بذكائه معرفة قدرات مجابهيه وموضع ضعفهم ومن ثم استغلالهم ، مما يحقق ما يريد بيسر وسهولة تحسب

لذكائه الفطري الذى يتمتع به ويكون مدعاة لإقناعنا وسعادتنا ، وخاصة إذا كان واحدا مثلنا من البسطاء ، ويستطيع ببساطته وفطنته ومخزونه الداخلي أن يتفوق على من هم أعلى منه منزلة ومكانة ويستفيد منهم ، بل ويجعلهم يحتاجون له ٠ مما تنتهي مشاهد البداية بفرح وسرور كبيرين ، حيث يمتلك أدوات نجاح وأسباب سعادة تقربه كثيرا من الحصول على حاجته وتحقيق هدفه الذى يظنهما بين عشية وضحاها وهم كذلك بالفعل ، حتى إنه يطمئن ونطمئن نحن ، ولكن تأتى الرياح بمالا تشتهى السفن ، وبسبب بسيط لا يتوقعه ، أو مجابهة معدوم لا يعد لها ، أو واحد من المقربين له أخوه ، أبوه ، أخته ، صديقه ، من غير قصد يتسبب فى خسارته ، التى يفقد فيها أسباب قوته ، وأدوات نجاحه التى لتوه تحصل عليها ، مما يحملنا نحن على الشفقة عليه والحزن لما أصابه ولم يهنأ به فيحزن ويخسر ويحاول المجابهة من جديد ، والقيام من عثرته ، فلا يقوى على تحصيل شيء يذكر ، فيتضرع إلى الله ، ويجعلنا نتضرع لله من أجله ، ويشكر الله على ما أصابه ونشكر الله نحن أيضا ، وهو يدعو ويبتهل ويشكر ويأمل أن يخفف الله عنه عناء ما هو فيه ، وأن يمنحه الصبر والعزيمة لمواصلة حياته والمجابهة من أجل استعادة أسباب سعادته وأدوات قوته ، فتفتح أمامه كوة يحاول أن يمرق منها ويسير فى هدى ضوئها الخافت يكتشف معالم الطريق نحو استعادة أسباب سعادته وأدوات قوته ، فيجاهد ويستبسل ويتمسك بالأمل ، ويحاول التغلب على مصارعيه الذين يسخرون منه ويضحكون عليه ولا يرثون لما آل إليه حاله ، مما يكون مدعاة له للاستبسال والتصميم على أن يتفوق ويسخر منهم هو ، حتى يستطيع فعل ذلك بكل ما أوتى من قوة ودهاء وفطنة ونبل ، يستعمل جميع أدواته التى لا تزال بحوزته وتتمثل فى كيانه وعزيمته وصبره وقوته رباطة جأشه ودحر أحزانه وعدم التوقف أمامها مصمما على أن يحقق الفرح لنفسه بأدواته المتبقية له ، ويقدم يستغل ما تحصل عليه وما فتح أمامه من أبواب يظن فيها الخير كله ٠ فيفتح الباب بقوة يظنه طريقا ينفذ منه نحو نجاته وحاجته ، ولكنه يكتشف أنه أوقع بإنسان لم يكن له أن يوقع به ، وتحدث المفارقة من كون هذا الشخص

إلا مساعده ومن يقف معه ، فيتحسر ويشعر بمعاناة كبيرة ، ثم يحدث المستحيل الذى سيكون ممكنا إنها انفراجة من الله بأن يقع فعل قريب من البطل ويكون له دُخل بحله ، يتدخل فيساعد فيه ، ويكون سببا فى خروجه من عقدته ، ويفضل أن يكون واحدا من أتباعه ، أصحابه ، معارفه ، قريب منه جدا ، ولكنه لم يكن بدراية تامة بمعرفته قدرته على تخليصه مما هو فيه ٠

صفات الفعل المضحك

الفعل المضحك ليس بالقتل ولا بالموت ، ولكن ما دونهما ٠بأن يكون :

الإصابة المباشرة المؤذية النفسية الداخلية المفزعة من الإحراج للصفات الشكلية ، والتجريح الشديد للصفات الخلقية ، والسخرية من الصفات الأخلاقية ، والاستهزاء بالصفات القيمة ، والتعالي بالصفات الاجتماعية التى هو نفسه ليس أهلا لها، والمفاخرة بالصفات الجسدية والتي هو أبعد عما يكون منها٠ والمعايرة بالصفات السلوكية والحط منها إلى أبعد حد وهو دونها٠

٢- الإصابة المباشرة المؤذية الجسدية الخارجية التى تحدث الألم الشديد من الكدمات والإصابات٠

كيف يبنى الفعل المضحك ؟

١- أن يهم الفاعل بفعله وهو لا يعرف حقيقة من سيقع عليه الفعل ولا يعرف حقيقته ويوقع الفعل ، ولكن يكتشف بعد فوات الأوان حقيقة الصلة به ٠ فإن ذلك أكبر باعث على الضحك النابع من المفارقة القوية٠

٢- أن يهم الفاعل بفعله وهو يعرف حقيقة من سيقع به الفعل ، ويتغاضى عنه ، فإن ذلك باعث على الضحك النابع من السخرية والتورية المبطنة٠

٣- أن يهم الفاعل بفعله وهو لا يعرف حقيقة من سيقع عليه الفعل ، ثم يكتشف فى اللحظة المناسبة حقيقة الصلة به فيكف عن الفعل، وذلك باعث على الضحك النابع من المفاجأة السارة الجميلة،

٤- أن يهم الفاعل بفعله وهو يعرف حقيقة من سيقع عليه الفعل ويفعله، فهو باعث على الضحك النابع من التبكيت والهزل الجدي المقصود بغرض استلهام حقيقة ما،

٥- أن يهم الفاعل بفعله وهو يعرف حقيقة من سيقع به الفعل ، وهو لا يستطيع مضاهاته جسديا ولا تقابله فى المكانة الاجتماعية ، ويصر على الوقيعة به ، فتولد الضحك النابع من التضاد الكبير والتفاوت الشديد،

٦- أن يهم الفاعل بفعله وهو لا يعرف المفعول به , ولا يعرف حقيقته ويصر على الفعل ، فينال منه المفعول به نيلا كبيرا موجعا ، فيتراجع عن الفعل مجبرا محرجا منكسرا ،

٢- الشخصيات

مواصفات الشخصية الرئيسية:

١- أن يكون من أصحاب النفس اللوامة ، ومصارعيه من أصحاب النفس الأمارة ،

٢- أن يكون فى البداية من العظماء التعساء الفشلة ، ثم يحدث التغير ويصبح من السعداء الناجحين ،

٣- ليس بالشكل الوسيم ولا الجميل بل العادي لا القبيح ،

٥- عدم التناسق الكامل الشكلي ، لا المظهري ولا الحركى،

٦ - اللباقة وعدم الفطنة وضعف الذاكرة وسرعة الحركة ،

٣-الفكر

نخص منها فكر الشخصية الرئيسية البطل لأن هذا جل اهتمامنا ومناط حكمتنا ومقصدنا وهدفنا بما يرضى الله ورسوله، فهو المحلل الحسن لغاياتنا النبيلة الخيرة

المطهرة من الخبث والإثم والهم والحزن. فلابد أن فكره ينبع من عقيدة سماوية سامية تعرف التمييز بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، والخير والشر. حتى إذا أضحكنا وأسعدنا وأسرنا وأبهجنا ، لم يفسد قيمنا ، ولم يهدم معتقدنا الديني ، ولم يشككنا في مقاصدنا الخيرة ، فهو بذلك أهل لأن يكون القدوة لنا ، والعظة منه مقبولة ، والتأسي به مطلوب ومستحب ، والتعلم منه مطلوب ، ليس فجا ولا مذموما .

٤-الفكرة

قضية بسيطة أو عظيمة من شأنها أن تناقش وتكشف فسادا أو تعرى حقيقة في المجتمع ، أو تلقى الضوء على فساد في السلوك أو تبين تغيرا في القيم دون الدخول إلى فلسفات ليست الشخوص هذى ولا الموضع الملهاة بمستطيع على الجدال فيه واللجج في جوانبه ونظرياته العقلية المستعصية على عقولنا العادية.

٥-المكان

ما من شيء حادث في الدنيا إلا وله مكان يقع فيه حتى ولو كان خياليا ، لأن الخيالي من شأنه مكان أيضا حتى يكون قابلا بعضه للتصديق . فما بالنا ونحن نصنع عملا تبتغى به مخاطبة وإقناع الناس وتسليتهم وإقناعهم.

استعمال ومسرحة الأفعال التى بها خصوصية شديدة في أماكن مفتوحة ، خارجية طبيعية أو مفتوحة مصنوعة ؛ لتزيد من المفارقة بين القول وخصوصيته ، وعلاقته المتضادة مع خصائص المكان والعكس .

من غباء فرعون الذي يريد أن يثبت أن موسى ليس رسولا من إله فهو الإله ، بينما موسى مجرد ساحر وسيبطل سحره ، إنما هو الإله الأوحد لقومه ، ويريد أن يبطل قول موسى ودعوته من أجل حاجة خاصة به تخص ألوهيته ومكانته هو ليس غيره، فلغبائه وللمفارقة يختار مكانا واسعا يحضره عموم الناس ، ومن ذكاء موسى يوافق على المكان

ويقترح الزمان نكاية واستحقارا لفرعون ليس منه و أخيه فقط بل وجموع الناس ممن يستعبدهم فرعون ، وهو ربهم الأعلى ، فعندما تلاقى السحرة مع موسى أمام الناس يحدث العكس تماما لما يريده فرعون ، ويكون الموقف له مأزوما ومحرجا أيما إحراج ، مولدا لأكبر قدر للسخرية من الجميع لفرعون حتى من رجاله وخاصته ، مما ينتج أكبر قدر من الضحك ،

٦-الزمان

الزمان وحده من أدوات الإقناع , خاصة إذا كان من الزمن القريب أو الحالي وهو المطلوب ، فالمخاطب ليس معنيا على الدوام أن تناقشه وتجلسه لتمتعه بقضية هو ليس طرفا فيها ولا تهمه من قريب أو بعيد ، فأنت بذلك تقتل وتضيع له وقته الذي أحسبه ثمينا وغاليا إذ لابد من أن يكون كذلك ؛ فلم يخلقنا الله عبثا أو من غير قصد ولا أهداف ترجى , فالإنسان هو خليفة الله فى أرضه وعليه إعمار الدنيا وعبادته تعالى ، والإنسان نفسه الصانع لكل شيء ومن أجله كل شيء له عمر محدود ومقيد بزمن معلوم لله وحده ،

٧- اللغة

اللغة العامية ذات اللهجات المتعددة حسب البيئة والمكانة ودرجة التعلم ، السهلة المشبعة ببعض الشعر الفصيح المعتمد على الهجاء فى موقف المديح ، والمديح فى موقف الذم ، والتورية التى لها معنيان ظاهري غير مقصود إلى متوار منخفض , وهو المقصود ليزيد من التشويق والإثارة والمفاجأة والحيرة وانتظار النتيجة لتفعيل وإعمال عقولنا نحن والتفعيلة التى بها جرس موسيقى - فى الشعر- يمتع السمع ، والسجع فى بعض المواقف الملتبسة والمطرية - فى - النثر لتزيد من درجة توترها وإحمائها لتشابهها ،

٨-المؤثرات الصوتية

المؤثرات على أن تكون هادئة وديعة فى الموقف العصيب ، وتكون قوية مجلجلة فى الموقف اليسير •

المؤثرات بالأشعار منها أشعار الهجاء فى موقف المدح والثناء• وأشعار المديح والإطراء فى موقف الهجاء والذم•

المؤثرات الطبيعية ، على أن تكون مناسبة موحية لا لبس فيها ، ولكن لا غبار إن كانت غريبة غير معهودة ولا متوقعة للموقف والحدث والمشهد ولحظات الصمت عن الحوار •

٩-الزينة (الديكور)

هى كل شيء يتزين به الشخوص أو الأمكنة أو الحوار ، وهى تحسين وتجميل وزخرفة الشيء بغيره من أصله مما يكسبه جمالا ، وهى بهجة للعين التي لا تنفذ إلى باطن المزيّن • وهى تُطلق على المحاسن التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، فمنها الزينة الحقيقية وهي كل مالا يشين الإنسان في شيء من أحواله ، لا في الدنيا ولا في الآخرة•

أن تكون الزينة ليست كاملة الجمال ولا هى بالقبيح الفج ، وتكون حسب تواجد الشخوص وأفعالها وإعاشتها ، فلو كان المصارعون على درجة عالية ومنزلة سامقة ، فلا مانع من استعمال أفخم الزينات ولكن بها شيئا من الفجاجة من الترتيب الفائق والألوان القوية الحادة ، والمتناقض لحد كبير مع منزلة ومكانة الشخصية العلمية والاجتماعية ، فليس كل غنى وجيها ، ولا كل متعلم مثقفا ، ولا كل مثقف ذا حس مرهف ، ولا كل ذي حس مرهف له تذوق فني • ولا كل فقير وضيعا ، ولا كل وضيع جاهلا وسوقيا ، ولا كل سوقي عديم الإحساس •

قواعد القصة:

١ - الصراع

إنها قاعدة لكل شيء مهما كان ،عظيما أو وضيعا ، فقيرا أو غنيا، ملكا أو خادما ؛ لأنها سنة من سنن الله فى خلقه ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة] أى لولا يدفع الله شر الأشرار بجهاد الأخيار لفسدت الأرض وعم الخراب والدمار إذا انتصر الشر •وأن حكمة الله العليا خلق الصراع بين القوى وتنافس الطاقات ، وانطلاق السعي فى الحياة - المعتمد على الفعل - التى تموج بالبشر فى تدافع وتسابق وتزاحم ؛ من أجل الغايات المختلفة سواء الحاجات والأهداف ؛ لأن من طبيعة الناس التى فطرهم الله عليها أن تتعارض الحاجات والمصالح والاتجاهات الظاهرية والباطنية •التى تستنفر المشاعر والأحاسيس وتجيش لها الطاقات النفسية والبد نية والمعرفية والعقلية من أجل الفعل والعمل و نفض الكسل والخمول والتواكل ، مستخدمة مكنوناتها الداخلية وذخائرها النفسية وقواها العقلية وأسرارها الدفينة •من أجل انتصار الحق ودفع الباطل والشر والحصول على الحاجات وتحقيق الأهداف ، مهما كانت ضخامة الباطل وضعف الحق وقوة الصراع والمجابهة والصعوبات • والصراع يعتمد على المصادفة والمفارقة والتضاد والسخرية والتقابل والمباغتة والانقلاب بمعنى أن ندرك نحن أن النتيجة للفعل حتمية فنجدها غير حتمية ، والفعل ورد الفعل •

٢- الحبكة

وتبنى على الممكن غير المستحيل الذي نجده نحن غير ممكن ، أو المستحيل الممكن الذي نجده نحن ممكنا ومتوقعا ، والسبب الواجد له نتيجة والنتيجة المسببة للسبب ، والحتمي الذي نجده غير حتمي والمحتمل الذي نجده حتميا ، والكل يخضع للتوافق العقلي والذهني لنا ، لكن يمتاز بالإبهار والمفاجأة والتصديق والإقناع ، تلك العوامل تعتمد على الطريقة والسلوك.

إن الحبكة الجيدة هى التى تولد ملهاة الموقف المولد القوى للإضحاك ، ذلك بأن من حسن النسيج المبنى على الاحتمال والحتمية والتقابل والتضاد ، المعروف لنا من جراء استيضاح واستظهار المواقف والمشاهد المستنبطة المنوط به دلالات توحي باحتمال نتيجة ما ، فإذا ما وقعت هذه النتيجة وتقابل الشخوص ذوو الأهداف والحاجات المتضادة أو المتفقة يحدث الموقف الجلل المضحك.

مثال: إبراهيم يوقد له النار ليلقوه فيها وهم يدركون تمام الإدراك أن حرقه وهلاكه شيء حتمي لا مراء فيه ولا شك على الإطلاق، فإذا النار بأمر الله تكون بردا وسلاما على إبراهيم فلا تحرقه ، وتحصل المفاجأة والمستحيل الممكن غير المتوقع على الإطلاق ، وهنا نحن نسخر ونضحك من تخطيط مثل هؤلاء ؛ لأن فعلهم رد عليه بالتعاكس بالكلية.

إذن الحبكة القائمة على حسن الترتيب والتنظيم المحكم هى سر بناء المواقف المبدعة المولدة للضحك الجميل ، من جراء السخرية والتضاد الحاد الكامل .

الحبكة أيضا هى التى تبدع رسم صفات الشخوص القادرين على الفعل أهم قادرون أم لا ؟ ومن خلال المقدرة أو العدم ، ترسم لهم رد الفعل الحتمي ، حتى إذا حدث المحتمل يكون زيادة فى السعادة والإضحاك والمفاجأة السارة المبهجة.

الحبكة هى إجادة التحكم فى صياغة وبناء الزلة بحيث لا تنزل الشخصية من مكانتها التى هى أصلا متواضعة وسطية ، بحيث لا تتنزل إلى درجة أدنى فتكون فى الحضيض ولا تكون أزيد من اللازم حتى لا تحدث المأسملهاة ، لكن غلطة ترهق وتعطل البطل وتؤخر هدفه وتصعب عليه الحصول على حاجته ليس أكثر ، على أن تكون الزلة بسيطة صغيرة مناسبة لأحداث ما سبقها ومتسقة مع وضع الشخصية فى حدود الممكن المعقول ومتسقا مع ما بعدها من نتيجة محتملة ؛ لأن الفارق بين هذه الزلة وتلك هى مدى توغلها وإحداثها وتأثيرها ومردودها الأخف القصير أم الأكثر الزائدة ٠

٣- التغير

التغير هنا حتى يجلب السعادة والغبطة والسرور ، لابد أن يكون التغير من حال الشقاء والفشل إلى حال السعادة والنجاح لا إلى احتمال آخر ٠ فليس من السعادة ما يصدم مشاعرنا ويحط من توقعاتنا ؛ لأن البطل يكون صاحب النفس اللوامة ٠

٤- التحول

من الكراهية إلى الحب ، من الضد إلى الضد بعنف ٠ أو التحول فى القصد والنية من الإساءة إلى الإحسان ومن المجابهة إلى المساعدة ، ومن الأذى إلى رفع الأذى ، ومن الخوف إلى الأمن ومن الغضب إلى الفرحة ، ومن العبوس إلى الانفراجة ٠

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم [عدد من المصاحف ، واسطوانة CD]

نسخ آيات القرآن لهذا الكتاب من مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبى ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ونشكر لهم هذا المجهود.

- التفسير الميسر للقرآن [الأنترنت ، موقع المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد]
- تفسير الجلالين للقرآن [مكتبة الصفا ، طبع سنة ٢٠٠٤]
- تفسير الطبرى للقرآن [انترنت]
- الاحاديث الشريفة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم من :
- صحيح البخارى – صحيح مسلم – سنن الترمذى – سنن النسائى – سنن أبى داود – سنن ابن ماجة – مسند أحمد – موطأ مالك – سنن الدارمى [الأنترنت موقع المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد]
- قصص الأنبياء [ابن كثير ، مكتبة أولاد الشيخ ، طبع سنة ٢٠٠٣]
- قصص الأنبياء [الشعراوى ، اسطوانات كمبيوتر]
- قصص الأنبياء [محمود المصرى ، دار التقوى ، طبع سنة ٢٠٣]
- فن الشعر أرسطو [ترجمة دكتور إبراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية]
- المفهوم التراجيدى [دكتور فوزى فهمى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب]
- المعجم الوجيز [وزارة التربية والتعليم ، جمهورية مصر العربية ، مجمع اللغة العربية ، طبعة سنة ١٩٩٢]
- السيرة النبوية لابن هشام [تحقيق محمد السيد ، مكتبة الرحاب، طبعة ٢٠٠٧]

فهرس الكتاب

المقدمة ١

الفصل الاول

التمهيد والافتتاح ٩

أصل الفعل الحقيقى ١٣

أدوات تحقيق الفعل الحقيقى ٢١

أصل تعريف الفعل الحقيقى ٢٥

الفصل الثانى

أصل الفعل الدرامى المشاهد ٣٩

تعريف القصة الفعلية الدرامية المشاهدة ٤٨

مفهوم المأسملهاة المحزنة المفرحة ٥١

تعريف القصة المأسملهاة ٧٩

الفصل الثالث

أسس القصة بصفة العموم ٨٥

البداية ٩٠

الابتلاء ٩٨

الزلة ١٠٤

العقدة ١١١

الانفراجة ١١٥

التعرف ١١٨
النهاية ١٢٤

الفصل الرابع

أصول القصة الفعلية ، الشخصيات ١٢٥
صفات بطل الماسملهاة ١٢٧
الفكر ١٣٠
الفكرة ١٣٢

الفصل الخامس

مكونات القصة الفعلية ، الأفعال ١٤١
أهم الافعال والمشاهد التى تشتملها القصة ١٤٣
خصائص الفعل المفزع ١٥١
المكان ١٦٦
الزمان ١٦٩
الديكور ١٧٢
المؤثرات الصوتية ١٧٩

الفصل السادس

قواعد القصـــــــة الفعلية ١٨٥
الصراع ١٨٦
الحبكة ١٩٠
التغير ١٩١

الفصل السابع

قوانيين القصة ١٩٧
شروط القصة ٢٠٦

الفصل الثامن

مأسملهاة المعاناة ٢١٦
تعريف مأسملهاة المعاناة ٢٢١
مأسملهاة السلوك ٢٢٤
تعريف مأسملهاة السلوك ١٣٢
أصل المأسملهاة الشخصية ١٣٤

الفصل التاسع

التراجيديا (المأساة) ٢٥٩
مفهوم المأساة من القرآن ٢٦١
المعيار المحدد لعظم الماساة ٢٦٩
وجها المأساة.. ٢٧٣
الاحتمالات الثلاثة للمأساة ٢٧٥
القواعد الحاكمة للمأساة والكاشفة والمحددة لأنواعها ٢٨٤

الفصل العاشر

أنواع المأساة (التراجيديا).. ٢٩١
مفهوم المأساة الشخصية السوداء ٣٠٢
تعريف القصة المأساة السوداء ٣١١

المأساة الشخصية العظيمة ٣٢٣
المأساة الشخصية الإلهية ٣٢٩
مفهوم المأساة القومية ٣٣٢
المأساة القومية الإلهية ٣٣٩

الفصل الحادى عشر

الملهاة (الكوميديا) ٣٤١
مفهوم الملهاة من القرآن ٣٤٣

الفصل الثانى عشر

أصل القصة الملهاة ٣٥٧
تعريف وأسس الملهاة ٣٦٣
مسببات الملهاة ٣٦٨
مكونات وقواعد القصة الملهاة ٣٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي منحنا وأفاء على عبد من عباده بقبس من نوره ليكون سببا لمن يهدى إلى صراط الله الذي له ما فى السماوات وما فى الأرض ويهتدي إلى الذى تصير الأمور إليه عاجلها وآجلها . القرآن هو كنز ثمين مليء بالجواهر، فمن يمن الله عليه ويرضى عنه يفتح عليه بفتح من عنده ، ويفتح له قلبه ليلقى فيه جوهرة مكنونة منه وهو صالح لكل زمان ومكان ، وفيه مالا يخطر على البال، ومالا تدركه القلوب والعقول والأبصار، وإنني بفضل الله عثرت على منحته وهبته لى ، وعرفت طريق جوهرتي ، وكم كنت قلقا بشأن هذا الكتاب ، ولكن الله منّ علىّ وطمأنني ، فمن يرى الرسول محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقد رأى الحق ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : "من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوننى" الذي منّ علينا ورأيناه فى المنام العظيم ، فى يوم من أيام الأشهر الحرم ، ذي الحجة والحجيج يفيضون عند المقام ، فاللهم صل وسلم وبارك عليه صلاة إلى يوم أن نلقاه فى الميقات المحدد المعلوم.

ونحن نريد لأدبنا الدرامي الذى صار بحكم الواقع هو ديوان العرب الحديث فعلا، لا زمن الرواية المقروءة ، بل نحن فى زمن الرواية المشاهدة لأن لها الغلبة والحظوة والسطوة ؛ لأن العرب لا يحبون القراءة وقد فطروا وجبلوا على حب الحكي المسموع أكثر من المقروء ، وعندما صار الحكي مشاهدا أخذ ألبابهم وسحر قلوبهم حيث وجدوا ضالتهم بما يشتاقون إليه من اليسر والسهولة والتسلي والتفريج والتسرية.

إن الأدب الدرامي الذى نبتغيه تسمعه الأذن وتراه العين ويعيه القلب ويدركه العقل فهو أقوى تأثيرا ومدا ، وأشد حسما وصدقا ، وأوسع انتشارا وفعلا ، وأحسن سطوة وجذبا ، واجل هدفا وعظما ، وأكثر دويا ونفعا ، لامتلاكه أدوات التأثير القوى التى تسيطر على الآذان والأفئدة والأبصار مراكز الإدراك ، وهى أدوات الوعي أيضا لأنها تقدم ما أدركته لعقل المخ ليفعل هذه المدركات ويخرج بالعبرة المرجوة والهدف المطلوب والعظة المأمولة ، وتكون مكمن قوته وعلاجه وقوامه وصحته وتقدمه ورقيه وابتكاره وطاعته من تثبيت القلب ، وهداية للعقل فلابد من التوظيف السليم ، والنهج الحسن المليح ، والقوامة الراشدة [illegible] الهادية المنيرة حتى تؤتى أكلها الطيب وثمارها النافعة التى تعيد الوعى وتنير البـ[illegible] وتستنفر الطاقة وتحقق التعلم.

لأول مرة الدين والفن والأدب معاً .

والله الموفق لما فيه الخير والصلاح

فتحي حسان محم[illegible]

مائسلهاة السلوك | مائسلهاة المعاناة | مائسلهاة الشخصية | مائسلهاة القومية | مائسلهاة القيم

السعر ٣٠ جنيها

مطبعة الإسراء
ت/ ٣٥٦٠٤٥٠٠